

الم

١١٤

الإسلام

الْمِنْحَةِ الرَّبَّانِيَّةِ

فیشک

الرَّابِعِينَ النُّوْبَةَ

ح عادل محمد مرسي الرفاعي ، ١٤٢٨ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر
الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله
المنحة الربانية في شرح الاربعين النووية. / صالح بن فوزان بن
عبد الله الفوزان. - الرياض ، ١٤٢٨ هـ
٣٦٨ ص ، ١٧ X ٢٤ سم

ردمك ١-٦٨٦-٥٨-٦٩٢-٩٩٦٠-٩٧٨

١- الحديث - شرح ٢- الحديث الصحيح أ-العنوان
ديوي ٢٣٧،٧ ١٤٢٨/٧١٤٠

رقم الإيداع: ١٤٢٨/٧١٤٠
ردمك: ١-٦٨٦-٥٨-٦٩٢-٩٩٦٠-٩٧٨

جَمِيعُ الْحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ
الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ
طَبْعَةٌ مُصَحَّحَةٌ وَمُنَقَّحَةٌ
١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

دَارُ الْعِلْمِ
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص ب: ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي: ١١٥٥١
المركز الرئيسي: شارع السويدي العام
هاتف: ٤٤٩٧٢٢٤ / فاكس: ٤٤٩٧٢٢٥

الْمُنْجِي لِلرَّبَّانِيَّةِ

فِي شَرْحِ

الْأَرْبَعِينَ النُّوْوِيَّةِ

لِلدَّامِ حَيِّي بْنِ شَرْفِ بْنِ حَسَنِ بْنِ حَسِينِ النُّوْوِيِّ

أُجْزَلَ اللَّهُ لَهُ الْمَتُوبَةُ وَالْمَغْفَرَةُ

الشَّرْحُ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ

الدُّكْتُورِ صَالِحِ بْنِ فُوزَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْفُوزَانِ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

عَضُدُ هَيْئَةِ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ وَاعْضُدُ الْأَجْنَةِ الدُّعَاةِ لِلْإِقْدَاءِ

اعْتَنَى بِهِ وَأَشْرَفَ عَلَى طَبْعِهِ

عَادِلُ بْنُ مُحَمَّدٍ مُرْسِيٌّ مِرْفَاعِيٌّ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ وَلِسَائِمِهِ

دَارُ الْعِبَادَةِ

لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لہ

و شفاء

الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لہ

الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لہ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لہ

الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لہ

الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لہ

الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لہ

الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لہ

الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لہ

الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لہ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، وبعد: فقد أذنت للأخ: عادل بن محمد مرسي رفاعي أن يتولى طباعة كتابي: (المنحة الربانية. شرح الأربعين النووية) رجاء أن ينفع الله به ويكتب الأجر للجميع. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان

شارح الكتاب

في ١٨ / ١٠ / ١٤٢٨ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المملكة العربية السعودية

رئاسة

إدارة البحوث العلمية والإفتاء

الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

الرقم :

التاريخ :

المشروعات :

الموضوع :

الحمد لله وحده : فقد أذنت للأخ : عادل بن محمد مري
رفاعي أنه يتولى طباعة كتابي : (المنحة الربانية .
شرح الأربعين النووية رجاء أنه ينفع الله به
ويكتب الأجر للجميع . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

آلته

صالح بن فوزان الفوزان

شيخ الكتاب

م

في ١٨/١٠/١٤٢٨ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ وَمَنْ اهْتَدَى بِهِدَاهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَبَعْدُ:
فَهَذَا شَرْحُ: الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ

لِلْإِمَامِ

يَحْيَى بْنِ شَرْفِ بْنِ حَسَنِ بْنِ حُسَيْنِ النَّوَوِيِّ
أَجَزَلَ اللَّهُ لَهُ الْمَثُوبَةَ وَالْمَغْضَرَةَ

وَكَانَ هَذَا الشَّرْحُ فِي دُرُوسٍ أَلْقَاهَا فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ:

الدَّكْتُور/ صَالِحِ بْنِ فَوْزَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْفَوْزَانِ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

بَعْدَ الْفَجْرِ فِي جَامِعِ حَمَادِ السَّلَامَةِ بِحَيِّ الْفَيْحَاءِ بِالرِّيَاضِ، ابْتِدَاءً مِنْ
يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ الْمُوَافِقِ لِلتَّاسِعِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ شَوَّالٍ عَامِ سِتَّةٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ
وَأَلْفٍ مِنَ الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُبَارَكَةِ، نَسَأَلُ اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - أَنْ يَنْفَعَ بِهِ، وَأَنْ
يَجْزِيَ صَاحِبَ الْمَتْنِ وَالشَّارِحَ خَيْرَ الْجَزَاءِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقدِّمة الناشر

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اِمْتَنَّ عَلَى عِبَادِهِ بِأَنْ جَعَلَ فِي كُلِّ زَمَانٍ فِتْرَةً مِنَ الرُّسُلِ
بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، يَدْعُونَ مَنْ ضَلَّ إِلَى الْهُدَى، وَيَصْبِرُونَ مِنْهُمْ عَلَى
الْأَذَى، يُحْيُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ الْمَوْتَى، وَيُبَصِّرُونَ بِنُورِ اللَّهِ أَهْلَ الْعَمَى، فَكَمْ
مِنْ قَتِيلٍ لِابْلِيسَ قَدْ أَحْيَوْهُ، وَكَمْ مِنْ ضَالٍّ تَائِهٍ قَدْ هَدَوْهُ، بِذُلُّوا دِمَاءَهُمْ
وَأَمْوَالُهُمْ دُونَ هَلَكَةِ الْعِبَادِ، فَمَا أَحْسَنَ أَثَرُهُمْ عَلَى النَّاسِ! وَأَقْبَحَ أَثَرُ النَّاسِ
عَلَيْهِمْ! يَنْفُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ
الْجَاهِلِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ
تَسْلِيمًا مَزِيدًا الْقَائِلُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ
طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًى لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ
الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحَيَتَانُ فِي جَوْفِ
الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ
الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا،
وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِظٍّ وَافِرٍ».

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ نِعَمَ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - عَلَيْنَا كَثِيرَةٌ وَمُتَتَابِعَةٌ، وَمِنْ أَعْظَمِهَا وَجُودُ
الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، وَالْأَخْذُ عَنْهُمْ، وَالِاسْتِفَادَةُ مِنْ سَمْتِهِمْ، فَوَجُودُ الْعُلَمَاءِ
حَيَاةٌ لِلْقُلُوبِ قَبْلَ الْأَبْدَانِ، وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - عَلَيَّ بِالْحُضُورِ لِبِلَادِ

التَّوْحِيدِ وَالسُّنَّةِ الْمَمْلُكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السَّعُودِيَّةِ - حَرَسَهَا اللَّهُ - عام ١٤١٠ هـ،
وَزَادَتْ الْمِنَّةُ مِنْهُ - جَلَّ وَعَلَا - بِرُؤْيَا شَيْخِنَا وَوَالِدِنَا الْعَلَّامَةِ الْحَبْرِ الشَّيْخِ /

صَالِحِ بْنِ فَوْزَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْفَوْزَانِ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

فَالْتَصَقْتُ بِدُرُوسِهِ وَحَضَرْتُ عِنْدَهُ - حَفِظَهُ اللَّهُ - مُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ إِلَى
يَوْمِي هَذَا، أَسْتَفِيدُ مِنْ عِلْمِهِ وَسَمْتِهِ وَبَصِيرَتِهِ - حَفِظَهُ اللَّهُ - فَكَانَتْ الْمِنَّةُ
وَالنَّعْمَةُ مِنَ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - كَبِيرَةً، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «إِنَّ مِنْ نِعَمِ
اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ إِذَا نَسَكَ أَنْ يُوفَّقَ لِصَاحِبِ سُنَّةٍ». وَقَدْ وَفَّقَنِي رَبِّي - جَلَّ
وَعَلَا - لِشَيْخِنَا الْعَلَّامَةِ الْمِفْضَالِ، فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنِّي خَيْرَ الْجَزَاءِ.

وَبَدَأْتُ أَسْجِلُ لِفَضِيلَتِهِ - حَفِظَهُ اللَّهُ - دُرُوسَهُ وَشُرُوحَاتِهِ حَتَّى بَلَغْتُ
عَدَدًا كَبِيرًا، وَزَادَتْ الْمِنَّةُ بَأَنِّي كُنْتُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْمُسْجِلِ الْوَحِيدَ لَهَا
مُدْخِرًا إِيَّاهَا لِعَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ.

وَبَدَأْتُ أَفْرِغُ هَذِهِ الْأَشْرِطَةَ وَأُعِدُّهَا كُتُبًا لِلطَّبَاعَةِ لِمَا فِيهَا مِنَ الْعِلْمِ
الْغَزِيرِ، وَالْبَصِيرَةِ النَّافِذَةِ، وَرَأَيْتُ أَثْنَاءَ ذَلِكَ مِنْ صَبْرِ شَيْخِنَا وَحِلْمِهِ عَلَيْنَا
وَتَوَاضُعِهِ - حَفِظَهُ اللَّهُ - الشَّيْءَ الْكَثِيرَ، وَقَدْ أَطْمَعَنِي كَرَمُ وَالدِّنَا وَشَيْخِنَا -
حَفِظَهُ اللَّهُ - فِي طَلَبِ شَرْحِهِ عَلَى الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ لِتَتَفَعَّلَ بِهِ الْأُمَّةُ - فَأَذِنَ لِي
- جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرَ مَا جَازَى بِهِ عَالِمًا رَبَّانِيًّا عَنْ أُمِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَغَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ
وَلِمَشَائِخِهِ - وَسَمَّيْتُهُ (الْمِنْحَةَ الرَّبَّانِيَّةَ فِي شَرْحِ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ).

فَأَسْأَلُ اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - أَنْ يُجْزَلَ لِشَيْخِنَا الْمُثُوبَةَ وَالْأَجْرَ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ
إِمَامًا هَدَى وَرَشَادًا، وَأَنْ يُعَزِّبَهُ وَيُصْلِحَ، كَمَا أَسْأَلُهُ - سُبْحَانَهُ - أَنْ يَغْفِرَ لَهُ
وَلِوَالِدَيْهِ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ وَمَشَائِخِهِ، وَأَنْ يَحْشُرَهُ تَحْتَ لِوَاءِ نَبِيِّهِ الْأَمِينِ، وَفِي زُمْرَةِ

السَّابِقِينَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ
وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا، وَأَنْ يَجْعَلَ لِي مِنَ الْخَيْرِ نَصِيبًا.
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ، وَصَحْبِهِ وَسَلَّم
تَسْلِيمًا مَزِيدًا.

وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

عَادِلُ بْنُ مُحَمَّدٍ مُرْسِي مِرْفَاعِي

الرِّيَاضُ

فَجَرَ الْخَمِيسِ: ١٣ / ١٠ / ١٤٢٨ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ الشَّارِحِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.
أَمَّا بَعْدُ..

فَهَذَا الْكِتَابُ اسْمُهُ كِتَابُ (الْأَرْبَعِينَ)، اقْتَصَرَ مُؤَلِّفُهُ عَلَى أَرْبَعِينَ حَدِيثًا،
لَأَنَّهُ وَرَدَ فِي فَضْلِ مَنْ جَمَعَ لِلْأُمَّةِ أَرْبَعِينَ حَدِيثًا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ
حَفِظَ عَلَى أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا مِنْ أَمْرِ دِينِهَا بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي زُمْرَةِ
الْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «وَكُنْتُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَافِعًا وَشَهِيدًا»^(١).

(١) اتفق الحفاظ على أن هذا الحديث ضعيف، وإن كثرت طرقه وتعددت رواياته عن عدد من
الصحابة، وقد رواه الرامهرمزي في المحدث الفاضل (ص ١٧٣)، وابن عدي في الكامل
(٦٦ / ٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢ / ٢٧٠)، وأبونعيم في الحلية (٤ / ١٨٩)، (ص ٢١،
٢٢)، وجمع طرقه ابن عساكر في الأربعين (٢١-٢٨)، وابن الجوزي في العلل المتناهية
(١ / ١١٩-١٢٨).

قال البيهقي في شعبه (٢ / ٢٧٠) عقب روايته من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: (هذا متن مشهور
فيما بين الناس وليس له إسناد صحيح). ا.هـ. وقال ابن عساكر في الأربعين (ص ٢٥) عقب
روايته من بعض طرقه: (فيها كلها مقال ليس فيها ولا فيما قبلها للتصحيح مجال، ولكن
الأحاديث الضعيفة إذا ضُم بعضها إلى بعض أخذت قوة، لاسيما ما ليس فيه إثبات
فرض). ا.هـ. وقال ابن حجر في تلخيص الحبير (٣ / ٩٤): (جمعت طرقه في جزء ليس فيها
طريق تسلم من علة قاذحة). ا.هـ.

فَالِإِمَامُ يَحْيَى بْنُ شَرَفِ النَّوَوِيِّ^(١) أَرَادَ أَنْ يَظْفَرَ بِالْأَجْرِ الْعَظِيمِ؛
فَاخْتَارَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الْجَوَامِعَ فِي الْأَدَابِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ،
فَجَمَعَهَا فِي هَذَا الْمُؤَلَّفِ الصَّغِيرِ فِي حَجْمِهِ، لَكِنَّهُ عَظِيمٌ فِي فَائِدَتِهِ وَفَضْلِهِ،
انْتَقَاهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ وَالْحَسَنَةِ، ثُمَّ جَاءَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ^(٢) -
رَحِمَهُ اللَّهُ - فَزَادَ عَلَيْهَا عَشْرَةَ أَحَادِيثَ فَصَارَتْ خَمْسِينَ حَدِيثًا، وَشَرَحَ عَلَيْهَا
فِي كِتَابِهِ: «جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ»، وَهُوَ شَرْحٌ حَافِلٌ بِالْفَوَائِدِ الْعِلْمِيَّةِ
الْعَظِيمَةِ الَّتِي قَدْ لَا تَجِدُهَا فِي غَيْرِ هَذَا الْكِتَابِ، فَهُوَ كِتَابٌ بِحَقٍّ جَامِعٌ
لِلْعُلُومِ وَالْحِكَمِ مُفِيدٌ عَظِيمٌ، وَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ فِي جَمْعِ الْأَرْبَعِينَ حَدِيثًا.
وَالِإِمَامُ النَّوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - كَانَ إِمَامًا عَظِيمًا مُتَخَصِّصًا فِي مُخْتَلَفِ

(١) هو يحيى بن شرف بن حسن بن حسين بن جمعة بن حزام الحازمي العالم محيي الدين أبوزكريا،
النووي ثم الدمشقي، الشافعي العلامة شيخ المذهب وكبير الفقهاء في زمانه، وُلِدَ بنوى سنة
إحدى وثلاثين وستمائة، وتوفي سنة ست وسبعين وستمائة، صَنَّفَ التصانيف النافعة المفيدة في
الحديث والفقه وغيرها، منها شرح صحيح مسلم، ورياض الصالحين. انظر: العبر
(٣١٢/٥)، والبداية والنهاية (٢٧٨/١٣)، وطبقات الحفاظ (ص ٥١٣).

(٢) هو الإمام الحافظ المحدث الفقيه الواعظ زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن
بن محمد بن مسعود السلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، وُلِدَ ببغداد سنة ست وثلاثين
وسبعمائة بعد مضي ثمانين عامًا على سقوط بغداد بأيدي المغول، ثم توجه مع أبيه تلقاء دمشق،
وفيهما شب وترعرع واكتهل، وبها توفي سنة خمس وتسعين وسبعمائة، له المؤلفات السديدة
والمصنفات المفيدة منها شرح على صحيح البخاري لم يكمل، وشرح على الجامع للترمذي،
وذيل على كتاب طبقات فقهاء الحنابلة، ومنها جامع العلوم والحكم في شرح أربعين حديثًا.
انظر: الدرر الكامنة (١٠٨/٣، ١٠٩)، وشذرات الذهب (٣٣٩/٦)، وذيل تذكرة الحفاظ
(ص ١٨٠-١٨٢)، والبدر الطالع (٣٢٨/١)، وطبقات الحفاظ (ص ٥٤٠)، وشرح علل
الترمذي بتحقيق الدكتور همام عبدالرحيم سعيد (٢٤٦-٢٥٧).

العلوم، فكان مُتَخَصِّصًا فِي الْحَدِيثِ، وَالْفِقْهِ، وَاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَكَانَ لِمَوْلَّافَاتِهِ قَبُولٌ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ؛ وَذَلِكَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - لِنَيْتِهِ الصَّالِحَةِ وَإِخْلَاصِهِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَكَانَ لِمَوْلَّافَاتِهِ الْأَثَرُ الْعَظِيمُ، وَمِنْهَا هَذَا الْكِتَابُ (الْأَرْبَعُونَ)، وَمِنْهَا (رِيَاضُ الصَّالِحِينَ)، وَمِنْهَا (شَرْحُ صَحِيحِ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ)، وَمِنْهَا مَوْلَّافَاتٌ فِي الْفِقْهِ مُعْتَمَدَةٌ فِي مَذْهَبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ، فَهُوَ إِمَامٌ جَلِيلٌ، وَقَدْ أَلْقَى اللَّهُ الْقَبُولَ لِمَوْلَّافَاتِهِ وَانْتَفَعَ بِهَا الْمُسْلِمُونَ، وَلَا يَزَالُونَ يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهَا لِمَا فِيهَا مِنَ الْعِلْمِ الْغَزِيرِ وَالْفَضَائِلِ الْعَظِيمَةِ وَالْإِتْقَانِ، فَرَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ إِمَامٍ جَلِيلٍ.

مُقَدِّمَةُ الْإِمَامِ النَّوَوِيِّ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قِيُومِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ، مُدَبِّرِ الْخَلَائِقِ
 أَجْمَعِينَ، بَاعِثِ الرُّسُلِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ - إِلَى الْمُكَلَّفِينَ
 لِهَدَايَتِهِمْ وَبَيَانِ شَرَائِعِ الدِّينِ بِالَدَّلَائِلِ الْقَطْعِيَّةِ، وَوَضِيحَاتِ الْبَرَاهِينِ،
 أَحْمَدُهُ عَلَى جَمِيعِ نِعَمِهِ، وَأَسْأَلُهُ الْمَزِيدَ مِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا
 اللَّهُ، الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الْكَرِيمُ الْغَفَّارُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَحَبِيبُهُ
 وَخَلِيلُهُ، أَفْضَلُ الْمَخْلُوقِينَ، الْمَكْرَمُ بِالْقُرْآنِ الْعَزِيزِ، الْمُعْجَزَةُ الْمُسْتَمِرَّةُ عَلَى
 تَعَاقُبِ السِّنِينَ، وَبِالسُّنَنِ الْمُسْتَنِيرَةِ لِلْمُسْتَرْشِدِينَ، الْمُخْصُوصِ بِجَوَامِعِ
 الْكَلِمِ وَسَمَاحَةِ الدِّينِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ، وَآلِ
 كُلِّ، وَسَائِرِ الصَّالِحِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَمُعَاذِ بْنِ
 جَبَلٍ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، وَابْنِ عُمَرَ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ،
 وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَاتٍ، بِرَوَايَاتٍ
 مُتَنَوِّعَاتٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَلَى أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا مِنْ
 أَمْرِ دِينِهَا بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي زُمْرَةِ الْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «بَعَثَهُ اللَّهُ فَقِيهًا عَالِمًا».

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي الدَّرْدَاءِ: «وَكُنْتُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَافِعًا وَشَهِيدًا».

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «قِيلَ لَهُ: ادْخُلْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ».

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عُمَرَ: «كُتِبَ فِي زُمْرَةِ الْعُلَمَاءِ، وَحُشِرَ فِي زُمْرَةِ الشُّهَدَاءِ».

وَاتَّفَقَ الْحُفَاطُ عَلَى أَنَّهُ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ، وَإِنْ كَثُرَتْ طُرُقُهُ (١).
 وَقَدْ صَنَّفَ الْعُلَمَاءُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - فِي هَذَا الْبَابِ مَا لَا يُحْصَى مِنَ
 الْمَصْنَفَاتِ، فَأَوَّلُ مَنْ عَلِمْتُهُ صَنَفَهُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ
 الطُّوسِيُّ الْعَالِمُ الرَّبَّانِيُّ، ثُمَّ الْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ النَّسَوِيُّ، وَأَبُو بَكْرٍ الْآجُرِيُّ،
 وَأَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْأَصْبَهَانِيُّ، وَالِدَارَقُطْنِيُّ، وَالْحَاكِمُ، وَأَبُو نَعِيمٍ،
 وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلَمِيُّ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْمَالِينِيُّ، وَأَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ، وَعَبْدُ
 اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ، وَأَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ، وَخَلَائِقُ لَا يُحْصَوْنَ مِنَ
 الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ.

وَقَدْ اسْتَخَرْتُ اللَّهَ تَعَالَى فِي جَمْعِ أَرْبَعِينَ حَدِيثًا؛ اقْتِدَاءً بِهِؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ
 الْأَعْلَامِ، وَحُفَاطِ الْإِسْلَامِ، وَقَدْ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى الْعَمَلِ بِالْحَدِيثِ الضَّعِيفِ
 فِي فَصَائِلِ الْأَعْمَالِ، مَعَ هَذَا فَلَيْسَ اعْتِمَادِي عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ، بَلْ عَلَى قَوْلِهِ
 ﷺ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ: «لِيُبْلَغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ» (٢)، وَقَوْلُهُ ﷺ:
 «نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتي فَوَعَاها، فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا» (٣).

(١) راجع ص (١١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٣) رُوي هذا الحديث بألفاظ متقاربة عن جمع من الصحابة، منهم: ابن مسعود، وأنس بن مالك،
 وزيد بن ثابت، وجابر بن عبد الله، وجبير بن مطعم، وأبي سعيد الخدري، رضي الله عن
 الجميع، أخرجه الترمذي (٢٦٥٨)، وابن ماجه (٢٣٠)، وأحمد في المسند (٢٢٥ / ٣)،
 (٤ / ٨٠، ٨٢)، والدارمي في سننه (٢٢٧)، وأبو يعلى في مسنده (٤٠٨ / ١٣)، والبزار في مسنده
 (٨ / ٣٤٢)، والطبراني في الأوسط (٢٣٣ / ٥)، والكبير (١٥٤١)، والحاكم في المستدرک
 (١ / ١٦٢).

ثُمَّ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ جَمَعَ الْأَرْبَعِينَ فِي أُصُولِ الدِّينِ، وَبَعْضُهُمْ فِي الْفُرُوعِ، وَبَعْضُهُمْ فِي الْجِهَادِ، وَبَعْضُهُمْ فِي الزُّهْدِ، وَبَعْضُهُمْ فِي الْآدَابِ، وَبَعْضُهُمْ فِي الْخُطَبِ، وَكُلُّهَا مَقَاصِدُ صَالِحَةٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْ قَاصِدِيهَا.

وَقَدْ رَأَيْتُ جَمْعَ أَرْبَعِينَ أَهَمَّ مِنْ هَذَا كُلِّهِ، وَهِيَ أَرْبَعُونَ حَدِيثًا مُشْتَمِلَةً عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ، وَكُلُّ حَدِيثٍ مِنْهَا قَاعِدَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ الدِّينِ. وَقَدْ وَصَفَ الْعُلَمَاءُ كُلُّ حَدِيثٍ مِنْهَا بِأَنَّهُ مَدَارُ الْإِسْلَامِ عَلَيْهِ، أَوْ هُوَ نِصْفُ الْإِسْلَامِ، أَوْ ثُلُثُهُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

ثُمَّ أَلْتَزِمُ فِي هَذِهِ الْأَرْبَعِينَ أَنْ تَكُونَ صَحِيحَةً، وَمُعْظَمُهَا فِي صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ، وَأَذْكُرُهَا مَحْذُوفَةً الْأَسَانِيدِ؛ لَيْسَ هَلْ حِفْظُهَا وَيَعْمُ الْإِنْتِفَاعُ بِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

ثُمَّ أَتْبَعُهَا بَبَابٍ فِي خَفِيِّ الْأَفَاطِهَا، وَيَنْبَغِي لِكُلِّ رَاغِبٍ فِي الْآخِرَةِ أَنْ يَعْرِفَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ؛ لِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْمُهَيِّمَاتِ، وَاحْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ التَّنْبِيهِ عَلَى جَمِيعِ الطَّاعَاتِ، وَذَلِكَ ظَاهِرٌ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ. وَعَلَى اللَّهِ اعْتِمَادِي، وَإِلَيْهِ تَفْوِيضِي وَاسْتِنَادِي، وَلَهُ الْحَمْدُ وَالنُّعْمَةُ، وَبِهِ التَّوْفِيقُ وَالْعِصْمَةُ^(١).

(١) انظر: مقدمة الأربعين للإمام النووي مع شرح ابن دقيق العيد - رحمهما الله - (ص ١٥).

الحديث الأول

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

رَوَاهُ إِمَامَا الْمُحَدِّثِينَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنُ بَرْدَزِيهِ الْبُخَارِيُّ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسْلِمٍ الْقُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ فِي صَحِيحَيْهِمَا اللَّذَيْنِ هُمَا أَصَحُّ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ (١).

بَدَأَ الْمُؤَلِّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - هَذِهِ الْأَحَادِيثَ بِحَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، وَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَى صَحِّهِ، رَوَاهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، وَرَوَاهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، فَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَالْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ بَيْنَ الْإِمَامَيْنِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ هُوَ أَصَحُّ الْأَحَادِيثِ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَصَدَّرَ الْمُؤَلِّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مُؤَلَّفَهُ بِهَذَا الْحَدِيثِ لِلتَّذْكِيرِ بِالنِّيَّةِ، وَأَنَّ الْمُؤَلِّفَ وَغَيْرَهُ مِنْ كُلِّ مَنْ يَقُومُ بِعَمَلٍ صَالِحٍ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ صَادِرًا عَنْ نِيَّةٍ خَالِصَةٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا أَنَّ الْإِمَامَ الْبُخَارِيَّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - صَدَّرَ صَحِيحَهُ بِهَذَا الْحَدِيثِ تَذْكِيرًا بِالنِّيَّةِ، وَأَنَّ الْمُؤَلِّفَ وَغَيْرَهُ يَجِبُ أَنْ يَتَذَكَّرَ هَذَا الْحَدِيثَ عِنْدَ كُلِّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ فَيُخْلِصُهُ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - لِيَلَّا يَكُونَ عَمَلُهُ تَعَبًا بِلَا فَائِدَةٍ (٢).

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

(٢) انظر: فتح الباري (٨/١).

وَهَذَا الْحَدِيثُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْجَوَامِعِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَدْ أُوتِيَ جَوَامِعَ
الْكَلِمِ وَفَصَلَ الْخِطَابِ، وَكَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَاتٍ يَسِيرَةٍ تَجْمَعُ عُلُومًا غَزِيرَةً
وَخَيْرَاتٍ كَثِيرَةً، وَهَذَا الْحَدِيثُ قَالَ عَنْهُ أَهْلُ الْعِلْمِ ^(١): إِنَّهُ أَحَدُ الْأَحَادِيثِ
الْأَرْبَعَةِ الَّتِي يَدُورُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ، وَهِيَ:

أولاً: هَذَا الْحَدِيثُ «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ».

ثانياً: حَدِيثُ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَابْنٍ وَالْحَرَامَ بَيْنَ وَابْنٍ» ^(٢).

ثالثاً: حَدِيثُ: «ازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ» ^(٣).

رابعاً: حَدِيثُ: «مَنْ حُسِنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ تَرَكَهُ مَا لَا يَغْنِيهِ» ^(٤).

وَلِهَذَا يَقُولُ النَّازِمُ: ^(٥)

عُمْدَةُ الدِّينِ عِنْدَنَا كَلِمَاتٌ أَرْبَعُ مِنْ كَلَامِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ
اتَّقِ الشُّبُهَاتِ وَازْهَدْ وَدَعْ مَا لَيْسَ يَغْنِيكَ وَاعْمَلْ بِنِيَّةِ

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٩/ ٢٠١)، وشرح النووي على صحيح مسلم (١١/ ٢٧)، وجامع

العلوم والحكم (ص ٩)، وسبل السلام (٤/ ١٧١)، وعمدة القاري (١/ ٢٩٩)، وكشف

الخفاء (١/ ١٠)، والأشباه والنظائر (ص ٩)، ونيل الأوطار (٥/ ٣٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه (٤١٠٢)، والطبراني في الكبير (٥٩٧٢)، والحاكم في المستدرک (٤/ ٣٤٨)،

والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٤٤)، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه في سننه (٣٩٧٦)، وابن حبان في صحيحه (١/ ٤٦٦)،

والطبراني في الأوسط (٣/ ١٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) من شعر الحافظ أبي الحسن طاهر بن مفوز المعافري الأندلسي، انظر: جامع العلوم والحكم

(ص ١٠)، وفتح الباري (١/ ١٢٩)، وعمدة القاري (١/ ٢٢)، وشرح السيوطي لسنن

النسائي (٧/ ٢٤٢).

هَذِهِ أَرْبَعَةُ أَحَادِيثَ:

قَوْلُهُ: (اتَّقِ الشُّبُهَاتِ) هَذَا آخِرُ حَدِيثٍ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ».

(وَأَزْهَدْ) هَذَا مِنْ حَدِيثٍ: «أَزْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ».

(وَدَعْ مَا لَيْسَ بِعَيْنِكَ) مِنْ حَدِيثٍ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا

لَا يَعْنِيهِ». (وَأَعْمَلَنْ بِنِيَّةٍ) أَخْذًا مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ».

قَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» (إِنَّمَا) أَدَاةُ حَضَرِ تَثْبِثِ الْحُكْمِ لِمَا

بَعْدَهَا وَتَنْفِيهِ عَمَّا قَبْلَهَا، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ

وَالْمَسْكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]، فَهِيَ مِنْ أَدَوَاتِ الْحَضَرِ، وَالْحَضَرُ مَعْنَاهُ: إِثْبَاتُ

الْحُكْمِ لِمَا بَعْدَهَا، وَنَفْيُهُ عَمَّا قَبْلَهَا، وَقَوْلُهُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ» أَيُّ: اعْتِبَارُ

الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - «بِالنِّيَّاتِ» أَيُّ بِمَقَاصِدِ أَصْحَابِهَا، وَالنِّيَّاتُ:

جَمْعُ نِيَّةٍ وَهِيَ الْقَصْدُ فِي الْقَلْبِ، فَلَيْسَتْ الْعِبْرَةُ بِصُورَةِ الْعَمَلِ، وَإِنَّمَا الْعِبْرَةُ

بِنِيَّةِ الْعَامِلِ، فَإِنْ كَانَ قَصْدُهُ وَجْهَ اللَّهِ صَارَ عَمَلُهُ لِلَّهِ، وَإِنْ كَانَ قَصْدُهُ لِغَيْرِ

اللَّهِ صَارَ عَمَلُهُ لِغَيْرِ اللَّهِ.

هَذَا مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ، وَهُوَ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ، فَقَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّمَا

الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» أَيُّ: بِحَسَبِ مَقَاصِدِ أَصْحَابِهَا وَتَوَجُّهَاتِهِمْ، فَيَنْبَغِي

لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُخْلِصَ نِيَّتَهُ لِلَّهِ فِي كُلِّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَالْمُرَادُ

بِالْأَعْمَالِ هُنَا الْعِبَادَاتُ، أَمَّا الْأَعْمَالُ الدُّنْيَوِيَّةُ فَهَذِهِ لَا تَحْتَاجُ إِلَى نِيَّةٍ، مِثْلَ أَنْ

يَأْكُلَ أَوْ يَشْرَبَ أَوْ يَلْبَسَ ثِيَابَهُ أَوْ يَرْكَبَ سَيَّارَتَهُ، هَذِهِ لَا تَحْتَاجُ إِلَى نِيَّةٍ، وَإِنَّمَا

الْمَقْصُودُ بِالْأَعْمَالِ أَعْمَالُ الطَّاعَاتِ، فَهِيَ الَّتِي لَا بُدَّ أَنْ تُؤَسَّسَ عَلَى نِيَّةٍ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»، هَلْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ مُؤَكَّدَةٌ لِلْجُمْلَةِ

الَّتِي قَبْلَهَا، أَوْ هِيَ مُسْتَقِلَّةٌ؟ فِيهَا قَوْلَانِ^(١):
الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهَا مُؤَكَّدَةٌ لِلْجُمْلَةِ الَّتِي قَبْلَهَا،
وَمُقَرَّرَةٌ لِمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ.

الْقَوْلُ الثَّانِي: إِنَّهَا مُؤَسَّسَةٌ وَلَيْسَتْ مُؤَكَّدَةٌ، وَهَذَا أَرْجَحُ؛ لِأَنَّ حَمْلَ
الْكَلَامِ عَلَى التَّأْسِيسِ أَوْلَى مِنْ حَمْلِهِ عَلَى التَّأَكِيدِ، فَيَكُونُ قَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّمَا
الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» يُرَادُ بِهِ أَنَّ اعْتِبَارَ الْعَمَلِ بِنِيَّةِ الْعَامِلِ صِحَّةٌ وَفَسَادًا، فَإِنْ
كَانَتْ نِيَّتُهُ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَعَمَلُهُ صَحِيحٌ، وَإِنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ لِغَيْرِ اللَّهِ فَعَمَلُهُ
بَاطِلٌ، فَهَذَا مِنْ نَاحِيَةِ الصَّحَّةِ وَالْفَسَادِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: «وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مِمَّا نَوَى» هَذَا مِنْ نَاحِيَةِ الثَّوَابِ، أَيْ أَنَّهُ
لَا يُثَابُ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا إِذَا كَانَتْ نِيَّتُهُ لِلَّهِ، فَإِنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ لِغَيْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ
لَهُ ثَوَابٌ عِنْدَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ
فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿[هود: ١٥، ١٦].

وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى فِيهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: وَمَا عَمِلْتُ
فِيهَا؟ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى قُتِلْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِيقَالَ هُوَ
جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَيُسْحَبُ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ»، لِمَاذَا
أُلْقِيَ فِي النَّارِ مَعَ أَنَّهُ قُتِلَ فِي الْمَعْرَكَةِ وَصُورَتُهُ أَنَّهُ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟
الْجَوَابُ: لِأَنَّ نِيَّتَهُ لَيْسَتْ لِلَّهِ، وَإِنَّمَا نِيَّتُهُ أَنْ يُمدَّحَ بِالْجَرَاءَةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَقَدْ

(١) انظر: فتح الباري (١/ ١٤، ١٥).

قِيلَ هَذَا فِي الدُّنْيَا، وَحَصَلَ عَلَى مَا قَصَدَ مِنْ مَدْحِ النَّاسِ لَهُ، فَلَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ شَيْءٌ، وَاللَّهُ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا.

وَالثَّانِي: «... وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ لِيُعَرِّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ تَعَلَّمْتُ فِيكَ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. فَقَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ هُوَ عَالِمٌ، فَقَدْ قِيلَ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَيُسْحَبُ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ». وَهَذَا مِمَّا يُوجِبُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يُخْلِصَ نِيَّتَهُ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، فَلَا يَكُونُ قَصْدُهُ التَّرَفُّعَ، أَوْ الْوِظِيفَةَ الدُّنْيَوِيَّةَ وَتَحْصِيلَ الْحُطَامِ بِعِلْمِهِ وَتَعْلِيمِهِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ قَصْدُهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّهُ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَتَعْلِيمَهُ مِنْ أَجْلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَلَا يَصْرِفُهُ وَيُرِيدُ بِهِ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا يُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، وَمَا يُعْطَى لَهُ مِنْ مَالٍ إِنْ أُعْطِيَ فَهُوَ تَابِعٌ وَلَيْسَ مَقْصُودًا.

وَالثَّالِثُ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا سَلَّطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْخَيْرِ، فَصَارَ يُنْفِقُهُ فِي الْخَيْرِ، فَهُوَ فِي الظَّاهِرِ كَثِيرُ الْإِنْفَاقِ، وَالْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا شَكَّ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ، قَالَ ﷺ: «... وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ ذَلِكَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَيُسْحَبُ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ» (١).

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٨٢)، وأحمد في المسند (٣٢١ / ٢) واللفظ له، والطبري في تفسيره (١٣ / ١٢)، وابن خزيمة في صحيحه (١١٦ / ٤)، وابن حبان في صحيحه (١٣٧ / ٢)، والحاكم في المستدرک (٥٧٩ / ١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَعْمَالُ الْجَلِيلَةُ تَذْهَبُ هَذَرًا وَتَضِيعُ عَلَى صَاحِبِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَظَرًا لِنِيَّاتِ أَصْحَابِهَا وَسُوءِ قَصْدِهِمْ فَغَيْرُهَا مِنَ الْأَعْمَالِ مِنْ بَابِ أُولَى، فَهَذَا مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُخْلِصَ نِيَّتَهُ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - عِنْدَمَا يَقُومُ بِعَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، مِنْ صَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ، وَصَدَقَةٍ، وَطَلَبٍ لِلْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ، وَأَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٍ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَدَعْوَةٍ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُرَاقِبَ نِيَّتَهُ وَيَتَذَكَّرَ نِيَّتَهُ فِي كُلِّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ بِأَنْ يُخْلِصَهُ لِلَّهِ، وَيَطْرُدَ عَنْ نَفْسِهِ الرِّيَاءَ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ بَشَرٌ يَغْرِضُ لَهُ الرِّيَاءُ وَحُبُّ الْمَدْحِ وَحُبُّ الثَّنَاءِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَطْرُدَ هَذَا الْقَصْدَ إِذَا طَرَأَ عَلَيْهِ، وَيُخْلِصَ نِيَّتَهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ فِي حُبِّ الثَّنَاءِ: (١)

يَهْوَى الثَّنَاءَ مُبْرَزٌ وَمُقَصَّرٌ
حُبُّ الثَّنَاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ

فَالْإِنْسَانُ بَشَرٌ يَغْرِضُ لَهُ هَذَا الْقَصْدُ، مِنْ حُبِّ الْمَدْحِ وَحُبِّ الثَّنَاءِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَطْرُدَهُ وَيَتَخَلَّصَ مِنْهُ، وَيُخْلِصَ نِيَّتَهُ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -.

ثُمَّ إِنَّهُ ﷺ ذَكَرَ مَثَالًا عَمَلِيًّا لِهَذَا الْحَدِيثِ، فَقَدْ مَثَلَ بِالْهَجْرَةِ، وَالْهَجْرَةُ: هِيَ الْإِنْتِقَالُ مِنْ بَلَدٍ الْكُفْرِ إِلَى بَلَدٍ الْإِسْلَامِ فِرَارًا بِالْدِّينِ (٢)، فَهِيَ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ وَهِيَ قَرِينَةُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا﴾ [الأنفال: ٧٢]، وَاللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - قَدَّمَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى

(١) انظر: يتيمة الدهر (٢/ ٤٦٦).

(٢) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٥٩٢)، والكافي (١/ ١٨٧)، والمغني (٩/ ٢٣٦)، ومجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٠٤)، وفتح الباري (١/ ١٦)، وفتح القدير (١/ ٢١٨).

الْأَنْصَارِ فِي الذِّكْرِ وَالشَّائِءِ؛ لِأَنَّهُمْ تَرَكُوا أَوْطَانَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ نُصْرَةَ لِدِينِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَهُمْ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَالهِجْرَةُ شَرَفٌ عَظِيمٌ وَعَمَلٌ جَلِيلٌ، وَلَكِنْ لَيْسَتْ الْعِبْرَةُ بِصُورَةِ الْهِجْرَةِ، إِنَّمَا الْعِبْرَةُ بِمَقْصِدِ صَاحِبِهَا، فَإِنْ هَاجَرَ يُرِيدُ نُصْرَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ نَظَرًا لِنِيَّتِهِ، وَتَكُونُ عِنْدَ اللَّهِ مَقْبُولَةً، وَيَكُونُ لَهُ ثَوَابُ الْمُهَاجِرِ، فَإِنْ خَرَجَ لِلْهِجْرَةِ وَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ كُتِبَ لَهُ أَنَّهُ مُهَاجِرٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٠]، نَظَرًا لِنِيَّتِهِ الصَّالِحَةِ يَكْتُبُ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - لَهُ أَجْرَ الْمُهَاجِرِ وَإِنْ كَانَ مَاتَ فِي الطَّرِيقِ، هَذَا إِذَا كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، أَيْ: لِنُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ وَحُبًّا لِلَّهِ وَحُبًّا لِلرَّسُولِ ﷺ.

وَالْهِجْرَةُ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(١)، فَالْمُسْلِمُ بِحَاجَةٍ إِلَى الْهِجْرَةِ دَائِمًا وَأَبَدًا، فَإِذَا ضَيَّقَ عَلَيْهِ فِي دِينِهِ وَصَارَ لَا يَسْتَطِيعُ إِظْهَارَ الدِّينِ هَاجِرًا إِلَى بَلَدٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُظْهَرَ دِينُهُ فِيهِ مُحَافَظَةً عَلَى دِينِهِ، ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠]، فَلْيُهَاجِرْ فِرَارًا بِدِينِهِ إِلَى بَلَدٍ يَسْتَطِيعُ فِيهَا أَنْ يُظْهَرَ دِينُهُ، وَيَتِمَكَّنَ مِنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ»^(٢)، فَالْمُرَادُ بِالْهِجْرَةِ هُنَا الْهِجْرَةُ

(١) أخرجه أبو داود (٢٤٧٩)، والنسائي في الكبرى (٢١٧/٥)، وأحمد في المسند (٩٩/٤)، والدارمي في سننه (٢٥١٣)، وأبو يعلى في مسنده (٣٥٩/١٣)، والطبراني في الكبير (٨٩٥)، (٩٠٧) من حديث معاوية رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٨٣)، ومسلم (١٣٥٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وجاء من حديث

مِنْ مَكَّةَ؛ لِأَنَّهَا لَمَّا فُتِحَتْ عَلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَارَتْ بَلَدَ إِسْلَامٍ، فَلَا يُهَاجِرُ مِنْهَا، إِنَّمَا كَانَ يُهَاجِرُ مِنْهَا عِنْدَمَا كَانَتْ فِي قَبْضَةِ الْكُفَّارِ، وَكَانُوا يُضَاقِقُونَ الْمُسْلِمِينَ وَيَصُدُّونَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، فَلَمَّا فَتَحَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَارَتْ بِلَادَ إِسْلَامٍ، فَالَّذِي يُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ الْفَتْحِ لَا يُسَمَّى مُهَاجِرًا؛ لِأَنَّ الْهَجْرَةَ حِينَئِذٍ لَيْسَ لَهَا مُوجِبٌ، وَمَكَّةُ أَفْضَلُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَمِنْ غَيْرِهَا مِنَ الْبُلْدَانِ، أَمَّا الْهَجْرَةُ مِنْ بَلَدِ الْكُفْرِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ فَهِيَ بَاقِيَةٌ، وَلَا تَعَارُضُ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ.

قَوْلُهُ: «فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ..» هَذَا هُوَ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: وَهُوَ الَّذِي أَخْلَصَ نِيَّتَهُ لِلَّهِ فِي الْهَجْرَةِ وَتَقَبَّلَ اللَّهُ هِجْرَتَهُ وَكَتَبَهُ فِي الْمُهَاجِرِينَ فِي أَيِّ وَقْتٍ كَانَ؛ لِأَنَّ الْهَجْرَةَ بَاقِيَةٌ، وَلَا يُقَالُ: إِنَّ هَذَا خَاصٌّ بِمَا كَانَ قَبْلَ الْفَتْحِ، بَلْ هِيَ بَاقِيَةٌ كُلَّمَا احْتِيجَ إِلَيْهَا، فَهِيَ مَشْرُوعَةٌ، وَمَنْ هَاجَرَ فِي أَيِّ وَقْتٍ فَلَهُ ثَوَابُ الْمُهَاجِرِينَ.

الْقِسْمُ الثَّانِي: مَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِغَيْرِ اللَّهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى هَذَا الشَّيْءِ الَّذِي قَصَدَ، وَلَيْسَ لَهُ ثَوَابٌ عِنْدَ اللَّهِ جَلٌّ وَعَلا، كَمَا قَالَ ﷺ: «وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا»، أَيُّ: هَاجَرَ مِنْ بَلَدِ الْكُفْرِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ وَلَيْسَ قَصْدُهُ الدِّينَ، وَإِنَّمَا قَصْدُهُ أَنْ بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا طَمَعٌ، وَفِيهَا دُنْيَا، وَفِيهَا تِجَارَةٌ، وَفِيهَا مَلَذَّاتٌ، فَهِجْرَتُهُ لِلدُّنْيَا وَلَيْسَتْ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَلَا يُكْتَبُ لَهُ ثَوَابُ الْمُهَاجِرِ، وَإِنْ كَانَتْ صُورَةٌ عَمَلِهِ أَنَّهُ مُهَاجِرٌ، وَلَكِنَّ النَّظَرَ لِلْقَصْدِ وَالنِّيَّةِ وَلَيْسَ لِلصُّورَةِ، فَإِذَا انْتَقَلَ مِنْ بَلَدِ الْكُفْرِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ مِنْ أَجْلِ

الرِّفَاهِيَّة، أَوْ مِنْ أَجْلِ الطَّمَعِ الدُّنْيَوِيِّ، أَوْ التَّجَارَةِ، أَوْ الْعَيْشِ الرَّغْدِ، فَهَذَا لَا يُكْتَبُ مَعَ الْمُهَاجِرِينَ، وَلَيْسَ لَهُ ثَوَابٌ، بِهِجْرَتِهِ.

قَالَ ﷺ: «أَوْ امْرَأَةً يَنْكِحُهَا»؛ كَمَنْ هَاجَرَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً تَعْلَقَ قَلْبُهُ بِهَا، وَهِيَ لَا تُرِيدُهُ إِلَّا إِذَا جَاءَ إِلَى بِلَادِهَا، فَهِيَ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِهَا وَقَالَتْ لَهُ: أَنَا لَا أَتَزَوَّجُكَ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ. فَهَاجَرَ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ؛ لِأَجْلِ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا، فَهَذَا لَيْسَ لَهُ ثَوَابٌ الْهَجْرَةِ عِنْدَ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَتْ صُورَةُ عَمَلِهِ هِيَ صُورَةُ الْهَجْرَةِ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ قَصْدُهُ لَيْسَ الدِّينَ، وَإِنَّمَا قَصْدُهُ الزَّوْاجُ بِالْمَرْأَةِ لَمْ يُكْتَبْ لَهُ ثَوَابٌ عِنْدَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَأَفْلَسَ مِنْ ثَوَابِ الْمُهَاجِرِ، وَاللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - يَعْلَمُ مَا فِي الْقُلُوبِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَتَعْلَمُونَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٦]، فَلَا يَعْلَمُ مَا فِي الْقُلُوبِ إِلَّا اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -، أَمَّا النَّاسُ فَلَا يَعْلَمُونَ.

وَالنِّيَّةُ مَحَلُّهَا الْقَلْبُ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ، وَالتَّلَفُّظُ بِهَا بَدْعَةٌ، فَلَا يَقُولُ الْمُسْلِمُ: نَوَيْتُ أَنْ أَصِلِّيَ، أَوْ نَوَيْتُ أَنْ أَحُجَّ، أَوْ نَوَيْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ؛ لِأَنَّ هَذَا بَدْعَةٌ، لِأَنَّ النِّيَّةَ مَحَلُّهَا الْقَلْبُ، وَهِيَ عَمَلٌ قَلْبِيٌّ وَلَيْسَتْ عَمَلٌ لِسَانِيٍّ، وَفِي الْمُجَاهَرَةِ بِهَا رِيَاءٌ، وَلَمْ يَثْبُتْ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ تَلَفَّظَ بِالنِّيَّةِ عِنْدَمَا يُرِيدُ الصَّلَاةَ، أَوْ يُرِيدُ أَيَّ عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ، نَعَمْ جَاءَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ أَحْرَمَ بِقَوْلِهِ: «لَبَّيْكَ عُمْرَةً وَحَجًّا»^(١)، هَذَا لَيْسَ تَلَفُّظًا بِالنِّيَّةِ وَإِنَّمَا هُوَ تَلَفُّظٌ بِالْمَنْوِيِّ، وَهُوَ النَّسْكُ الَّذِي يُرِيدُ: هَلْ يُرِيدُ حَجًّا؟ هَلْ يُرِيدُ عُمْرَةً؟ هَلْ يُرِيدُ

(١) أخرجه مسلم (١٢٥١) من حديث أنس رضي الله عنه.

أَنْ يُقَرْنَ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ؟ هَلْ يُرِيدُ أَنْ يُفْرَدَ بِالْحَجِّ؟ هَلْ يُرِيدُ التَّمَتُّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ؟ فَهُوَ يُعَيِّنُ النُّسْكَ الَّذِي يُرِيدُهُ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يَنْطِقُ بِالنِّيَّةِ، فَهُوَ لَا يَقُولُ: نَوَيْتُ الْحَجَّ، أَوْ نَوَيْتُ الْعُمْرَةَ، أَوْ نَوَيْتُ التَّمَتُّعَ، أَوْ نَوَيْتُ الْقِرَانَ، وَلَا يَقُولُ: أُرِيدُ الْحَجَّ، أَوْ أُرِيدُ الْعُمْرَةَ. كَلِمَةُ (أُرِيدُ) لَا تَجُوزُ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ يَقُولُ بِهَا، وَلَكِنَّ هَذَا غَلَطٌ، وَإِنَّمَا الَّذِي وَرَدَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ التَّلَفُّظُ بِالنُّسْكِ مِنْ بَابِ التَّعْيِينِ لِلنُّسْكِ الَّذِي يُرِيدُهُ لَا مِنْ بَابِ النُّطْقِ بِالنِّيَّةِ.

فَلَا يَجُوزُ التَّلَفُّظُ بِالنِّيَّةِ لَا عِنْدَ الصَّلَاةِ، وَلَا عِنْدَ الزَّكَاةِ، وَلَا عِنْدَ أَيِّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ، بَلْ يُؤَدِّيهِ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّلَفُّظِ بِالنِّيَّةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِهِ، حَتَّى لَوْ قَالَ: إِنَّهُ يَنْوِي وَجْهَ اللَّهِ. وَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ، فَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِهِ، وَلَا يُفِيدُهُ هَذَا اللفظُ، فَالتَّلَفُّظُ بِالنِّيَّةِ بَدْعَةٌ؛ لِأَنَّ مَحَلَّهَا الْقَلْبُ، وَالْجَهْرُ بِهَا بَدْعَةٌ، وَهُوَ أَيْضًا رِيَاءٌ، وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ مُهِمَّةٌ جِدًّا، لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ لَا يَزَالُونَ يَنْطِقُونَ بِالنِّيَّةِ عِنْدَ الطَّوَافِ، وَعِنْدَ الصَّلَاةِ، وَعِنْدَ أَيِّ عَمَلٍ يَعْمَلُونَهُ، وَهَذِهِ بَدْعَةٌ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، وَإِنْ كَانُوا يَنْسِبُونَ إِلَى الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّهُ قَالَ بِالتَّلَفُّظِ بِالنِّيَّةِ. فَهَذَا مَرْدُودٌ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَوَّلًا: هَذَا لَمْ يَصِحَّ عَنِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ.

ثَانِيًا: لَوْ صَحَّ عَنِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ فَلَيْسَ حُجَّةً؛ لِأَنَّ الْإِمَامَ الشَّافِعِيَّ مُجْتَهِدٌ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ، وَالْحُجَّةُ فِي كَلَامِ الرَّسُولِ ﷺ، لَا فِي كَلَامِ الشَّافِعِيِّ وَلَا أَحْمَدَ وَلَا أَبِي حَنِيفَةَ وَلَا مَالِكٍ، وَلَا يَكُونُ قَوْلُ الْعَالِمِ حُجَّةً إِلَّا إِذَا وَافَقَ الدَّلِيلَ.

ثَالِثًا: الَّذِي رُوِيَ عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: الصَّلَاةُ لَيْسَتْ كَغَيْرِهَا، الصَّلَاةُ

لَا يُدْخَلُ فِيهَا إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ^(١). والمراد بالذكر: التكبير.
 فعلى كل حال النية عمل قلبي، ولا يجوز التلفظ بها، والله أنكر على
 الأعراب الذين قالوا: ﴿ءَامَنَّا﴾، فقال - جلَّ وعلا - مخاطباً رسوله:
 ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]،
 إلى قوله: ﴿قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٦]، فالله سبحانه لا
 يحتاج أن تعلمه عن نيتك بقولك: أَنَا نَوَيْتُ كَذَا، وَأَنَا عَمِلْتُ لَكَ كَذَا وَكَذَا،
 اللَّهُ يَعْلَمُ هَذَا بِدُونِ أَنْ تُخْبِرَهُ - سبحانه وتعالى -، فعليك بإصلاح النية
 وإسرار النية وعدم التلفظ بها.

وَأَمَّا التَّلَفُّظُ عِنْدَ ذَبْحِ الْأُضْحِيَّةِ فَلَيْسَ تَلَفُظًا بِالنِّيَّةِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: «اللَّهُمَّ
 مِنْكَ وَلَكَ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَأُمِّتِهِ، بِاسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ ذَبَحَ»^(٢) هَذَا دُعَاءٌ
 وَتَلَفُظٌ بِالْمَنْوِيِّ وَلَيْسَ تَلَفُظًا بِالنِّيَّةِ، وَهُوَ مِثْلُ التَّلَفُّظِ بِالنُّسْكِ، فَإِذَا ذَبَحْتَ
 الْأُضْحِيَّةَ فَإِنَّكَ تُعَيِّنُ الَّذِي قَصَدْتَهُ، هَلْ هُوَ لَكَ أَوْ لِيَوَالِدِكَ أَوْ لِأَحَدٍ؟ فَمِنْ
 أَجْلِ التَّمْيِيزِ تُعَيِّنُ الَّذِي قَصَدْتَهُ.

* * *

(١) انظر: زاد المعاد (١/٢٠١)، ومروحة المفاتيح (١/٩٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٧٩٥) واللفظ له، وابن ماجه (٣١٢١)، والدارمي في سننه (١٩٤٦)، وابن
 خزيمة في صحيحه (٢٨٧/٤)، والحاكم في المستدرک (١/٦٣٩)، والبيهقي في الكبرى
 (٢٨٧/٩) وفي شعب الإيمان (٥/٤٧٥)، وأحمد في المسند (٣/٣٧٥) عن جابر ابن عبد الله
رضي الله عنه قال: «ذَبَحَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الذَّبْحِ كَبْشَيْنِ أَقْرَنَيْنِ أَمْلَحَيْنِ مُوجَّعَيْنِ، فَلَمَّا وَجَّهَهُمَا قَالَ: اللَّهُمَّ
 مِنْكَ وَلَكَ عَنْ مُحَمَّدٍ وَأُمِّتِهِ، بِاسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ ذَبَحَ».

وأصل الحديث في البخاري (٥٥٥٣، ٥٥٥٤، ٥٥٥٨)، ومسلم (١٩٦٦) من حديث أنس،
 ومسلم (١٩٦٧) من حديث عائشة رضي الله عنها، وليس فيه: «مِنْكَ وَلَكَ».

الحديث الثاني

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رِبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ، قَالَ: ثُمَّ انْطَلِقْ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ ^(١).

هَذَا الْحَدِيثُ حَدِيثٌ عَظِيمٌ بَيَّنَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَرْكَانَ الْإِسْلَامِ، وَأَرْكَانَ الْإِيمَانِ، وَبَيَّنَّ فِيهِ الْإِحْسَانَ، وَبَيَّنَّ فِيهِ شَيْئًا مِنْ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ، وَهَذَا الْحَدِيثُ بَيَّنَّ الدِّينَ كُلَّهُ، وَأَنَّ الدِّينَ مَرَاتِبٌ، وَالنَّاسُ لَيْسُوا عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ فِي

الدِّينِ، فَمِنْهُمْ: الْمُسْلِمُ، ثُمَّ الْمُؤْمِنُ، ثُمَّ الْمُحْسِنُ، وَهَذِهِ مَرَاتِبُ بَعْضِهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَبَعْضُهَا أَوْسَعُ مِنْ بَعْضٍ، إِلَّا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَحَدٍ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ حَسَبِ الْإِسْطَاعَةِ.

قَوْلُهُ: «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ»، فَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - مِنْ عَادَتِهِمْ أَنَّهُمْ يَجْلِسُونَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ وَيَسْتَرْشِدُونَ مِنْهُ، وَيَسْأَلُونَهُ عَنْ أُمُورِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَفِي جَلْسَةٍ مِنْ جَلْسَاتِهِمْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ فِي صُورَةٍ عَجِيبَةٍ، لَمْ يَكُونُوا يَأْلِفُونَهَا، كَمَا قَالَ: «إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ»، فَهَذَا مِنَ الْعَجَائِبِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لَعَرَفُوهُ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ مِنْ خَارِجِ الْبَلَدِ، وَلَكِنْ لَيْسَ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ؛ لِأَنَّ الْعَادَةَ أَنَّ الْمَسَافِرَ يَكُونُ شَعْنًا، «أَشْعَثَ أَغْبَرَ»^(١) كَمَا فِي الْحَدِيثِ؛ لِأَنَّ السَّفَرَ يَقْتَضِي أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَعْتَنِي بِنَفْسِهِ أَوْ بِهِنْدَامِهِ أَوْ بِجِسْمِهِ، فَهَذَا الرَّجُلُ لَيْسَ غَرِيبًا وَلَيْسَ مُوَاطِنًا؛ لِأَنَّهُ لَا يَظْهَرُ عَلَيْهِ عِلَامَاتُ السَّفَرِ، وَلَيْسَ مُوَاطِنًا؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ، وَلَوْ كَانَ فِي الْبَلَدِ لَعَرَفُوهُ، وَتَبَيَّنَ فِي الْأَخِيرِ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ هُوَ جَبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَتَى بِهِذِهِ الصُّورَةَ.

وَكَانَ جَبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَأْتِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَالِبِ فِي صُورَةِ رَجُلٍ؛ لِأَنَّ بَنِي آدَمَ لَا يَسْتَطِيعُونَ رُؤْيَا الْمَلِكِ عَلَى خَلْقَتِهِ الْمَلَكِيَّةِ، فَكَانَ يَأْتِي فِي صُورَةِ رَجُلٍ حَتَّى لَا يَنْفِرَ النَّاسُ مِنْهُ، وَلَا يَسْتَوْحِشُوا مِنْهُ، هَذَا هُوَ الْغَالِبُ؛ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَظْهَرُ لِبَنِي آدَمَ فِي صُورَتِهَا الْحَقِيقِيَّةِ إِلَّا عِنْدَ نُزُولِ الْمَوْتِ أَوِ الْعَذَابِ، فَإِذَا نَزَلَ الْمَوْتُ أَوِ الْعَذَابُ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - ظَهَرَتْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى صُورَتِهَا، قَالَ

(١) أخرجه مسلم (١٠١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٢٢]، أَمَّا إِذَا جَاؤُوا فِي حَالَةِ الْأَمْنِ فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ بِصُورَةٍ مَّا لَوْ فَةِ لِلنَّاسِ، وَاللَّهُ أَقْدَرُهُمْ عَلَى التَّصَوُّرِ بِصُورٍ مُخْتَلِفَةٍ.

وَلَمْ يَرِ النَّبِيُّ ﷺ جَبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ الْمَلَكِيَّةِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ (١):
المرَّة الأولى: فِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ حِينَئِذٍ اشْتَدَّ بِهِ الْكَرْبُ مِنْ أَذَى قَوْمِهِ، رَأَى جَبْرِيلَ فِي الْأُفُقِ عَلَى صُورَتِهِ الْمَلَكِيَّةِ جَاءَ يُطَمِّنُهُ وَيُصَبِّرُهُ عَلَى مَا يَلْقَى (٢).
المرَّة الثَّانِيَّةُ: رَأَى جَبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ الْمَلَكِيَّةِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ﴿[النجم: ١٣]، أَمَّا فِي بَقِيَّةِ الْأَحْوَالِ فَكَانَ يَأْتِي إِلَى الرَّسُولِ ﷺ فِي صُورَةِ رَجُلٍ مِنْ أَحْسَنِ الرِّجَالِ.

قَوْلُهُ: «شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ» مِنَ النَّظَافَةِ، وَقَوْلُهُ: «شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ» يَعْنِي: فِي صُورَةٍ جَمِيلَةٍ، وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ حِينَئِذٍ يَحْضُرُ إِلَى مَجْلِسِ الْعِلْمِ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَجَمَّلَ، وَأَنْ يَأْتِيَ بِصُورَةٍ نَظِيفَةٍ جَمِيلَةٍ؛ لِأَنَّ جَبْرِيلَ جَاءَ مُعَلِّمًا وَمُتَعَلِّمًا، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ عَلَّمَهُمْ كَيْفَ يَأْتُونَ إِلَى مَجْلِسِ الرَّسُولِ ﷺ؛ لِأَنَّ مَجْلِسَ الْعِلْمِ مَجْلِسُ وَقَارٍ، وَاللِّقَاءُ بِالرَّسُولِ ﷺ وَاللِّقَاءُ بِالْعُلَمَاءِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لَهُ اسْتِعْدَادٌ، وَإِجْلَالُ الْعُلَمَاءِ مَطْلُوبٌ؛ لِأَنَّكَ إِذَا لَمْ

(١) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ (٣٢٣٥)، وَمُسْلِمٌ (١٧٧) وَاللَّفْظُ لَهُ عَنْ مَسْرُوقٍ أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ

قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾، فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جَبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمَ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ».

(٢) كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٢٣١)، وَمُسْلِمٌ (١٧٩٥)، مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

تُجَلُّ الْعَالِمَ وَتَحْتَرِمُهُ لَمْ تَسْتَفِدْ مِنْ عِلْمِهِ، فَقَوْلُهُ: «فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ» فِيهِ آدَابٌ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنْهَا:

أَوَّلًا: أَنَّهُ يَتَجَمَّلُ فِي هَيْئَتِهِ وَصُورَتِهِ.

ثَانِيًا: أَنَّهُ يَجْلِسُ أَمَامَ الْمُعَلِّمِ مُقْبِلًا عَلَيْهِ لِيَتَلَقَّى مِنْهُ الْعِلْمَ، وَلَا يُعْرِضُ عَنْهُ، أَوْ يَلْتَفِتُ، أَوْ يَمْرَحُ، أَوْ يَنْشَغِلُ، بَلْ يَكُونُ مُقْبِلًا عَلَى الْمُعَلِّمِ بِجِسْمِهِ وَبِفِكَرِهِ؛ لئَلَّا تَفُوتَهُ فُرْصَةُ التَّعَلُّمِ.

قَوْلُهُ: «فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ» أَي: أَسْنَدَ جَبْرِيْلُ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْ النَّبِيِّ ﷺ مُقَابِلًا لَهُ وَقَرِيبًا مِنْهُ، وَفِي هَذَا أَنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَقْرُبُ مِنَ الْمُعَلِّمِ لِيَكُونَ الْفَائِدَةُ مُتَّصِلَةً، أَمَّا الْبَعِيدُ فَإِنَّهُ قَدْ لَا يَسْمَعُ، وَإِذَا سَمِعَ قَدْ لَا يَسْتَوْضِحُ الصَّوْتَ، فَإِذَا كَانَ قَرِيبًا فَإِنَّهُ يَسْمَعُ وَيَسْتَوْضِحُ الصَّوْتَ تَمَامًا، وَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - يُحَدِّقُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَيَقْرَبُونَ مِنْهُ وَقَدْ تَلَقَّيَهُمُ الْعِلْمَ عَنْهُ ﷺ (١).

قَوْلُهُ: «وَوَضَعَ كَفَّيْهِ» أَي: وَضَعَ جَبْرِيْلُ كَفَّيْهِ «عَلَى فَخْذَيْهِ» أَي: عَلَى فَخْذَيْ جَبْرِيْلَ، وَهَذَا فِيهِ أَنَّ الْمُتَعَلِّمَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِصُورَةٍ هَادِئَةٍ مُؤَدَّبَةٍ، وَلَا يُكْثِرُ مِنَ الْحَرَكَاتِ أَوْ مِنَ الْإِلْتِفَاتِ أَوْ مِنَ الشَّوَاغِلِ الَّتِي تُشْغِلُهُ عَنْ تَلَقِّي الْعِلْمِ.

ثُمَّ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، وَهَذَا فِيهِ أَنَّهُ إِذَا جَلَسَ وَاطْمَأَنَّ فَلَهُ أَنْ يَسْأَلَهُ، وَلَا

(١) أخرجه الترمذي (٥٠٩)، وأبو يعلى في مسنده (٢٨٢ / ٩)، وأبونعيم في الحلية (٢٣٦ / ٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْمِنْبَرِ اسْتَقْبَلْنَاهُ بِوُجُوهِنَا». وفي إسناده محمد بن الفضل بن عطية، وهو ضعيف. وللحديث شاهد عند البخاري (٩٢١)، ومسلم (١٠٥٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: «جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ».

يَسْأَلُ أَوَّلَ مَا يَأْتِي وَإِنَّمَا يَجْلِسُ أَوَّلًا مُتَأَدِّبًا ثُمَّ يَسْأَلُ، هَذِهِ صِفَةُ طَالِبِ الْعِلْمِ، وَهَذِهِ آدَابُ طَالِبِ الْعِلْمِ، سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ عَالِمٌ بِالْجَوَابِ، لَكِنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ لِيُعَلِّمَ أَصْحَابَهُ، وَهَذَا فِيهِ التَّعْلِيمُ بِطَرِيقَةِ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ؛ لِأَنَّهُ أَتَبَهُ لِلذَّهْنِ، فَتَسْأَلُ الطَّالِبُ أَوَّلًا ثُمَّ تُجِيبُ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَنَبَّهُ، أَمَّا إِذَا أَلْقَيْتَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ ابْتِدَاءً فَإِنَّهُ قَدْ لَا يَتَنَبَّهُ، فَمِنْ طُرُقِ تَعْلِيمِ الْعِلْمِ النَّافِعَةِ السُّؤَالُ وَالْجَوَابُ.

فَقَالَ: «أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ» أَيُّ: بَيِّنْ لِي حَقِيقَةَ الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ الْإِسْلَامِ، فَلَا يَكْفِي أَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْتَسِبُ إِلَى الْإِسْلَامِ، أَوْ يَقُولُ: أَنَا مُسْلِمٌ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُ حَقِيقَةَ الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَعْرِفْ حَقِيقَةَ الْإِسْلَامِ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ؛ إِذْ كَيْفَ يَعْمَلُ بِشَيْءٍ يَجْهَلُهُ؟! فَالْإِسْلَامُ لَا يَكْفِي فِيهِ الْإِنْتِسَابُ مَعَ الْجَهْلِ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ حَقِيقَتِهِ حَتَّى يُؤَدِّيَهُ عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، هَذِهِ الْأَرْكَانُ الْخَمْسَةُ لَا بُدَّ مِنْ أَدَائِهَا مَعَ اعْتِقَادِ الْقَلْبِ، وَمَا زَادَ عَلَى هَذِهِ الْخَمْسَةِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ أَوْ مِنَ الْمُسْتَحَبَّاتِ، وَتَرْكُ الْمَحْرَمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ فَإِنَّهُ مُكْمَلٌ لِهَذِهِ الْأَرْكَانِ، إِمَّا تَكْمِيلًا وَاجِبًا، وَإِمَّا تَكْمِيلًا مُسْتَحَبًّا، فَهَذِهِ الْأَرْكَانُ هِيَ الْأَسَاسَاتُ الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ، ثُمَّ تَأْتِي بَقِيَّةُ الْأَعْمَالِ مِنْ وَاجِبٍ وَمُسْتَحَبٍّ، أَمَّا إِذَا تَرَكَ الْعَبْدُ هَذِهِ الْأَرْكَانَ أَوْ تَرَكَ شَيْئًا مِنْهَا فَلَنْ يَنْفَعَهُ مَا عَدَاهَا مِنَ الْوَاجِبَاتِ أَوْ الْمُسْتَحَبَّاتِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَبْنِ عَلَى أُسَاسٍ، فَالْبِنَاءُ إِنَّمَا يَقُومُ عَلَى أُسَاسٍ.

فَهَذِهِ الْأَرْكَانُ لَيْسَتْ هِيَ كُلُّ الْإِسْلَامِ، وَإِنَّمَا هِيَ أَرْكَانُهُ فَقَطْ وَدَعَائِمُهُ،

وَالْإِسْلَامُ سَلَامٌ وَاسِعٌ، وَكُلُّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَتَرَكَ مَا نَهَى عَنْهُ فَإِنَّهُ مِنَ الْإِسْلَامِ؛ وَلِهَذَا قَالَ ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»^(١)، فالإسلام يشمل فعل الأوامر وترك المنهيات، فَإِنْ نَقَصَ شَيْءٌ فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ النِّقْصُ فِي الْأَرْكَانِ فَإِنَّهُ لَا يَصِحُّ لَهُ إِسْلَامٌ، وَإِنْ كَانَ النِّقْصُ فِي غَيْرِهَا فَإِنَّهُ يَكُونُ إِسْلَامًا نَاقِصًا بِحَسَبِ مَا تُرِكَ، وَاللَّهُ - جَلَّ

وَعَلَا - يَقُولُ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨] أَي: ادْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ كُلِّهِ، فَلَا تَأْخُذُوا بَعْضَهُ وَتَتْرَكُوا بَعْضَهُ، بَلْ يَأْخُذِ الْمُسْلِمُ مِنَ الْإِسْلَامِ مَا يَسْتَطِيعُ، وَلَا يَقْتَصِرُ عَلَى بَعْضِهِ وَيَقُولُ: هَذَا يَكْفِي.

وَالْإِسْلَامُ: هُوَ الْإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - بِالتَّوْحِيدِ، وَالْإِنْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشُّرْكِ وَأَهْلِهِ. هَذَا تَعْرِيفُهُ الْعَامُّ؛ كَمَا ذَكَرَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَنَقَلَهُ عَنْهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ فِي (ثَلَاثَةِ الْأُصُولِ)^(٢)، هَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ بِمَعْنَاهُ الْعَامُّ، وَهَذِهِ الْخَمْسَةُ هِيَ أَرْكَانُهُ وَدَعَائِمُهُ، فَلَيْسَتْ هِيَ كُلُّ الْإِسْلَامِ، بَلْ هِيَ مَبَانِيهِ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ الْآتِي، قَالَ ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...»^(٣) الْحَدِيثُ، فَهَذِهِ الْخَمْسُ هِيَ مَبَانِيهِ، أَي: قَوَاعِدُهُ وَأَسَاسَاتُهُ.

(١) هذا الحديث ورد بألفاظ متقاربة في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو، وجابر، وأبي

موسى رضي الله عنه، فقد رواه البخاري برقم (١٠، ١١، ٦٤٨٤)، ومسلم (٤٠، ٤١، ٤٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٨١ / ٦)، ومجموع الفتاوى (٢٣٩ / ٥)، ومؤلفات الإمام محمد بن عبد

الوهاب - رسالة ثلاثة الأصول (١٣٧ / ٦)، وعقيدة الفرقة الناجية (ص ١٧).

(٣) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦)، وسيأتي في الأربعين (ص ٨٧)، الحديث الثالث.

فَذَكَرَ أَنَّ الْإِسْلَامَ خَمْسَةٌ أَرْكَانٍ، وَهِيَ:

شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ لِمَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، هَذِهِ الْأَرْكَانُ الظَّاهِرَةُ.

الرُّكْنُ الْأَوَّلُ: الشَّهَادَتَانِ؛ لِأَنَّهُ لَا تُغْنِي إِحْدَاهُمَا عَنِ الْأُخْرَى، فَلَوْ شَهِدَ (أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَانْكَرَ (أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ) فَإِنَّهُ لَا تَصِحُّ شَهَادَتُهُ (أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)؛ وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ (أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ) وَلَمْ يَعْتَرِفْ (أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) لَمْ تَنْفَعُهُ شَهَادَتُهُ بِالرَّسَالَةِ، فَلَا بُدَّ مِنَ الشَّهَادَتَيْنِ جَمِيعًا:

* شَهَادَةُ (أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)؛ وَمَعْنَاهَا: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ.

* وَشَهَادَةُ (أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ) وَمَعْنَاهَا: إِفْرَادُ النَّبِيِّ بِالِاتِّبَاعِ وَالِاقْتِدَاءِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لِأَنَّهُ مُبَلَّغٌ عَنِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا. فَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالشَّهَادَتَيْنِ التَّلَفُّظَ بِهِمَا فَقَطْ، بَلْ لَا بُدَّ مِنَ الْعَمَلِ بِهِمَا.

وَمَعْنَى (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، أَيُّ: اعْتَرِفْتُ وَأُوقِنُ بَأَنَّهُ لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللَّهُ؛ فَإِنَّ (لَا) نَافِيَةٌ لِلْجِنْسِ، وَ(إِلَهَ) اسْمُهَا مَبْنِيٌّ مَعَهَا عَلَى الْفَتْحِ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ، وَالْخَبَرُ مُقَدَّرٌ تَقْدِيرُهُ (بِحَقٍّ) ^(١)، فَيَكُونُ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: لَا إِلَهَ بِحَقٍّ، وَلَيْسَ مَعْنَى (لَا إِلَهَ) أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ آلِهَةٌ، فَلَيْسَ الْمُرَادُ نَفْيَ الْآلِهَةِ، وَلَكِنَّ الْمُرَادَ نَفْيَ الْآلِهَةِ الَّتِي هِيَ حَقٌّ، وَإِلَّا فَهُنَاكَ آلِهَةٌ كَثِيرَةٌ بَاطِلَةٌ، فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْقَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْكَوَاكِبَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّجَرَ وَالْحَجَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْأَمْوَاتَ وَالْقُبُورَ

وَالْأَضْرَحَةُ، حَتَّى إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْبَقَرَةَ؛ كَمَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي الْهِنْدِ، بَلْ هُنَاكَ مَنْ يَعْبُدُ الْفُرُوجَ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - فَالْإِلَهَةُ كَثِيرَةٌ، وَلَكِنَّ الْإِلَهَ الْحَقُّ هُوَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَكَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

و(الِإِلَهَةُ) مَعْنَاهُ الْمَعْبُودُ، أَيُّ: لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ، فَيَنْفِي هَذَا كُلَّ مَعْبُودٍ بِالْبَاطِلِ، وَكُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ فَهُوَ مَعْبُودٌ بِالْبَاطِلِ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَكَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾، فَهَذَا مَعْنَى الشَّهَادَةِ، وَلَيْسَ تَقْدِيرُ الْخَيْرِ (مَوْجُودٌ) ^(١) مِثْلَ مَا يَقُولُهُ بَعْضُ النَّاسِ: لَا إِلَهَ مَوْجُودٌ. فَإِنَّ هَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ، فَالْإِلَهَةُ الْمَوْجُودَةُ كَثِيرَةٌ، وَكُلُّ يَعْلَمُ أَنَّ النَّاسَ يَعْبُدُونَ إِلَهَةً مُتَفَرِّقَةً، مُنْذُ حَدَثَ الشِّرْكُ فِي الْأَرْضِ وَإِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ وَالشِّرْكُ مَوْجُودٌ وَالْمَعْبُودَاتُ مَوْجُودَةٌ وَكَثِيرَةٌ، وَلَكِنَّ الْإِلَهَ الْحَقَّ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: ٨٤]، فَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَهُ الْأُلُوهِيَّةُ الْحَقَّةُ، وَأَمَّا مَا عَدَاهَا فَأُلُوهِيَّةٌ بَاطِلَةٌ، وَمَعْبُودٌ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَهَذَا مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَهَذَا إِعْرَاجُهَا عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ ^(٢).

وَمَعْنَى (أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ) أَيُّ: أَعْتَرَفْتُ وَأَقْرَأْتُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ، أَرْسَلَهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، إِلَى الثَّقَلَيْنِ: الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِقْرَارِ بِرِسَالَتِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، ظَاهِرًا بِاللِّسَانِ، وَبَاطِنًا بِالْقَلْبِ، أَمَّا مَنْ

(١) انظر: الدرر السنية (٢/ ٢٦١).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص ١١١ وما بعدها)، والدرر السنية (٢/ ٢٥٧).

يَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ بِاللِّسَانِ وَيُنْكِرُ بِالْقَلْبِ فَهَذَا مُنَافِقٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، كَاذِبُونَ فِي شَهَادَتِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْتَرِفُونَ لَكَ بِالرَّسَالَةِ بِقُلُوبِهِمْ، وَإِنَّمَا يَتَلَفَّظُونَ بِذَلِكَ لِأَجْلِ مَطَامِعِ الدُّنْيَا وَالْعَيْشِ مَعَكُمْ، ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً﴾ [المنافقون: ٢]، يَعْنِي سُرَّةَ يَسْتَتِرُونَ بِهَا، وَإِلَّا فَهُمْ كُفَّارٌ فِي قُلُوبِهِمْ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْاعْتِرَافِ بِرِسَالَتِهِ ﷺ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا. وَكَذَلِكَ الَّذِي يَعْتَرِفُ بِرِسَالَتِهِ بَاطِنًا وَيَأْبَى أَنْ يَنْطِقَ بِهَا ظَاهِرًا هَذَا لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ، فَالْمُشْرِكُونَ يَعْتَرِفُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، يَعْتَرِفُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، لَكِنْ مَنَعَهُمُ الْكِبَرُ وَمَنَعَهُمُ الْحَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةُ لِأَلِهَتِهِمْ أَنْ يَشْهَدُوا بِرِسَالَتِهِ ﷺ. أَيْضًا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى يَعْتَرِفُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ بِقُلُوبِهِمْ، لَكِنْ جَحَدُوا هَذَا، وَلَمْ يَعْتَرِفُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ ﴿أَيُّ: رَسُولَ اللَّهِ ﷺ﴾ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]، فَلَا يَكْفِي الْاعْتِرَافُ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ بَاطِنًا فِي الْقَلْبِ مَعَ عَدَمِ النُّطْقِ بِاللِّسَانِ لِمَنْ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ الْمَشْرِكِينَ وَالْيَهُودَ وَالنَّصَارَى كَانُوا يَعْتَرِفُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي قُلُوبِهِمْ، لَكِنْ أَبَوْا أَنْ يُقَرُّوا بِأَلْسِنَتِهِمْ، خَوْفًا عَلَى دُنْيَاهُمْ، أَوْ خَوْفًا عَلَى رِئَاسَتِهِمْ، أَوْ حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ لِلرَّسُولِ ﷺ، أَوْ تَكَبُّرًا، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَغْرَاضِ السَّيِّئَةِ. ثُمَّ إِذَا شَهِدَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَّبِعَهُ، فَإِنْ شَهِدَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا

ظَاهِرًا وَبَاطِنًا لَكِنَّهُ لَمْ يَتَّبِعْهُ، لَمْ تَصِحَّ شَهَادَتُهُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [القصص: ٥٠]، فَإِذَا لَمْ يُطِيعْهُ فِي شَيْءٍ فَهَذَا كَافِرٌ، وَإِنْ أَطَاعَهُ فِي أَشْيَاءٍ وَلَمْ يُطِيعْهُ فِي بَعْضِ الْأَشْيَاءِ فَهَذَا شَهَادَتُهُ نَاقِصَةٌ، عِنْدَهُ نَقْصٌ بِحَسَبِ مَا تَرَكَ، فَلَا بُدَّ مِنْ طَاعَتِهِ ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَاتَّبِعُوا مَن تَشَاءُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٠]، ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٣]، ﴿ مَن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ [النور: ٥٤]، فَتَارَةً يَذْكُرُ طَاعَتَهُ مَعَ طَاعَةِ اللَّهِ، وَتَارَةً يَذْكُرُ طَاعَتَهُ وَخُذَهَا، فَلَا بُدَّ مِنْ طَاعَتِهِ ﷺ وَاتِّبَاعِهِ، وَلَا بُدَّ أَيْضًا مِنَ الْاِقْتِصَارِ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ وَعَدَمِ الزِّيَادَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ، فَلَا يَأْتِي بِأَشْيَاءٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ لَمْ يُشَرِّعْهَا الرَّسُولُ ﷺ، قَالَ ﷺ: «وَأَيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(١)، وَقَالَ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(٢).

فَمِنْ مَعَانِي شَهَادَةِ (أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ) تَرْكُ الْبِدْعِ وَالْمُحَدَّثَاتِ،

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣، ٤٤)، وأحمد (١٢٦/٤)، والدارمي (٩٥)، والطبراني في الكبير (٦٢٣)، وابن حبان (١٧٩/١) من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٨)، ورواه البخاري معلقاً في كتاب البيوع - باب النجش (٣٥٦/٤ فتح)، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ (٣١٧/١٣ فتح).

والاقتصار على ما جاء به الرسول ﷺ.

ثُمَّ أَيْضًا لَا بُدَّ مِنْ تَصَدِيقِهِ ﷺ فِيمَا أَخْبَرَ وَفِيمَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ ^(١)، فَلَوْ عَمِلَ الْعَبْدُ بِمَا جَاءَ بِهِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يُصَدِّقْهُ، فَهَذِهِ طَرِيقَةُ الْمُنَافِقِينَ، فَهُمْ يُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ وَيُحْجُّونَ وَيُجَاهِدُونَ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يُصَدِّقُونَ بِمَا جَاءَ بِهِ ﷺ، فَلَا بُدَّ مِنْ تَصَدِيقِهِ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مِنَ الْمَغِيبَاتِ الْمَاضِيَةِ وَالْمُسْتَقْبَلَةِ، وَفِيمَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، لَا بُدَّ مِنْ تَصَدِيقِهِ وَعَدَمِ الشَّكِّ فِي شَيْءٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - فِي حَقِّهِ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤]، وَكَمَا قَالَ - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَنْ نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وَتَجِبُ طَاعَتُهُ وَالْاِقْتِدَاءُ بِهِ، وَتَرْكُ الْبِدْعِ وَالْمُحَدَّثَاتِ الَّتِي لَمْ يَأْتِ بِهَا ﷺ، فَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِيمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَمَا لَمْ يَأْتِ بِهِ فَهُوَ شَرٌّ وَلَيْسَ بِخَيْرٍ، وَلَوْ كَانَ صَاحِبُهُ يُرِيدُ بِهِ الْخَيْرَ وَيَقُولُ: هَذَا زِيَادَةٌ خَيْرٍ. نَقُولُ: لَا، هَذِهِ بِدْعَةٌ، وَالْبِدْعَةُ مَرْدُودَةٌ، وَهَذَا شَرٌّ، فَأَنْتَ بِزَعْمِكَ تَتَقَرَّبُ بِهَا لِلَّهِ وَهِيَ تُبْعِدُكَ عَنِ اللَّهِ.

فَهَذِهِ بَعْضُ مَعَانِي شَهَادَةِ (أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ)؛ كَذَلِكَ الَّذِي يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ، كَحَالَةِ الْمُشْرِكِينَ الْيَوْمَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الْإِسْلَامَ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْقُبُورَ وَالْأَصْرِحَةَ، هَؤُلَاءِ لَا تَصِحُّ شَهَادَتُهُمْ بِأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ لِأَنَّهُمْ نَاقِضُوهَا بِالشِّرْكِ، فَهُمْ يَتَلَفَظُونَ

(١) انظر: مؤلفات الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمته الله (١٣٧/٦) ثلاثة الأصول - ضمن القسم الأول: العقيدة والآداب الإسلامية.

ب(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَلَكِنَّ الْعَمَلَ عَلَى خِلَافِهَا، فَيَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ، وَيَدْعُونَ غَيْرَ اللَّهِ، وَيَسْتَغِيثُونَ بِالْأَمْوَاتِ، فَهَؤُلَاءِ لَمْ يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَقًّا، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّهُمْ يَتَنَاقَضُونَ.

الرُّكْنُ الثَّانِي: إِقَامُ الصَّلَاةِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ» أَي: تُؤَدِّي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ الْمَفْرُوضَةَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، مَا مَعْنَى تُقِيمُهَا؟ لِأَنَّهُ مَا قَالَ: وَأَنْ تُصَلِّيَ، إِنَّمَا قَالَ: «وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ»؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ إِقَامَةَ الصَّلَاةِ، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ صُورَةُ الصَّلَاةِ فَقَطْ، فَتُقِيمُ الصَّلَاةَ بِأَنْ تَأْتِيَ بِهَا كَمَا جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»^(١)، فَالَّذِي رَأَاهُ بَعَيْنُهُ يَقْتَدِي بِهِ، وَالَّذِي بَلَغَهُ خَبْرُهُ وَأَحَادِيثُهُ الصَّحِيحَةُ يَمْتَثِلُ وَيُصَلِّي كَمَا فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الَّتِي بَلَغَتْهُ، هَذَا مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُؤَدِّي الصَّلَاةَ بِهَا، وَلَا يُزِيدَ مِنْ عِنْدِهِ، أَوْ يُنْقُصَ مِنْهَا.

وَكَذَلِكَ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ: أَنْ يُصَلِّيَهَا فِي الْوَقْتِ الَّذِي حَدَّدَهُ اللَّهُ لَهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٠٣]، فَلَا يُخْرِجُهَا عَنْ وَقْتِهَا؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ أَنْ يُصَلِّيَ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَمَرَ أَنْ تُصَلِّيَ الصَّلَاةَ فِي وَقْتِهَا، وَقَدْ سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ: «الصَّلَاةُ لَوْ قُتِلَ»^(٢)، أَمَّا مَنْ يَتَصَرَّفُ وَيُصَلِّي عَلَى هَوَاهُ مَتَى مَا أَرَادَ وَمَتَى مَا قَامَ مِنْ نَوْمِهِ أَوْ فَرَغَ مِنْ شُغْلِهِ، فَهَذَا صَلَاتُهُ غَيْرُ صَحِيحَةٍ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُصَلِّ الصَّلَاةَ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا، وَإِنَّمَا صَلَّى صَلَاةً عَلَى حَسَبِ هَوَاهُ.

(١) أخرجه البخاري (٦٣١) من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وَكَذَلِكَ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ: الْخُشُوعُ فِيهَا، وَحُضُورُ الْقَلْبِ، فَالَّذِي يُصَلِّي بِجِسْمِهِ وَلَكِنْ قَلْبُهُ غَائِبٌ لَيْسَ لَهُ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ مِنْهَا وَحَضَرَ قَلْبُهُ فِيهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿[المؤمنون: ١، ٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، يَعْنِي: الصَّلَاةُ ثَقِيلَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ، فَإِنَّهَا تَكُونُ عَلَيْهِمْ مُيسَّرَةً وَيَتَلَذَّذُونَ بِهَا، وَالْخُشُوعُ رُوحُ الصَّلَاةِ، وَصَلَاةٌ بِلاَ خُشُوعٍ كَجَسَدٍ بِلاَ رُوحٍ، وَإِنْ كَانَ قَدْ صَلَّى فِي الظَّاهِرِ وَلَا يُؤْمَرُ بِالْإِعَادَةِ، لَكِنْ لَيْسَ لَهُ فِيهَا ثَوَابٌ، فَقَدْ يُخْرَجُ مِنْهَا وَلَيْسَ مَعَهُ أَجْرٌ أَبَدًا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَحْضُرْ قَلْبُهُ فِيهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، وَقَدْ يُخْرَجُ مِنْهَا بِشَيْءٍ يَسِيرٍ، وَقَدْ يُخْرَجُ مِنْهَا بِكَثِيرٍ، وَقَدْ يُخْرَجُ مِنْهَا بِأَجْرٍ كَامِلٍ، وَذَلِكَ حَسَبَ خُشُوعِهِ فِي الصَّلَاةِ.

وَمِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ صَلَاتُهَا فِي الْمَسَاجِدِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ الْجَمَاعَةَ وَاجِبَةٌ عَلَى الْأَعْيَانِ - يَعْنِي عَلَى الْأَشْخَاصِ - فَكُلُّ مُسْلِمٍ يَقْدِرُ عَلَى حُضُورِ الْمَسْجِدِ وَالصَّلَاةِ مَعَ الْجَمَاعَةِ يَجِبُ عَلَيْهِ ذَلِكَ، قَالَ ﷺ: «مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يَجِبْ فَلَا صَلَاةَ لَهُ إِلَّا مِنْ عُذْرٍ»^(١)، وَلَوْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ يُصَلِّي فِي مَكَانِهِ أَوْ فِي بَيْتِهِ لِمَاذَا شَرَعَ الْأَذَانُ؟ لِمَاذَا شَرَعَ أَنْ يَقُولَ الْمُؤَذِّنُ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ؟ يَعْنِي: تَعَالَوْا صَلُّوا مَعَ الْجَمَاعَةِ فِي بُيُوتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِلَّا مَنْ كَانَ لَهُ عُذْرٌ، أَوْ لَيْسَ عِنْدَهُ جَمَاعَةٌ، أَوْ لَيْسَ عِنْدَهُ مَسْجِدٌ فَلْيُصَلِّ فِي

(١) أخرجه ابن ماجه (٧٩٣)، وابن حبان في صحيحه (٤١٥ / ٥)، والطبراني في الأوسط (٣١٤ / ٤)، والكبير (١٢٢٦٦)، والحاكم في المستدرک (٣٧٣ / ١)، والدارقطني (٤٢٠ / ١)، والبيهقي في الكبرى (٥٧ / ٣)، والضياء المقدسي في المختارة (٢٣٩ / ١٠) من حديث ابن

مَكَانِهِ، أَمَّا الَّذِي حَوْلَ الْمَسْجِدِ وَيَسْمَعُ الْأَذَانَ وَهُوَ مُعَافٍ وَآمِنٌ فَلَا صَلَاةَ لَهُ إِذَا صَلَّى فِي بَيْتِهِ.

الرُّكْنُ الثَّلَاثُ: إِيْتَاءُ الزَّكَاةِ، وَهِيَ حَقٌّ فَرَضَهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩]، ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ (٢٤) لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿[المعارج: ٢٤]، [٢٥]، فَهِيَ حَقٌّ وَاجِبٌ وَلَيْسَتْ سُنَّةٌ أَوْ مُسْتَحَبَّةٌ أَوْ تَبَرُّعًا (١)، فَمَنْ أَدَّاهَا بِطَيِّبِ نَفْسٍ قُبِلَتْ مِنْهُ، وَمَنْ امْتَنَعَ مِنْ أَدَائِهَا فَإِنْ كَانَ مُنْكَرًا لَوْ جُوبِهَا فَهُوَ كَافِرٌ، وَإِنْ كَانَ مُعْتَرِفًا بِوُجُوبِهَا وَلَكِنْ مَنَعَهُ الْبُخْلُ مِنْ إِخْرَاجِهَا، فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ أَنْ يَأْخُذَهَا مِنْهُ قَهْرًا وَيُعْزِرَهُ وَيُؤَدِّبَهُ، وَإِنْ كَانَ مَعَهُ شَوْكَةٌ وَجُنُودٌ وَعُدَّةٌ يَمْتَنِعُ بِهِمْ، فَعَلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ أَنْ يُجَيِّشَ الْجَيْشَ لِقِتَالِهِ حَتَّى يُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ؛ كَمَا قَاتَلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَانِعِي الزَّكَاةِ فِي خِلَافَتِهِ (٢)، أَمَّا إِذَا كَانَ يَجْحَدُ وَجُوبَهَا وَيَقُولُ: لَيْسَتْ الزَّكَاةُ وَاجِبَةً، وَالنَّاسُ أَحْرَارٌ، فَهَذَا يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ مُرْتَدًّا وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٦ / ٢٠٠ - ٢٠٤)، وتفسير ابن كثير (٤ / ٢٣٥، ٢٣٦)، وفتح الباري (٣ / ٣٣٧)، وفتح القدير (٥ / ٨٤).

(٢) أخرج البخاري (١٤٠٠، ١٤٥٦)، ومسلم (٢٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لَمَّا تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ، وَنَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابِهِ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ لَا قَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عَقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَوَاللَّهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ».

الرُّكْنُ الرَّابِعُ: صَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَصُومَ شَهْرَ رَمَضَانَ أَدَاءً إِنْ كَانَ يَسْتَطِيعُ الْأَدَاءَ وَلَيْسَ لَهُ عُذْرٌ، أَوْ قَضَاءً إِذَا كَانَ لَا يَسْتَطِيعُ الْأَدَاءَ وَلَهُ عُذْرٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فَالْمَرِيضُ وَالْمَسَافِرُ يُفْطِرَانِ وَيَقْضِيَانِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الصِّيَامَ لِكِبَرٍ وَهَرَمٍ أَوْ لِمَرَضٍ مُزْمِنٍ فَإِنَّهُ يَفْدِي، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]، كُلَّ يَوْمٍ يُطْعِمُ مِسْكِينًا فِدْيَةً عَنِ الصِّيَامِ، إِذَا كَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصُومَ لَا أَدَاءً وَلَا قَضَاءً^(١).

الرُّكْنُ الْخَامِسُ: حَجُّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. وَالْحَجُّ مَعْنَاهُ فِي اللُّغَةِ^(٢): الْقَصْدُ.

وَأَمَّا فِي الشَّرْعِ^(٣): فَهُوَ قَصْدُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ لِأَدَاءِ مَنَاسِكَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، فَالْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ عِبَادَتَانِ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَلَكِنَّ مَكَانَهُمَا وَمَحِلَّهُمَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا حَوْلَهُ مِنَ الْمَشَاعِرِ، فَلَوْ أَنَّ حَجَّ إِلَى غَيْرِ الْكَعْبَةِ، فَلَنْ يُقْبَلَ حَجُّهُ، وَإِذَا اعْتَقَدَ أَنَّهُ يُحْجُّ إِلَى قَبْرِ أَوْ إِلَى ضَرِيحٍ أَوْ إِلَى

(١) انظر: تفسير عبدالرزاق (١/ ٧٠)، وتفسير الطبري (٢/ ١٣٣-١٤٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٣٠٧-٣١٢)، والدر المنثور (١/ ٤٢٨).

(٢) انظر: النهاية في غريب الأثر (١/ ٣٤٠)، ولسان العرب (٢/ ٢٢٦)، والقاموس المحيط (ص ٢٣٤).

(٣) انظر: المغني (٣/ ٨٥)، وفتح الباري (٣/ ٣٧٨)، وعون المعبود (٥/ ٩٩)، وتحفة الأحوذى (٣/ ٤٥١).

بِنَايَةٍ أَوْ إِلَى شَجَرٍ فَإِنَّهُ يَرْتَدُّ عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ، فَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ يُحْجُّ إِلَيْهِ إِلَّا بَيْتُ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - الْبَيْتُ الْعَتِيقُ، فَتَوَدَّى مَنَاسِكَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ عِنْدَهُ وَحَوْلَهُ، كَمَا أَمَرَ اللَّهُ، وَالْحَجُّ فِي زَمَنِ مَخْصُوصٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وَأَمَّا الْعُمْرَةُ فَفِي كُلِّ السَّنَةِ لَيْسَ لَهَا وَقْتُ مُحَدَّدٌ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، لَمَّا كَانَ الْحَجُّ يَحْتَاجُ إِلَى نَفَقَةٍ، وَيَحْتَاجُ إِلَى مَوْوَنَةٍ، وَيَحْتَاجُ إِلَى سَفَرٍ، وَفِيهِ مَشَقَّةٌ، شَرَطَ اللَّهُ لَوْجُوبِهِ الْإِسْطَاعَةَ، فَالْإِسْطَاعَةُ تَكُونُ بِالْمَالِ، وَتَكُونُ بِالْبَدَنِ، فَمَنْ أَسْتَطَاعَ بِيَدَنِهِ وَلَيْسَ عِنْدَهُ مَالٌ فَلَيْسَ عَلَيْهِ حَجٌّ، وَمَنْ أَسْتَطَاعَ بِمَالِهِ وَلَكِنْ لَا يَسْتَطِيعُ بِيَدَنِهِ فَإِنَّهُ يُوكِّلُ مَنْ يَحْجُّ عَنْهُ، وَلَمَّا كَانَ الْحَجُّ شَاقًّا وَبَعِيدَ الْمَكَانِ عَلَى بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ، يَسِّرُهُ اللَّهُ وَجَعَلَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي الْعُمْرِ مَعَ الْإِسْطَاعَةِ، وَمَا زَادَ عَنْ الْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ فَإِنَّهُ تَطَوُّعٌ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجِبَتْ وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ»^(١)، فَالْحَجُّ مَرَّةً وَاحِدَةً - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ - هَذَا هُوَ الْفَرَضُ، وَمَا زَادَ عَنْ الْمَرَّةِ فَهُوَ تَطَوُّعٌ.

فَهَذِهِ أَرْكَانُ الْإِسْلَامِ الْخَمْسَةُ، وَالْحَجُّ مَعَهُ الْعُمْرَةُ؛ لِأَنَّ فِي بَعْضِ رَوَايَاتِ حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَأَنْ تَحْجَّ وَتَعْتِمِرَ»^(٢)، وَالْعُمْرَةُ تُسَمَّى الْحَجَّ الْأَصْغَرَ.

(١) أخرجه مسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣٩٨ / ١)، والنسائي في الصغرى (ص ٢٣)، وابن خزيمة في صحيحه (٣ / ١)، والدارقطني في سننه (٢٨٢ / ٢)، والبيهقي في الكبرى (٣٤٩ / ٤)، وفي شعب الإيمان (٤٢٨ / ٣).

ثُمَّ سَأَلَهُ عَنِ الْإِيمَانِ، فَقَالَ: «أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ»، فَقَالَ ﷺ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». فَالْإِيمَانُ: هُوَ هَذِهِ الْأَرْكَانُ الْبَاطِنَةُ.

وَهُوَ فِي اللُّغَةِ: التَّصَدِيقُ الْجَازِمُ الَّذِي لَا يَعْتَرِيهِ شَكٌّ^(١). وَأَمَّا فِي الشَّرْعِ: فَهُوَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَاعْتِقَادٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ^(٢)، هَذَا هُوَ الْإِيمَانُ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، خِلَافًا لِلْمُرْجئة^(٣) الَّذِينَ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ هُوَ التَّصَدِيقُ بِالْقَلْبِ، أَوْ التَّصَدِيقُ بِالْقَلْبِ وَالنُّطْقُ بِاللِّسَانِ فَقَطْ، وَلَا يَدْخُلُ الْعَمَلُ فِيهِ. هَذَا قَوْلُ مَرْدُودٍ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْعَمَلِ، وَلَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ مُؤْمِنًا بِدُونِ الْعَمَلِ، حَتَّى وَلَوْ صَدَّقَ بِقَلْبِهِ، وَلَوْ نَطَقَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَقُمْ بِالْعَمَلِ وَلَيْسَ لَهُ عُذْرٌ يَمْنَعُهُ مِنْهُ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ؛ لِأَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ذَكَرَ الْإِيمَانَ مَقْرُونًا بِالْعَمَلِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ، وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى ذِكْرِ الْإِيمَانِ فَقَطْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢-٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ٦٩)، ولسان العرب (١٣/ ٢٦)، ومختار الصحاح (ص ١١).

(٢) انظر: العقيدة للإمام أحمد بن حنبل (ص ١١٧)، ولمعة الاعتقاد (ص ٢٣)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٥)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٨٤)..

(٣) المرجئة: قيل من الإرجاء أي: من التأخير؛ لأنهم أخرّوا العمل عن مسمى الإيمان، وقيل من الرجاء؛ لأنهم يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية؛ كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وهم فِرَق شَتَّى. انظر: مقالات الإسلاميين (ص ١٣٢)، والفرق بين الفرق (ص ١٩٠).

يَرْتَابُوا وَجَهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿[الحجرات: ١٥].

وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَذْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١)، هَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ أَنَّ الْإِيمَانَ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَاعْتِقَادٌ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: «أَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» هَذَا قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، «وَأَذْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ» وَهَذَا عَمَلٌ «وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» وَهَذَا فِي الْقَلْبِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ يَتَكَوَّنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ، فَمَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ نِهَائِيًّا وَلَمْ يَعْمَلْ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى ذَلِكَ وَإِمْكَانِيَّةِ الْعَمَلِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ، أَمَّا مَنْ تَرَكَ بَعْضَ الْعَمَلِ، فَهَذَا قَدْ يَكُونُ كَافِرًا، وَقَدْ يَكُونُ نَاقِصَ الْإِيمَانِ، فَإِذَا تَرَكَ الصَّلَاةَ فَهُوَ كَافِرٌ، كَمَا فِي الْأَحَادِيثِ وَالْآيَاتِ، أَمَّا إِذَا تَرَكَ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ غَيْرِ الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ يَكُونُ مُؤْمِنًا نَاقِصَ الْإِيمَانِ، كَأَصْحَابِ الْكِبَائِرِ الَّتِي دُونَ الشُّرْكِ.

وَلَا بُدَّ مِنَ اجْتِمَاعِ الْإِسْلَامِ فِي الظَّاهِرِ وَالْإِيمَانِ فِي الْبَاطِنِ، فَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَقَطْ دُونَ الْإِيمَانِ فَهَذَا مُنَافِقٌ، فَإِنَّ الْمُنَافِقِينَ أَسْلَمُوا فِي الظَّاهِرِ، وَصَارُوا يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَعْمَلُونَ أَرْكَانَ الْإِسْلَامِ، لَكِنْ لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ إِيمَانٌ، فَهُمْ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ. وَكَذَلِكَ مَنْ آمَنَ بِقَلْبِهِ وَلَمْ يَمْتَثِلْ بِجَوَارِحِهِ وَلَمْ يَنْطِقْ بِالشَّهَادَتَيْنِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِالْقَلْبِ فَقَطْ لَا يَكْفِي، وَإِنَّمَا الْإِيمَانُ بِالْقَلْبِ هُوَ أَحَدُ دَعَائِمِ الْإِيمَانِ، وَلَا بُدَّ مِنَ النُّطْقِ بِاللِّسَانِ وَالْعَمَلِ بِالْجَوَارِحِ، وَإِلَّا فَإِنَّ الْمَشْرِكِينَ يُؤْمِنُونَ بِقُلُوبِهِمْ، وَالْيَهُودُ

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَالنَّصَارَى يُؤْمِنُونَ بِقُلُوبِهِمْ بِصِحَّةِ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَيُصَدِّقُونَهُ فِي قُلُوبِهِمْ،
لَكِنْ يُنْكِرُونَ هَذَا فِي ظَاهِرِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ
فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ بِمُحَمَّدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ عَمُّ النَّبِيِّ ﷺ: (١)

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بَأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ
لَوْ لَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارِ مَسَبَّةٍ
مِنْ خَيْرِ أَذْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا
لَرَأَيْتَنِي سَمَحًا بِذَلِكَ مُبِينًا
فَهُوَ مُعْتَرِفٌ بِقَلْبِهِ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّ دِينَهُ أَزْكَى أَذْيَانِ الْخَلِيقَةِ، لَكِنْ
مَنْعَهُ مِنَ التَّصْرِيحِ بِذَلِكَ وَالنُّطْقِ بِذَلِكَ مُجَامَلَةً قَوْمِهِ، لَوْ آمَنَ بِالرَّسُولِ
لَتَبَرَّأَ مِنْ دِينِ قَوْمِهِ، وَهُوَ لَا يُرِيدُ هَذَا، مَنْعَتْهُ النَّخْوَةُ الْجَاهِلِيَّةُ وَالْحَمِيَّةُ
الْجَاهِلِيَّةُ مِنْ أَنْ يُصْرِّحَ وَيُظْهِرَ مَا فِي قَلْبِهِ، حَتَّى وَهُوَ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ يَقُولُ
لَهُ الرَّسُولُ ﷺ: «يَا عَمُّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، فَيَقُولُ لَهُ أَبُو جَهْلٍ وَمَنْ مَعَهُ:
«أَتَتْرُكُ دِينَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟» وَفِي النَّهْيَةِ قَالَ: «هُوَ عَلَى دِينِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» (٢)،
وَمَاتَ وَلَمْ يَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ مَعَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِقَلْبِهِ مُعْتَرِفٌ
بِذَلِكَ، كَمَا فِي أَشْعَارِهِ الْمُوجُودَةِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَالتِّي فِيهَا التَّصْرِيحُ وَالْإِقْرَارُ بِأَنَّ
دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ حَقٌّ، وَأَنَّ دِينَ الْمُشْرِكِينَ بَاطِلٌ، لَكِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، أَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ لِأَنَّ مَعْنَى ذَلِكَ
خَلْعُ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ الَّتِي هِيَ دِينُ قَوْمِهِ. فَهَذَا فِيهِ أَنَّ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ قَدْ تَحْمِلُ

(١) انظر: البداية والنهاية (٣/ ٤٢)، وسمط النجوم العوالي (١/ ٣٩٤)، والإصابة في تمييز
الصحابة (٧/ ٢٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤) من حديث المسيب بن حزن رضي الله عنه.

الإنسان على الكفر - والعياذُ بالله - قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦]، فالإنسان لا يُؤثر على الدين الحق شيئاً مهما كلفه ذلك، ولا يخشى في الله لومة لائم، هذا هو الواجب.

الحاصل: أنه لا بد من اجتماع الإسلام في الظاهر، والإيمان في القلب، فإن انفرد أحدهما لم يكن الإنسان مسلماً مؤمناً ولم يكن من أهل الجنة.

وفي هذا الحديث أن أركان الإيمان التي يُبنى عليها ستة، وأما بقيَّة الأعمال فهي مكمَّلات لهذه الستة أو مُتمِّمات لها، كالصدق في الحديث، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وصلة الأرحام، وغير ذلك من الأعمال التي هي خارج هذه الستة فهي تابعة لها ومكمَّلات لها.

الركن الأول: الإيمان بالله - جلَّ وعلا - بأن تؤمن بأن الله واحد لا شريك له، وأنه هو المستحق للعبادة دون غيره، وتؤمن بأسمائه وصفاته - سبحانه وتعالى -، فالإيمان بالله يشمل أنواع التوحيد الثلاثة:

• توحيد الربوبية.

• وتوحيد الألوهية.

• وتوحيد الأسماء والصفات.

فلا يكون الإنسان مؤمناً إلا بتحقيق هذه الثلاثة، وليس الإيمان بالله - كما يقول بعضهم أو كثير ممن لا علم عنده - : الإيمان بالله هو الإيمان بوجود الله. فإن هذا ليس هو الإيمان بالله، فلا يكفي الإيمان بوجود الله - عزَّ وجلَّ -، وإنما الإيمان بالله يشمل الإيمان برُبوبيته، والإيمان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته، وإن نقص شيء منها لم يكن مؤمناً بالله.

فالإيمان برُبوبيته: أن تؤمن بأنه هو المنفرد بالخلق والتدبير والإحياء

وَالْإِمَاتَةِ، وَالتَّصَرُّفِ فِي الْكَوْنِ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَلِكَ، هَذَا تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَهَذَا قَلَّ مَنْ يَجْحَدُهُ مِنَ الْخَلْقِ، فَإِنَّ كُلَّ الْخَلْقِ مُؤْمِنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ يُقَرُّ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - : ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٢٥]، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٨٤ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون: ٨٤، ٨٥]، وَقَالَ : ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ٨٦ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون: ٨٦، ٨٧]، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]، فَهُمْ مُقَرَّرُونَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، فَهُمْ لَا يَجْحَدُونَ هَذَا مَعَ أَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، يُؤْمِنُونَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ فَقَطْ، وَهَذَا لَا يَكْفِي، بَلْ لَا بُدَّ مِنَ الْإِيمَانِ بِتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، أَيُّ: بَأَنَّ الْعِبَادَةَ لَا يَسْتَحِقُّهَا إِلَّا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا، وَالْأُلُوهِيَّةُ تَعْنِي الْعُبُودِيَّةَ.

وَهَذَا هُوَ مَحَطُّ الْخِلَافِ بَيْنَ الْأُمَمِ وَالرُّسُلِ، فَكَثِيرٌ مِنَ الْأُمَمِ يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ، وَيَعْتَرِفُونَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، لَكِنَّهُمْ يُشْرِكُونَ فِي تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، فَيَعْبُدُونَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ، فَيَذْبَحُونَ لَهُ، وَيَنْذِرُونَ لَهُ، وَيَسْتَغِيثُونَ بِهِ، سِوَاءَ كَانَ هَذَا الْغَيْرُ صَنْعًا أَوْ شَجَرًا أَوْ حَجَرًا أَوْ قَبْرًا أَوْ جِنًّا

أَوْ إِنْسَاءً، فَهَذَا شِرْكٌ فِي تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَهُوَ عِبَادَةُ غَيْرِ اللَّهِ مَعَ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - .

وَكَذَلِكَ حَدَثَ فِي الْقُرُونِ الْمَتَأَخِّرَةِ بَعْدَ الْقُرُونِ الْمَفْضَلَةِ مَنْ يَجْحَدُ تَوْحِيدَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مِنَ الْفِرْقِ الضَّالَّةِ، مِنْ جَهْمِيَّة^(١)، وَمُعْتَزَلَةٍ^(٢)، وَأَشَاعِرَةٍ^(٣)، وَمَنْ سَارَ فِي رِكَابِهِمْ، يَجْحَدُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ:

(١) هم أتباع الجهم بن صفوان أبو محرز الراسبي، مولا هم السمرقندي، الضال المبتدع رأس الجهمية هلك في زمان صغار التابعين، وقد زرع شرًا عظيمًا، وهو رأس في التعطيل، قُتِلَ سنة ثمان وعشرين ومائة، قتله سلم بن أحوز. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص ١٩٩)، وميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ١٥٩)، والتعريفات للجرجاني (ص ١٠٨)، وفتح الباري (١٣/ ٣٤٥).

(٢) هي إحدى الفرق الضالة المخالفة لأهل السنة والجماعة، ورأس هذه الفرقة واصل بن عطاء الغزال، كان تلميذاً في مجلس الحسن البصري، فأظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر، فطرده الحسن من مجلسه، وانضم إليه عمرو بن عبيد، واعتزلا مجلس الحسن، فسموا بالمعتزلة لذلك، ويلقبون بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم وإنكارهم القدر فيها.

وقد افترقت المعتزلة إلى فرق شتى يجمعهم القول بنفي الصفات، والقول بخلق القرآن، وأن العبد يخلق فعل نفسه، ولهم أصول خمسة جعلوها بمنزلة أركان الإيمان عند أهل السنة، وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإنما أرادوا بهذه المسميات معاني باطلة.

انظر: الملل والنحل (١/ ٣٠-٣٢)، والفرق بين الفرق (ص ١٨، ٩٣، ٩٤)، والبدء والتاريخ (٥/ ١٤٢)، وسير الأعلام (٥/ ٤٦٤)، ووفيات الأعيان (٦/ ٨).

(٣) نسبة إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم الأشعري، ولد سنة ستين ومائتين، نشأ على مذهب المعتزلة، وتعلم على يد أبي علي الجبائي ثم ترك مذهبهم وتبرأ منه، وسلك طريقة ابن كلاب وانتشر مذهبه ثم رجع عنه إلى مذهب أهل الحديث وانتسب للإمام أحمد، وألف في مذهب أهل السنة والجماعة: الإبانة، والموجز، ورسائل الثغر، إلا أنه بقيت عليه بقايا من

• فَمِنْهُمْ مَنْ يَجْحَدُ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ.

• وَمِنْهُمْ مَنْ يُقَرُّ بِالْأَسْمَاءِ وَيُنْكِرُ الصِّفَاتِ.

• وَمِنْهُمْ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَ الصِّفَاتِ.

وَالْكُلُّ سِوَاءٌ، لَا بُدَّ مِنَ الْإِيمَانِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، كَمَا جَاءَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: «وَمَذْهَبُ السَّلَفِ أَنَّهُمْ يَصِفُونَ اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمَنْ غَيْرَ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ»^(١)، فَمَنْ جَحَدَ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ أَوْ شَيْئًا مِنْهَا مَعَ الْعِلْمِ لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ؛ لِأَنَّهُ جَحَدَ قِسْمًا مِنْ أَقْسَامِ التَّوْحِيدِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَعْذُورًا بِجَهْلٍ أَوْ تَقْلِيدٍ أَوْ تَأْوِيلٍ، فَهَذَا يَكُونُ ضَالًّا لَا كَافِرًا.

الرُّكْنُ الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ، فَتُؤْمِنُ بِأَنَّهُمْ خَلَقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، وَمِنْ جُنُودِهِ خَلَقَهُمُ اللَّهُ مِنَ النُّورِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»^(٢).

وَالْمَلَائِكَةُ: جَمْعُ مَلَكٍ، وَالْمَلَكُ: هُوَ الرَّسُولُ؛ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ رُسُلٌ مِنَ اللَّهِ

- جَلَّ وَعَلَا - إِلَى عِبَادِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا

مذهب ابن كلاب، وتوفي ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، قال الذهبي: (ويقال بقي إلى سنة ثلاثين وثلاثمائة). ا.هـ.

انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٣٤٦)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤)، وسير الأعلام (١٥/ ٨٥)، وشذرات الذهب (٢/ ٣٠٣)، والبداية والنهاية (١١/ ١٨٧).

(١) انظر: اللمعة لابن قدامة (ص ٩)، وتاريخ الإسلام للذهبي (ص ٨٧)، وبيان تلبيس الجهمية

(١/ ٣١)، ومجموع الفتاوى (٥/ ٢٦)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص ١٣٢)، والصواعق

المرسلة (٢/ ٤٢٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٦) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَمِنْ النَّاسِ ﴿[الحج: ٧٥]، وَهُمْ أَصْنَافٌ مِّصْنَفَةٌ كُلُّ صِنْفٍ لَهُ عَمَلٌ خَاصٌّ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، فَجِبْرِيلُ مُوَكَّلٌ بِالْوَحْيِ، وَمِيكَائِيلُ مُوَكَّلٌ بِالْقَطْرِ وَالنَّبَاتِ، وَإِسْرَافِيلُ مُوَكَّلٌ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، وَمِنْهُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ مُوَكَّلٌ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ^(١)، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ مُوَكَّلٌ بِالْأَجَنَّةِ فِي بَطُونِ الْأُمَّهَاتِ، يَنْفُخُ فِيهَا الرُّوحَ وَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ يَكْتُبُهُنَّ^(٢)، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ مُوَكَّلٌ بِحِفْظِ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كُنِينًا ۝١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿[الانفطار: ١٠-١٢]، فَاَلْمَلَائِكَةُ لَهُمْ أَعْمَالٌ مُوَكَّلُونَ بِهَا يَقُومُونَ بِهَا، وَهُمْ جُنْدٌ مِنْ جُنْدِ اللَّهِ، وَهُمْ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ الَّذِينَ لَا نَرَاهُمْ وَلَكِنَّا نُؤْمِنُ

(١) كما في الحديث الذي أخرجه الطبراني في الكبير (١٢٠٦١)، وأبو الشيخ في العظمة (٧٠٠/٢)، (٧٠١)، وابن أبي شيبه في العرش (ص ٨٦-٨٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «... فَمَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا إِسْرَافِيلُ خَلَقَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، صَافًا قَدَمَيْهِ لَا يَرْفَعُ طَرْفَهُ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّبِّ سَبْعُونَ نُورًا، مَا مِنْهَا مِنْ نُورٍ يَكَادُ يَذْنُو مِنْهُ إِلَّا احْتَرَقَ، بَيْنَ يَدَيْهِ لَوْحٌ، فَإِذَا أَدْنَى اللَّهُ عِزَّ وَجَلٍّ فِي شَيْءٍ فِي السَّمَاءِ، أَوْ فِي الْأَرْضِ، ارْتَفَعَ ذَلِكَ الْوَحْيُ، فَضَرَبَ جَبْهَتَهُ، فَيَنْظُرُ فَإِنْ كَانَ مِنْ عَمَلِي أَمْرِي بِهِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ عَمَلِ مِيكَائِيلَ أَمْرُهُ بِهِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ عَمَلِ مَلَكِ الْمَوْتِ أَمْرُهُ بِهِ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، وَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ؟ قَالَ: عَلَى الرِّيحِ وَالْجُنُودِ قُلْتُ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ مِيكَائِيلُ؟ قَالَ: عَلَى النَّبَاتِ وَالْقَطْرِ قُلْتُ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ مَلَكُ الْمَوْتِ؟ قَالَ: عَلَى قَبْضِ الْأَنْفُسِ».

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

بِوُجُودِهِمْ، وَتُؤْمِنُ بِأَعْمَالِهِمُ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - أَنَّهُمْ يَقُومُونَ بِهَا بِأَمْرِهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، لَا كَمَنْ انْحَرَفَ فِي الْمَلَائِكَةِ، فَمِنْهُمْ مَنْ عَادَى بَعْضَهُمْ، كَالْيَهُودِ، يُعَادُونَ جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَيَقُولُونَ: جِبْرِيلُ عَدُوُّنَا، وَلَوْ كَانَ الَّذِي نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ غَيْرَ جِبْرِيلَ لَأَمَنَّا بِهِ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلَ فَتَحْنُ لَا نُؤْمِنُ بِهِ؛ لِأَنَّ جِبْرِيلَ عَدُوُّنَا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٧)

يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ [البقرة: ٩٧، ٩٨] (١).

وَمِنَ الشَّيْعَةِ أَيْضًا مَنْ يُعَادِي جِبْرِيلَ تَأْتُرًا بِالْيَهُودِ، فَيَقُولُ: إِنَّ الرِّسَالَهَ لِعَلِيٍّ وَلَكِنَّ جِبْرِيلَ خَانَ وَأَعْطَاهَا لِمُحَمَّدٍ. وَشَاعِرُهُمْ يَقُولُ: خَانَ الْأَمِينَ وَصَدَّهَا عَنْ حَيْدَرَةٍ.

وَمِنَ النَّاسِ - خُصُوصًا الْمُشْرِكِينَ - مَنْ يَقُولُ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ - تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ - قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا ﴾ [الزخرف: ١٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴾ [الطور: ٣٩]، ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [النحل: ٥٨]، ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ أَنْ لَهُمُ الْحُسْنَى ﴾ [النحل: ٦٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴾ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا

(١) انظر: تفسير عبدالرزاق (١/ ٥٢، ٥٣)، وتفسير الطبري (١/ ٤٣١-٤٣٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٨٠)، وزاد المسير (١/ ١١٧)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٣٠)، وفتح القدير (٣/ ٧٧).

نَذْكُرُونَ ﴿[الصَّافَّات: ١٥٣-١٥٥]، فَإِذَا كُنْتُمْ لَا تَرْضَوْنَ الْبَنَاتِ لَأَنفُسِكُمْ وَتَكْرَهُوهُنَّ فَكَيْفَ تَنْسِبُوهُنَّ إِلَى اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - ؟ مَعَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا، وَلَكِنْ هَذَا مِنْ بَابِ الرَّدِّ عَلَيْهِمْ، وَبَيَانِ فَسَادِ قَوْلِهِمْ، كَمَا أَنَّ النَّصَارَى يَقُولُونَ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ. فَنَسَبُوا لِلَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - الابْنَ، وَالْمَشْرِكُونَ نَسَبُوا لَهُ الْبَنَاتِ، وَاللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا؛ لِأَنَّ الْوَلَدَ جُزْءٌ مِنَ الْوَالِدِ وَشَبِيهٌ بِالْوَالِدِ، وَاللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ وَلَا شَبِيهٌ، وَهُوَ الْغَنِيُّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَيْسَ بِحَاجَةٍ إِلَى الْأَوْلَادِ، إِنَّمَا هَذَا فِي الْبَشَرِ، وَالْمَخْلُوقَاتُ هِيَ الَّتِي بِحَاجَةٍ إِلَى الْأَوْلَادِ.

الرُّكْنُ الثَّالِثُ: الْإِيمَانُ بِالْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ، فَتُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ كُتُبًا عَلَى رُسُلِهِ، وَهِيَ مِنْ كَلَامِهِ وَوَحْيِهِ، وَفِيهَا شَرْعُهُ وَأَمْرُهُ وَنَهْيُهُ، أَنْزَلَهَا عَلَى رُسُلِهِ لِأَجْلِ بَيَانِ الْحَقِّ وَالنَّهْيِ عَنِ الْبَاطِلِ، وَلِأَجْلِ هِدَايَةِ النَّاسِ، وَهِيَ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ، وَالَّذِي سَمَّى اللَّهُ مِنْهَا: التَّوْرَةَ وَالزَّبُورَ وَالْإِنْجِيلَ وَالْقُرْآنَ وَصُحُفُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى، فَتُؤْمِنُ بِالْكِتَابِ مَا سَمَّى اللَّهُ مِنْهَا وَمَا لَمْ يُسَمِّ، وَأَعْظَمُهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.

الرُّكْنُ الرَّابِعُ: الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ، فَتُؤْمِنُ بِرُسُلِ اللَّهِ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، مَنْ سَمَّى اللَّهُ وَمَنْ لَمْ يُسَمِّ مِنْهُمْ، تُؤْمِنُ بِهِمْ جَمِيعًا، فَمَنْ جَحَدَ وَاحِدًا فَقَدْ جَحَدَ الْجَمِيعَ، وَيَكُونُ كَافِرًا، وَلَوْ آمَنَ بِبَعْضِهِمْ وَكَفَرَ بِبَعْضِهِمْ يَكُونُ كَافِرًا، فَالَّذِي يُؤْمِنُ بِهِمْ وَيَكْفُرُ بِعِيسَى وَمُحَمَّدٍ ﷺ كَالْيَهُودِ، فَهُوَ كَافِرٌ، وَمَنْ يُؤْمِنُ بِهِمْ وَيُنْكِرُ رِسَالَاتَهُمَا ﷺ كَالنَّصَارَى، فَهُوَ كَافِرٌ بِالْجَمِيعِ، فَاللَّهُ لَا يَقْبَلُ الْإِيمَانَ بِالْبَعْضِ وَالْكَفَرَ بِالْبَعْضِ الْآخِرِ، هَذَا مِنَ التَّفْرِيقِ بَيْنَ الرُّسُلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ

اللَّهُ وَرُسُلِهِ، وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا
بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴿[النساء: ١٥٠، ١٥١].

وَأَوَّلُ الْمُرْسَلِينَ نُوحٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَأَمَّا الْأَنْبِيَاءُ فَأَدَمُ نَبِيٌّ وَمَنْ
جَاءَ بَعْدَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَبَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنْبِيَاءٌ، لَكِنَّ أَوَّلَ الرُّسُلِ
نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - إِلَى قَوْمِهِ لَمَّا عَبْدُوا الصَّالِحِينَ،
وَأَخْرَهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ

مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣].

وَالْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ كُلِّهِمْ إِيْمَانٌ مُجْمَلٌ، وَالْإِيمَانُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ إِيْمَانٌ مُفَصَّلٌ؛
لَأَنَّهُ هُوَ نَبِيُّنَا وَرَسُولُنَا، فَتُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ بِهِ عَلَى التَّفْصِيلِ.

الرُّكْنُ الْخَامِسُ: الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، يُسَمَّى الْيَوْمُ
الْآخِرَ لَأَنَّهُ بَعْدَ الدُّنْيَا، وَيُسَمَّى يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِقِيَامِ النَّاسِ فِيهِ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ
الْعَالَمِينَ، وَيُسَمَّى يَوْمَ الْبَعْثِ لَأَنَّ النَّاسَ يُبْعَثُونَ فِيهِ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَيُسَمَّى
النُّشُورَ، وَالنُّشُورُ هُوَ الْبَعْثُ، فَلَهُ أَسْمَاءٌ كَثِيرَةٌ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى عَظَمَتِهِ.

وَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ هُوَ التَّصَدِيقُ بِحُصُولِهِ وَوُقُوعِهِ، ثُمَّ الْاسْتِعْدَادُ
لَهُ، فَلَا يَكْفِي أَنْ تُصَدَّقَ بِهِ وَتُجْزَمَ بِهِ، بَلْ لَا بُدَّ مِنَ الْاسْتِعْدَادِ لَهُ، وَتَقْدِيمِ
الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَالتَّوْبَةِ مِنَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ، وَالْإِكْتِسَابِ مِنَ الْحَسَنَاتِ، فَأَنْتَ
تُسْتَعِدُّ لِهَذَا الْيَوْمِ؛ لَأَنَّهُ يَوْمٌ لَا رَيْبَ فِيهِ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -

- فِي دُعَائِهِ: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ

سَلِيمٍ ﴿[الشعراء: ٨٧-٨٩]، فَهُوَ يَوْمٌ عَظِيمٌ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ

﴿٣٥﴾ وَصَحْبِهِ وَبَنِيهِ﴾ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿[عبس: ٣٤-٣٧]، وَفِي هَذَا

اليوم: ﴿بُصِّرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنَفْسِهِ﴾ ١١ ﴿وَصَحِبَتْهُ وَأَخِيهِ

﴾ ١٢ ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوِّبُهَا﴾ ١٣ ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ ١٤ ﴿كَلَّا﴾ [المعارج: ١١-١٥]،

فَلَا يُنْجِيهِ مِنْ هَذَا إِلَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ وَتَرَكَ الْعَمَلَ السَّيِّئَ.

هَذَا هُوَ الْمُقْصُودُ بِالْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ بَعْثٌ

وَإِنَّمَا هِيَ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَقَطْ. فَهَذَا كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ مُكَذِّبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِاجْتِمَاعِ

الْمُسْلِمِينَ، وَلَمَّا هُوَ مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ، فَلَا شَكَّ فِي كُفْرِ مَنْ أَنْكَرَ

الْبَعْثَ وَالنُّشُورَ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ

لَتُنَبَّوْنَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]، فَاللَّهُ أَمَرَ رَسُولَهُ أَنْ يُقَسِّمَ بِرَبِّهِ

أَنَّهُ سَيَبْعَثُ عِبَادَهُ، وَقَوْلُهُ: ﴿زَعَمَ﴾ الزَّعَمُ هُوَ الْكَذِبُ، يَعْنِي: كَذَبُوا فِي

قَوْلِهِمْ هَذَا، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾

[الأنعام: ٢٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا

الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَيَعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ

مُخْرَجُونَ﴾ ٣٥ ﴿هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا توعَدُونَ﴾ ٣٦ ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ

بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٥-٣٧].

هَكَذَا مَقَالَةُ الْكُفَّارِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، يُنْكِرُونَ الْبَعْثَ، وَلَيْسَ لَهُمْ حُجَّةٌ إِلَّا

أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: كَيْفَ إِذَا مَاتَ النَّاسُ وَصَارُوا تُرَابًا أَنَّهُمْ يُبْعَثُونَ؟ فَهَذَا

مُسْتَحِيلٌ! ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]، سُبْحَانَ اللَّهِ! هُمْ

مِنْ قَبْلُ كَانُوا غَيْرَ مُوجُودِينَ أَصْلًا، ثُمَّ خَلَقَهُمُ اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا-، فَالَّذِي

خَلَقَهُمْ فِي الْبِدَايَةِ قَادِرٌ مِنْ بَابِ أُولَى عَلَى إِعَادَتِهِمْ، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ

خَلَقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ [يس: ٧٨، ٧٩]، فَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ بِالرَّدِّ عَلَى مُنْكَرِي الْبَعْثِ. وَأَيْضًا أَتَاهُمَا أَعْظَمُ: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَمْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ؟ لَا شَكَّ أَنَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَعْظَمُ مِنْ خَلَقِ الْإِنْسَانَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، فَالَّذِي قَدَرَ عَلَى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ الْإِنْسَانَ مِنْ بَابٍ أَوَّلَى. ثُمَّ أَيْضًا اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، تَكُونُ الْأَرْضُ قَاحِلَةً جَرْدَاءَ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ، فَإِذَا نَزَلَ عَلَيْهَا الْمَطَرُ فَإِنَّهَا تَتَحَرَّكُ بِالنَّبَاتِ، فَهَذَا الْحَبُّ الْمَيْتُ وَالْبِذْرُ الْمَيْتُ الْمُتَفَرِّقُ فِي الْأَرْضِ يَحْيَا وَيَنْبُتُ، وَيَكُونُ نَبَاتًا وَأَشْجَارًا مُثْمِرَةً وَزُرُوعًا وَنَخِيلًا وَأَعْنَابًا وَأَنْوَاعًا مِنَ النَّبَاتَاتِ وَهِيَ كَانَتْ فِي الْأَوَّلِ مَيْتَةً، أَلَيْسَ الَّذِي أَحْيَا الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْإِنْسَانَ بَعْدَ مَوْتِهِ؟ فَهَذَا وَاقِعٌ يُشَاهِدُهُ النَّاسُ أَنَّ الْأَرْضَ الْمَيْتَةَ الْيَابِسَةَ الْهَامِدَةَ الْخَاشِعَةَ إِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْمَاءَ اخْضَرَّتْ وَازْدَهَرَتْ بِالنَّبَاتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ [الحج: ٥-٧]، فَهَذَا شَاهِدٌ يَرَاهُ النَّاسُ وَلَا يُنْكِرُونَهُ، مَنْ الَّذِي قَدَرَ عَلَى إِحْيَاءِ هَذَا النَّبَاتِ؟ وَمَنْ الَّذِي أَخْرَجَ مِنْ هَذَا الْحَبِّ الْيَابِسِ الْوَرَقَ وَالْأَغْصَانَ وَالشَّارَ؟ هُوَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، فَإِذَا كَانَ يَبْعَثُ هَذَا النَّبَاتَ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ مَنْ فِي الْقُبُورِ، لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

وَأَيْضًا لَوْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ بَعْثٌ وَجَزَاءٌ عَلَى الْأَعْمَالِ لَكَانَ خَلْقُ الْخَلْقِ عَبَثًا، كَيْفَ يَخْلُقُهُمْ وَيَعْمَلُونَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ أَوْ الْأَعْمَالَ الْكُفْرِيَّةَ ثُمَّ يَمُوتُونَ وَيُتْرَكُونَ؟ هَذَا لَا يَلِيقُ بِعَدْلِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴿[المؤمنون: ١١٥، ١١٦]، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ هَذَا، فَاللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - لَا بُدَّ أَنْ يَبْعَثَ النَّاسَ وَيُمَيِّزَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْكُفَّارِ، وَيُجَازِيَ الْمُؤْمِنَ بِإِيمَانِهِ، وَيُجَازِيَ الْكَافِرَ بِكُفْرِهِ، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ۚ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٧، ٢٨]، كُلُّهُمْ يَمُوتُونَ وَلَا يُبْعَثُونَ وَلَا يُجَازُونَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ؟ حَاشَا وَكَلَّا، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ هَدَدَ الْكُفَّارَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْعَصَاةَ بِأَنَّهُمْ سِيرُ جَعُونَ إِلَى رَبِّهِمْ وَيُحَاسَبُونَ وَيُجَازُونَ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْبَعْثَ لَا بُدَّ مِنْهُ، وَأَنَّهُ كَائِنٌ لَا مُحَالَةَ، وَالدُّنْيَا دَارُ عَمَلٍ، وَالْآخِرَةُ دَارُ جَزَاءٍ، هَذِهِ حِكْمَةُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - .

فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ هُنَاكَ دَارًا أُخْرَى يُجَازَى فِيهَا الْمُحْسِنُ بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءُ بِإِسَاءَتِهِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ بَعْثٌ لَصَارُوا كُلُّهُمْ سَوَاءً الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ، وَالْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، لَيْسَ هُنَاكَ فَرْقٌ فِي الدُّنْيَا، إِنَّمَا الْفَرْقُ فِي الْآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ﴾ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَائِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿[الرُّوم: ١٤-١٦]، وَقَالَ: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]، يَتَفَرَّقُونَ فِي الْبَعْثِ، أَمَّا فِي

الدُّنْيَا فَهُمْ سَوَاءٌ، يَعِيشُونَ كُلُّهُمْ، وَرُبَّمَا يَكُونُ الْكَافِرُ أَحْسَنَ حَالًا مِنَ الْمُسْلِمِ مِنْ نَاحِيَةِ الثَّرْوَةِ وَالْمَالِ وَالصَّحَّةِ وَهُوَ كَافِرٌ، وَالْمُؤْمِنُ يُبْتَلَى وَيَجُوعُ وَيَمْرَضُ وَيَعْرِضُ لَهُ الْأَشْيَاءُ الْمُؤْذِيَّةُ وَيَمُوتُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ آدَّخَرَ لَهُ الْجَزَاءَ فِي الْآخِرَةِ، فَيُعْطِيهِ جَزَاءَ عَمَلِهِ فِي الْآخِرَةِ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُضَيِّعَ عَمَلَهُ أَبَدًا. فَهَذِهِ مِنْ أَدِلَّةِ الْبَعْثِ، وَهِيَ أَدِلَّةٌ عَقْلِيَّةٌ قُرْآنِيَّةٌ عَلَى الْبَعْثِ، وَأَدِلَّةٌ الْبَعْثِ كَثِيرَةٌ، لَكِنْ مَعَ هَذَا أَنْكَرَهُ الْكُفَّارُ وَالْمَلَاحِدَةُ، وَبَعْضُ النَّاسِ يُؤْمِنُ بِهِ لَكِنْ لَا يَسْتَعِدُّ لَهُ فِكَانَهُ يُنْكِرُهُ.

وَالْمُرَادُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: مَا بَعْدَ الْمَوْتِ كُلُّهُ هُوَ الْيَوْمُ الْآخِرُ، فَإِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ وَفَاضَتْ رُوحُهُ دَخَلَ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ وَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا. وَأَوَّلُ ذَلِكَ: أَنَّ الْمَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَسُويَ عَلَيْهِ التُّرَابُ وَانْصَرَفَ عَنْهُ النَّاسُ «وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، يَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فْتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيُجْلِسَانِهِ، وَيَسْأَلَانِهِ مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟»^(١) ثَلَاثَةُ أَسْئَلَةٍ، فَإِنْ أَجَابَ عَنْهَا بِجَوَابٍ صَحِيحٍ نَجَا وَفَازَ وَأَفْلَحَ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ الْجَوَابَ خَابَ وَخَسِرَ، وَضَلَّ سَعْيُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ جَاءَ الْمَلَكَانِ إِلَيْهِ فِي قَبْرِهِ وَنَحْنُ لَا نَرَاهُمَا؟ الْجَوَابُ: اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَمَّا أَنْتَ فَقَدْ غُيِّبَ عَنْكَ كَثِيرٌ مِنَ الْأُمُورِ، فَالْمَلَكَانِ يَأْتِيَانِهِ وَأَنْتَ لَا تَرَاهُمَا، وَهَلْ أَنْتَ تَرَى رُوحَكَ الَّتِي تَدْخُلُ فِي جَسَدِكَ؟ هَلْ تَرَى كُلَّ شَيْءٍ؟ هُنَاكَ أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ لَا تَرَاهَا وَهِيَ مَوْجُودَةٌ هَلْ تَرَى الْعَقْلَ

(١) حديث: سؤال الملكين، رواه البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠) من حديث أنس رضي الله عنه،

ومسلم (٢٨٧١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

الَّذِي يُمَيِّزُكَ عَلَى غَيْرِكَ؟ مَا كُلُّ شَيْءٍ لَا تَرَاهُ لَيْسَ مَوْجُودًا، هَذَا كَلَامُ
الْمَادِّيِّينَ الطَّبَائِعِيِّينَ، أَمَّا أَهْلُ الْإِيمَانِ فَإِنَّهُمْ يَتَّسِعُ إِيْمَانُهُمْ لِكُلِّ مَا وَرَدَتْ بِهِ
الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ، وَلَا يَتَدَخَّلُونَ فِيهِ بِعُقُولِهِمْ.

فَالْمَلَكَانِ يَأْتِيَانِهِ وَيُجْلِسَانِهِ وَيَسْتَنْطِقَانِهِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ وَمَا
دِينُكَ؟ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: رَبِّي اللَّهُ، وَدِينِي الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَيُنَادِي
مُنَادٍ: «أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَوَسَّعُوا لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ،
وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ»، فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيَرَى مَنْزِلَهُ فِي الْجَنَّةِ،
فَيَقُولُ: «يَا رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي»^(١)، فَيَصِيرُ قَبْرُهُ
رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كُنَّا لَا نُشَاهِدُ هَذَا.

وَقَدْ يُشَاهِدُهُ بَعْضُ مَنْ يُطْلِعُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّ هَذَا لَيْسَ بِلَازِمٍ.
وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْمُرْتَابُ الَّذِي عَاشَ عَلَى الشَّكِّ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُ يَمُوتُ عَلَى
الشَّكِّ، فَإِذَا سَأَلَاهُ وَقَالَ: «مَنْ رَبُّكَ؟» قَالَ: لَا أَدْرِي، «مَا دِينُكَ؟» قَالَ: لَا
أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، «مَنْ نَبِيُّكَ؟» قَالَ: لَا أَدْرِي.
لَأَنَّهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ يُؤْمِنْ بِقَلْبِهِ، وَإِنَّمَا تَكَلَّمَ بِلِسَانِهِ، «سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ
شَيْئًا فَقُلْتُهُ» مِنْ بَابِ الْمَجَارَاةِ لَهُمْ، وَهَذَا هُوَ الْمُنَافِقُ الَّذِي يَقُولُ مَا يَقُولُهُ
الْمُؤْمِنُونَ، وَيُصَلِّي وَيَصُومُ، وَلَكِنْ لَيْسَ فِي قَلْبِهِ إِيْمَانٌ، إِنَّمَا يَفْعَلُ هَذَا مِنْ بَابِ
الْمَدَارَاةِ وَمِنْ بَابِ التَّقِيَّةِ؛ لِأَجْلِ أَنْ يَعِيشَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ فَقَطْ وَهُوَ لَمْ يُؤْمِنْ بِقَلْبِهِ.
وَلَوْ كَانَ فَصِيحًا مُتَعَلِّمًا يَحْفَظُ الْمُتُونَ وَالْأَسَانِيدَ، فَإِنَّهُ فِي الْقَبْرِ يَتَلَعَثُ وَلَا

(١) أخرجه أبوداود (٤٧٥٣)، وأحمد في المسند (٢٨٧/٤)، والطيالسي (١٠٢/١)، والبيهقي في
شعب الإيمان (٣٥٨/١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، وانظر: كتاب إثبات عذاب القبر
للبيهقي.

يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَ وَيَغِيبُ عَنْهُ الْجَوَابُ، وَيَقُولُ: لَا أَذْرِي، وَلَكِنْ سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَعْرِفَ هَذَا الشَّيْءَ وَأَعْتَقِدَهُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: «أَنْ كَذَبَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ»، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - وَيُصْبِحُ قَبْرُهُ حُفْرَةً مِنْ حُفَرِ النَّارِ، فَيَقُولُ: «يَا رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ»؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا قَامَتِ السَّاعَةُ فَمَا بَعْدَهَا أَشَدُّ مِمَّا هُوَ فِيهِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

وَهَذَا يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ كَمَا أَنَّهُمْ عَاشُوا عَلَى الْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الدُّنْيَا، وَالْإِيمَانِ الصَّادِقِ فَإِنَّ اللَّهَ يُثَبِّتُهُمْ فِي الْقَبْرِ وَعِنْدَ السُّؤَالِ، ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ الْإِجَابَةَ، وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا مُتَوَاتِرَةٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ^(١)، وَأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مُجْمِعُونَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُنْكِرْهُ إِلَّا الْمُعْتَزِلَةُ الَّذِينَ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عُقُولِهِمْ، وَالْعُقْلَانِيُّونَ الْآنَ الَّذِينَ هُمْ أَفْرَاخُ الْمُعْتَزِلَةِ وَهُمْ عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ.

وَهَذَا الَّذِي يُلَاقِيهِ فِي الْقَبْرِ أَوَّلُ الْيَوْمِ الْآخِرِ، فَإِذَا نَجَا الْإِنْسَانُ مِنَ الْقَبْرِ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ، فَأَوَّلُ بَوَابَةٍ لِلْيَوْمِ الْآخِرِ هُوَ الْقَبْرُ، وَالدُّورُ ثَلَاثٌ - كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ -:

ококо

чек, моск

(١) قال ابن أبي العز: وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به. انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٥٠).

• دَارُ الدُّنْيَا، وَهِيَ دَارُ عَمَلٍ.

• دَارُ الْبَرْزَخِ، وَهُوَ الْقَبْرُ، وَهُوَ دَارُ انْتِظَارٍ.

• وَدَارُ الْقَرَارِ، وَهِيَ الدَّارُ الْآخِرَةُ، ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩]، فَيَسْتَقِرُّ النَّاسُ فِيهَا إِلَى الْأَبَدِ، فِي الْجَنَّةِ أَوْ فِي النَّارِ. فَالْآخِرَةُ تَبْدَأُ مِنَ الْمَوْتِ، وَأَوَّلُ مَا يَكُونُ فِيهَا عَذَابُ الْقَبْرِ أَوْ نَعِيمُ الْقَبْرِ، فَالْقَبْرُ فَاصِلٌ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ الْآخِرَةِ، وَهُوَ مَحْطَّةٌ انْتِظَارٍ؛ وَلِذَلِكَ سُمِّيَ بِالْبَرْزَخِ؛ لِأَنَّ الْبَرْزَخَ هُوَ الْفَاصِلُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ.

وَكَذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ هَذِهِ الْأَجْسَامَ مِنْ قُبُورِهَا، فَتَقُومُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مُتَكَامِلَةَ الْخَلْقَةِ، كَمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا مُتَكَامِلِي الْخَلْقَةِ لَا يَضِيعُ مِنْهَا شَيْءٌ، فَإِذَا نَفَخَ إِسْرَافِيلُ فِي الصُّورِ النَّفْخَةَ الثَّانِيَةَ طَارَتْ الْأَرْوَاحُ مِنَ الصُّورِ - وَهُوَ الْقَرْنُ - وَدَخَلَتْ كُلُّ رُوحٍ فِي جَسْمِهَا

﴿ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، ثُمَّ يُؤْمَرُونَ بِالمَسِيرِ إِلَى

المَحْشَرِ، ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: ٤٣] يَعْنِي بِسُرْعَةٍ، فَلَا يَتَخَلَّفُ أَحَدٌ أَوْ يَخْتَفِي أَحَدٌ، كُلُّهُمْ يَسِيرُونَ إِلَى الْمَحْشَرِ، يَقُومُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ وَيُسَاقُونَ إِلَى الْمَحْشَرِ، فَيُحْشَرُونَ فِيهِ، وَيَقِفُونَ فِيهِ عَلَى أَقْدَامِهِمْ مِنْ أَوَّلِ الْخَلْقِ إِلَى آخِرِهِمْ فِي مَوْقِفٍ وَاحِدٍ، حُفَاةَ عُرَاءٍ غُرْلًا، حُفَاةً: لَيْسَ عَلَيْهِمْ نِعَالٌ، عُرَاءٌ: لَيْسَ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ، غُرْلًا: غَيْرَ مَخْتُونِينَ^(١)، فَيُحْشَرُونَ فِي الْمَحْشَرِ بِمِقْدَارِ خَمْسِينَ أَلْفِ سَنَةٍ وَهُمْ وَقُوفٌ عَلَى أَقْدَامِهِمْ، يَنْتَظِرُونَ مَاذَا يُفْعَلُ بِهِمْ، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَلَا

(١) كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠) من حديث ابن عباس

رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةَ عُرَاءٍ غُرْلًا...».

يُحْسُ بِهِذِهِ الْمَشَقَّةَ، وَإِنَّمَا الَّذِي يُحْسُ بِمَشَقَّةِ الْحَشْرِ هُوَ الْكَافِرُ، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦]، وَقَالَ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ ⑧

فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ ① عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرِيسِيرٍ ﴿[المدثر: ٨-١٠].

ثُمَّ يَنْصَرِفُونَ مِنَ الْحَشْرِ - بَعْدَ هَذِهِ الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ - إِلَى الْحِسَابِ، يُحَاسَبُونَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، لَا يُتْرَكُ مِنْهَا شَيْءٌ، يُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا، وَيُقَرَّرُونَ بِهَا، وَهُنَاكَ مَنْ لَا يُحَاسَبُ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، كَمَا فِي حَدِيثِ السَّبْعِينَ أَلْفًا الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِلا حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ ^(١)، وَمِنْهُمْ

مَنْ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَهُوَ الْعَرَضُ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ ⑧

وَيُنْقَلَبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿[الانشقاق: ٨، ٩]، وَمِنْهُمْ مَنْ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ، قَالَ ﷺ:

«مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ» ^(٢) وَهَذِهِ الْأَصْنَافُ الثَّلَاثَةُ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ،

فَالْمُؤْمِنُ يُحَاسَبُ حِسَابَ مُوَازَنَةٍ بَيْنَ حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ، أَمَّا الْكَافِرُ فَلَا

يُحَاسَبُ حِسَابَ مُوَازَنَةٍ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ حَسَنَاتٌ، وَلَكِنَّهُ يُحَاسَبُ حِسَابَ

تَقْرِيرٍ، يُقَرَّرُ بِأَعْمَالِهِ حَتَّى يَعْتَرِفَ بِهَا.

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَوَازِينُ، فَتُوزَنُ الْأَعْمَالُ - الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ - بِمِيزَانٍ

حَقِيقِيٍّ لَهُ كِفَّتَانِ ^(٣)، تُوضَعُ الْحَسَنَاتُ فِي كِفَّةٍ وَالسَّيِّئَاتُ فِي كِفَّةٍ، قَالَ تَعَالَى:

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص ٤٧٥): (ثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف

الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان، والله أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات).

وقد ورد ذكر الكفتين في عدد من الأحاديث، منها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي رواه ابن حبان

في صحيحه (١٤/١٠٢)، والحاكم في المستدرک (١/٢٢٨) وصححه، وفيه: «يَا مُوسَى لَوْ كَانَ

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿[المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣]، ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ (٦) ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ (٨) ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٦-٩]، يَعْنِي: مَوَازِينِ أَعْمَالِهِ، فَتَوْضَعُ حَسَنَاتُهُ فِي كِفَّةٍ وَسَيِّئَاتُهُ فِي كِفَّةٍ، فَأَيُّهُمَا رَجَحَ فَإِنَّهُ يَأْخُذُ جَزَاءَهُ بِمُوجِبِ ذَلِكَ مِنْ رُجْحَانِ الْحَسَنَاتِ أَوْ رُجْحَانِ السَّيِّئَاتِ، وَهَذَا مِنْ عَدْلِ اللَّهِ أَنَّهُ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا، بَلْ يُجَازِي الْإِنْسَانَ بِعَمَلِهِ.

وَهُوَ مِيزَانٌ حَقِيقِيٌّ، وَالْمَعْتَزِلَةُ يَقُولُونَ: إِنَّهُ مِيزَانٌ غَيْرُ حَقِيقِيٍّ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ إِقَامَةُ الْعَدْلِ، فَهُوَ مِيزَانٌ مَعْنَوِيٌّ مَعْنَاهُ الْعَدْلُ بَيْنَ الْعِبَادِ. وَلَيْسَ لَهُمْ دَلِيلٌ إِلَّا عُقُوبَتُهُمْ، فَهُمْ يُنْكِرُونَهُ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا الْمِيزَانَ، وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، وَهَذِهِ آفَةُ الْإِعْتِمَادِ عَلَى الْعُقُولِ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَعْتَمِدُ عَلَى عَقْلِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَالْعَقْلُ دَلِيلٌ وَلَكِنْ لَا يَكُونُ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ، هُنَاكَ أَشْيَاءٌ لَا يُدْرِكُهَا الْعَقْلُ، فَالْأُمُورُ الْمَغِيبَةُ لَا يُدْرِكُهَا الْعَقْلُ فَلَا تُحَكِّمُ عَقْلَكَ فِيهَا، وَإِنَّمَا يُعْتَمَدُ فِيهَا عَلَى الدَّلِيلِ فَقَطْ، فَهَذَا وَجْهُ انْكَارِهِمْ لَهُ، وَعَلَى مَذْهَبِهِمُ الْبَاطِلُ أَنَّ الَّذِي لَا يَشَاهِدُونَهُ وَلَا يَرَوْنَهُ أَنَّهُمْ يُنْكِرُونَهُ، أَوْ يُؤَوَّلُونَهُ بِغَيْرِ مَعْنَاهُ، فَهُمْ لَا يُنْكِرُونَ لَفْظَ الْمِيزَانِ؛ لِأَنَّهُ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ: ﴿وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ

السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ، وَعَامِرُهُنَّ غَيْرِي، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعُ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ مَالَتْ بَيْنَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وروى أحمد (١٦٩/٢، ١٧٠) نحوه من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه)، وقد ورد ذكر الكفة في حديث البطاقة الذي رواه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، والحاكم في المستدرک (٦/١) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه).

مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴿الأعراف: ٨، ٩﴾، ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ [القارعة: ٦-٨]، فَلَا يُنْكِرُونَ لَفْظَ الْمَوَازِينِ، وَلَكِنْ يُفَسِّرُونَهَا وَيُحَرِّفُونَهَا عَنْ مَعْنَاهَا؛ كَمَا هُوَ حَالُهُمْ مَعَ سَائِرِ النُّصُوصِ الَّتِي تُخَالِفُ عُقُوبَهُمْ يُحَرِّفُونَهَا عَنْ مَعْنَاهَا الصَّحِيحِ، أَمَّا أَهْلُ الْحَقِّ فَإِنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِهَا عَلَى حَقِيقَتِهَا، وَيَكِلُونَ كَيْفِيَّتَهَا إِلَى اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا -.

ثُمَّ هُنَاكَ تَطَايُرُ الصُّحُفِ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾، فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابَهُ ﴿إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ فَيَقُولُ يَلِينَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابَهُ﴾ [الحاقة: ١٩-٢٥]. ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْأَهْوَالِ كُلُّهَا هُنَاكَ الصِّرَاطُ مَنْصُوبًا عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَالصِّرَاطُ: هُوَ الطَّرِيقُ، وَهُوَ مَا يُسَمَّى بِالْقَنْطَرَةِ، عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، أَيْ عَلَى وَسَطِ جَهَنَّمَ، يَمُرُّ الْخَلَائِقُ كُلُّهُمْ عَلَى هَذَا الصِّرَاطِ، وَهُوَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ، وَأَحَرُّ مِنَ الْجَمْرِ، يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ فَوْقَ الصِّرَاطِ:

• فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ.

• وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرَّيحِ.

• وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ.

• وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرُكَّابِ الْإِبِلِ.

• وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوًا.

• وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا.

• وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا.

• وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْطَفُ وَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ.

وَهَذَا مَذْكُورٌ فِي الْقُرْآنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۖ﴾ (٦٨) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًّا ۖ﴾ (٦٩) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۖ﴾ (٧٠) وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۖ ﴿كُلُّ النَّاسِ يَرْدُونَ جَهَنَّمَ﴾ ۖ ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۖ﴾ (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۖ﴾ [مريم: ٦٨-٧٢]، فَإِذَا تَجَاوَزُوا الصِّرَاطَ أَوْقِفُوا لِلْقِصَاصِ، يُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ.

الرُّكْنُ السَّادِسُ: الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ، وَالْقَدَرُ هُوَ سِرُّ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - (١)، وَالْقَدَرُ هُوَ مَا قَدَرَهُ اللَّهُ مِمَّا كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، جَرَى الْقَلَمُ بِالْمَقَادِيرِ، وَكُتِبَ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (٢)، فَلَا يَقَعُ شَيْءٌ إِلَّا بِقَدَرٍ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، فَالْأُمُورُ لَيْسَتْ عَبَثًا أَوْ أُنْفَاءً، بَلْ هِيَ مُقَدَّرَةٌ مِنْ قَبْلُ ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا

(١) كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما، الذي أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ١٨١، ١٨٢) قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَكَلَّمُوا فِي الْقَدَرِ فَإِنَّهُ سِرُّ اللَّهِ فَلَا تُفْشُوا لَهَّ سِرَّهُ». وانظر: تاريخ دمشق (٥١٣/ ٤٢)، وفيض القدير (١/ ٣٤٨)، وتحفة الأحوذني (٦/ ٢٧٩).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ، وفيه: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ: اكْتُبْ، فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ».

فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ﴿٢٢﴾ [الحديد: ٢٢]، قَوْلُهُ: ﴿كِتَابٍ﴾ هُوَ اللَّوْحُ
الْمَحْفُوظُ، وَقَوْلُهُ: ﴿قَبْلَ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ يَعْنِي: نَخْلُقُهَا وَنُوجِدُهَا.

وَالْإِيْمَانُ بِالْقَدْرِ عَلَى أَرْبَعِ مَرَاتِبٍ (١):

الْمَرْتَبَةُ الْأُولَى: الْإِيْمَانُ بِعِلْمِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - الْأَزَلِيِّ الْأَبَدِيِّ الْمَحِيطِ بِكُلِّ
شَيْءٍ، أَي: نَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ، عِلْمَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ.

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الْإِيْمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: مَرْتَبَةُ الْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ، مَا شَاءَهُ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ
يَكُنْ.

الْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ: مَرْتَبَةُ خَلْقِ الْأَشْيَاءِ فِي أَوْقَاتِهَا الْمَقْدَرَةِ لَهَا، كُلُّ شَيْءٍ فِي
وَقْتِهِ، كُلُّ شَيْءٍ فِي حِينِهِ الَّذِي قَدَرَهُ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا -، فَلَا خَالِقَ مَعَهُ -

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾
[الزُّمَر: ٦٢]، وَقَالَ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصَّافَات: ٩٦]، فَتُؤْمِنُ بِأَنَّ كُلَّ
شَيْءٍ فَهُوَ مَخْلُوقٌ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -.

هَذِهِ مَرَاتِبُ الْإِيْمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ، قَالَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿أَلَمْ تَرَ

أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا
خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا

عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، وَقَالَ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ

فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ وَهُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ، ﴿مِّن قَبْلِ

(١) انظر: العقيدة الواسطية مع شرحها للمؤلف - حفظه الله تعالى - (ص ١٦٢-١٦٩).

أَنْ نَبْرَاهَا * أَي نَخْلُقَهَا، فَهِيَ مَكْتُوبَةٌ قَبْلَ أَنْ تُخْلَقَ، ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ٢٢ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ * [الحديد: ٢٢، ٢٣]، فَلَا تَحْزَنُ عَلَى مَا فَاتَ وَمَا نَقَصَ مِنْ مَالِكَ أَوْ أَوْلَادِكَ أَوْ مِمَّا تُحِبُّ، وَلَا تَفْرَحُ فَرَحَ الْأَشْرِ وَالْبَطْرِ وَالْكِبْرِ بِمَا آتَاكَ اللَّهُ مِنَ الْمَالِ، أَمَّا الْفَرَحُ بِفَضْلِ اللَّهِ، فَهَذَا مَحْمُودٌ، تَشْكُرُ اللَّهَ وَتَفْرَحُ بِمَا أَعْطَاكَ اللَّهُ، لَكِنْ فَرَحُ الْأَشْرِ وَالْبَطْرِ هَذَا هُوَ الْمُنُوعُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَفْرَحُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]، ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا لَمْتَعَةٌ﴾ [الرَّغْد: ٢٦]، فَالْفَرَحُ عَلَى قِسْمَيْنِ:

• فَرَحٌ مَذْمُومٌ، وَهُوَ فَرَحُ الْكِبْرِ وَالْبَطْرِ وَالْأَشْرِ.

• وَفَرَحٌ مَحْمُودٌ، وَهُوَ الْفَرَحُ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ

فَإِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

وَإِذَا آمَنَ الْإِنْسَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ اسْتَرَّاحَ، فَلَا يَحْزَنُ عَلَى مَا فَاتَ وَلَا يَفْرَحُ بِمَا أُعْطِيَ فَرَحًا يُخْرِجُهُ عَنِ الْاِعْتِدَالِ، أَمَّا الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ فَإِنَّهُ يَجْزَعُ وَيَسْخَطُ إِذَا فَاتَهُ شَيْءٌ، وَيَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ قَبِيحٍ، أَوْ يَفْعَلُ فِعْلًا قَبِيحًا؛ كَلَطَمِ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا إِلَى الْجَاهِلِيَّةِ عِنْدَ الْمَصَائِبِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَلَيْسَ بِرَادٍّ مَا فَاتَهُ وَلَوْ جَزَعٌ، وَلَوْ سَخِطَ، وَلَوْ لَطَمَ خَدَّهُ، وَشَقَّ جَنْبَهُ، فَلَنْ يُعِيدَ مَا فَاتَهُ، لَكِنْ تَحْصُلُ عَلَيْهِ الْمُصِيبَةُ، وَيَفُوتُهُ الْأَجْرُ أَيْضًا، أَمَّا الَّذِي يُؤْمِنُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَيَصْبِرُ عَلَى مَا أَصَابَهُ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، فَإِنَّهُ يَسْتَرِيحُ.

وَكَذَلِكَ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ يُصَبُّ بِالْجُبْنِ وَالْخَوْفِ، فَلَا يُجَاهِدُ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا يَطْلُبِ الرِّزْقَ؛ لِأَنَّهُ يَخَافُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَيُنَحِّسُ عَنْ
الْأَعْمَالِ مِنَ الْخَوْفِ، أَمَّا إِذَا آمَنَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ فَإِنَّهُ يَمْضِي فِي الْجِهَادِ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَمْضِي فِي طَلَبِ الرِّزْقِ، وَيَكِلُ الْأُمُورَ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَقَدْ
جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: «إِذَا
سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ
عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى
أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ
وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» (١).

فَالْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ يُكْسِبُ الْإِنْسَانَ قُوَّةَ الْعَزِيمَةِ، وَقُوَّةَ الْإِيمَانِ،
وَالْتَوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وَعَدَمُ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ يُؤَدِّي
بِالْإِنْسَانِ إِلَى الْجَزَعِ وَالسَّخَطِ عِنْدَ الْمَصَائِبِ، وَأَيْضًا يُعْرِقُ لَهُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ
الْأَعْمَالِ، فَيُصَابُ بِالتَّرَدُّدِ وَالْأَوْهَامِ وَالْوَسَاوِسِ، فَلَا يُقَدِّمُ عَلَى شَيْءٍ خَوْفًا مِنْ
أَنْ يَكُونَ كَذًا أَوْ يَكُونَ كَذًا، وَيَتْرُكُ الْأُمُورَ النَّافِعَةَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يُصِيبَهُ كَذًا
وَكَذًا؛ لِأَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، فَمَا قَضَاهُ اللَّهُ وَقَدَرَهُ لَا بُدَّ أَنْ يَحْصُلَ
سَوَاءٌ خَرَجْتَ أَوْ لَمْ تَخْرُجْ، سَوَاءٌ فَعَلْتَ أَوْ لَمْ تَفْعَلْ، فَتَعْتَصِمُ بِاللَّهِ،
وَتَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ، وَتَتْرُكُ الْقَضَاءَ وَالْقَدَرَ لِلَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وَإِذَا
أَصَابَكَ شَيْءٌ لَا تَجْزَعُ؛ وَلِهَذَا قَالَ ﷺ: «اٰخْرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِزْ

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد في المسند (٣٠٧/١)، وأبو يعلى في مسنده (٤٣٠/٤)، وعبد
بن حميد في مسنده (ص ٢١٤)، والطبراني في الكبير (١١٢٤٣)، وابن المستفاض في القدر
(ص ١٣٠)، والحاكم في المستدرک (٦٢٤/٣)، وأبونعيم في الحلية (٣١٤/١)، والبيهقي في
شعب الإيمان (٢٧/٢).

بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ» وَفِي رِوَايَةٍ: «قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»^(١)، فَإِذَا بَدَلْتَ السَّبَبَ وَلَمْ يَحْصُلِ الْمُقْصُودُ فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُرِدْهُ، وَأَنْتَ لَا تَذَرِي رَبًّا أَنَّ الْخَيْرَ فِي عَدَمِ حُصُولِهِ، وَاللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - حَكِيمٌ، فَأَنْتَ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَبِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَتَصْبِرُ عَلَى الْمَصَائِبِ.

كَذَلِكَ لَا يُصِيبُكَ الْأَشْرُ وَالْبَطَرُ عِنْدَ النِّعَمِ، وَتَتَزَنُّ فِي أُمُورِكَ، وَتَرْتَاحُ فِي ضَمِيرِكَ، وَتَعِيشُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عِيشَةَ الْمُؤْمِنِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ الْمَفْوضِ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَعْمَلُ وَتُنْتِجُ، وَتُجَاهِدُ؛ لِأَنَّكَ تُؤْمِنُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَتُؤْمِنُ أَنَّهُ لَا يَحْصُلُ شَيْءٌ إِلَّا بِسَبَبٍ، وَلَا تُعْطِلُ الْأَسْبَابَ، وَلَكِنْ لَا تَعْتَمِدُ عَلَى الْأَسْبَابِ، اجْمَعْ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ: الْإِيمَانَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَفِعْلِ الْأَسْبَابِ مَعَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

فَهَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِ، وَهَذَا هُوَ الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ يُفِيدُ الْإِنْسَانَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَيُذْهِبُ عَنْهُ الْخَوْفَ وَالْوَسَاوِسَ وَالْهُمُومَ، وَعَدَمُ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ يُصِيبُ الْإِنْسَانَ بِالْخَوَرِ وَالضَّعْفِ وَالْوَسَاوِسِ وَالْأَوْهَامِ، وَكُلُّ شَيْءٍ يُخِيفُهُ، فَهَذَا نَتِيجَةُ عَدَمِ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ.

وَيَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مَعَ إِيْمَانِهِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ أَنْ يُؤْمِنَ بِأَنَّ الْعِبَادَ لَهُمْ أَفْعَالٌ يَفْعَلُونَهَا بِاخْتِيَارِهِمْ، لَيْسُوا مُجْبَرِينَ عَلَيْهَا، فَهُوَ يُؤْمِنُ أَوْ يَكْفُرُ، أَوْ يُصَلِّي أَوْ يَتْرُكُ، أَوْ يَصُومُ أَوْ يُفْطِرُ، هُوَ الَّذِي يَفْعَلُ هَذَا، فَيُثَابُ عَلَى

الطَّاعَاتِ وَيُعَاقِبُ عَلَى الْمَعَاصِي؛ لِأَنَّهَا أَفْعَالُهُ، فَهُوَ لَا يُعَاقِبُ عَلَى الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ إِنَّمَا يُعَاقِبُ عَلَى أَفْعَالِهِ هُوَ الَّتِي يَفْعَلُهَا بِاخْتِيَارِهِ وَإِرَادَتِهِ، فَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَقُومَ لِيُصَلِّيَ الْفَجْرَ وَيَقْدِرُ أَنْ يَنَامَ وَيَتْرُكَ صَلَاةَ الْفَجْرِ، يَقْدِرُ أَنْ يَصُومَ رَمَضَانَ، وَيَقْدِرُ أَنْ يَتْرُكَ صِيَامَ رَمَضَانَ، وَيَقْدِرُ أَنْ يَمْنَعَ نَفْسَهُ مِنَ الْفَوَاحِشِ، وَيَقْدِرُ أَنْ يَتْرُكَ نَفْسَهُ مَعَ الْفَوَاحِشِ، كُلُّ شَيْءٍ هُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ بِمَشِيئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَاللَّهُ أَعْطَاهُ الْإِرَادَةَ، وَأَعْطَاهُ الْمَشِيئَةَ، وَأَعْطَاهُ الْاخْتِيَارَ أَنْ يَفْعَلَ أَوْ لَا يَفْعَلَ؛ وَلِذَلِكَ الْمُكْرَهُ لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ اخْتِيَارٌ، وَكَذَلِكَ الْمَجْنُونُ لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ اخْتِيَارٌ؛ كَذَلِكَ الصَّبِيُّ الَّذِي لَمْ يَبْلُغْ لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ اخْتِيَارٌ حَتَّى يَبْلُغَ.

فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِيمَانِ بِهَذَا أَنَّهُ مَعَ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ نُوْمِنُ بِأَنَّ الْعِبَادَ لَهُمْ أَفْعَالٌ وَلَهُمْ إِرَادَةٌ وَلَهُمْ مَشِيئَةٌ، لَا كَمَا تَقُولُهُ الْجَبَرِيَّةُ^(١): إِنَّ الْعِبَادَ مُجْبَرُونَ وَمُحَرَّرُونَ فَقَطْ لَيْسَ لَهُمْ اخْتِيَارٌ، وَلَا كَمَا تَقُولُهُ الْمُعْتَزَلَةُ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ قَضَاءٌ وَقَدَرٌ، وَإِنَّمَا الْعِبَادُ يَسْتَقِلُّونَ بِأَفْعَالِهِمْ، وَهُمْ الَّذِينَ يَخْلُقُونَ أَفْعَالَهُمْ بِقُدْرَتِهِمْ لَيْسَ بِإِرَادَةِ اللَّهِ، وَلَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ. فَاَلْمُعْتَزَلَةُ وَالْجَبَرِيَّةُ عَلَى طَرَفَيْ نَقِيضٍ، أَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَهُمْ مُعْتَدِلُونَ فِي هَذَا، يَقُولُونَ: اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - قَدَّرَ الْأَشْيَاءَ، وَلَكِنَّهُ أَعْطَى الْعِبَادَ الْاخْتِيَارَ وَالْمَشِيئَةَ وَالْإِرَادَةَ وَالْقُدْرَةَ عَلَى الْفِعْلِ أَوْ التَّرْكِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ سَأَلْتُمْ لَشَيْءٌ

(١) الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى، والجبرية أصناف: فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً، والجبرية المتوسطة هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً. انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٦٨)، والممل والنحل (١/ ٨٥)، والتعريفات (ص ١٠١).

④ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْقَى ⑤ وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى ⑥ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ⑦ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ
وَأَسْتَغْنَى ⑧ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ⑨ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿[الليل: ٤-١٠]، وَهَذَا فِيهِ رَدٌّ عَلَى
الْجَبْرِيةِ الَّذِينَ يَنْفُونَ أَفْعَالَ الْعِبَادِ وَاخْتِيَارَهُمْ، وَمَا عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ
هُوَ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَهُوَ الْاِعْتِدَالُ بَيْنَ الْجَبْرِيةِ وَالْقَدَرِيةِ.

فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِيْمَانِ بِالْقَدَرِ بِجَمِيعِ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَا قَدَرَ،
وَأَنَّ الْعِبَادَ هُمْ الَّذِينَ يَخْلُقُونَ أَفْعَالَهُمْ دُونَ قَدَرِ اللَّهِ كَالْمُعْتَزَلَةِ، فَهَذَا إِنْ كَانَ
مُتَبَيِّنًا لِهَذَا الرَّأْيِ وَهُوَ يَعْلَمُ الْأَدِلَّةَ، وَلَكِنَّهُ يُنْكِرُهَا وَيَأْخُذُ بِرَأْيِهِ، فَهَذَا كَافِرٌ
بِلَا شَكٍّ، أَمَّا إِنْ كَانَ مُقَلِّدًا أَوْ جَاهِلًا فَهَذَا يُبَيِّنُ لَهُ، فَإِنْ أَصَرَ عَلَى الْكُفْرِ
بِالْقَدَرِ فَإِنَّهُ يُحْكَمُ بِكُفْرِهِ، لَكِنْ إِنْ كَانَ جَاهِلًا أَوْ كَانَ مُقَلِّدًا فَهَذَا لَا يُكْفَرُ
مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ، وَإِنَّمَا يُبَيِّنُ لَهُ وَيُشْرَحُ لَهُ الْأَمْرُ، فَإِنْ رَجَعَ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَإِنْ
أَصَرَ فَإِنَّهُ يَكُونُ كَافِرًا.

وَلَا يَكْفِي أَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ تَعْمَلَ وَلَا تَتَّكِلَ عَلَى
الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَتَقُولَ: إِنْ قَدَّرَ اللَّهُ لِي فَسَيَحْصُلُ وَإِنْ لَمْ يُقَدِّرْهُ فَإِنَّهُ لَا
يَحْصُلُ وَلَا حَاجَةَ إِلَى الْعَمَلِ، كَمَا يَقُولُهُ الْجَبْرِيةُ، فَهَذَا بَاطِلٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَ
بِاتِّخَاذِ الْأَسْبَابِ، وَأَمَرَ بِالْعَمَلِ، وَأَمَرَ بِالسَّعْيِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَلَا يَتَّكِلُ
الْإِنْسَانُ عَلَى الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَإِنَّمَا يَعْمَلُ وَيَتَحَرَّكُ وَيَطْلُبُ الْخَيْرَ وَيَتْرُكُ
الشَّرَّ، وَهُوَ لَا يُجَازِي عَنِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَإِنَّمَا يُجَازِي عَلَى عَمَلِهِ، وَعَلَى كَدِّهِ
وَكَسْبِهِ، وَعَلَى إِرَادَتِهِ وَنِيَّتِهِ وَقَصْدِهِ، فَهُوَ يُحَاسِبُ عَلَى أَعْمَالِهِ، وَيُجَازِي عَلَى
أَعْمَالِهِ، فَإِنْ كَانَتْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ كَانَتْ شَرًّا فَشَرٌّ.

هَذِهِ هِيَ أَرْكَانُ الْإِيْمَانِ، وَأَرْكَانُ الْإِسْلَامِ، وَالْإِسْلَامُ وَالْإِيْمَانُ مَرْتَبَتَانِ
عَظِيمَتَانِ مِنْ مَرَاتِبِ الدِّينِ، فَإِذَا اجْتَمَعَا - بِأَنَّ ذِكْرَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيْمَانِ - فُسِّرَ

الإِسْلَامُ بِالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ، وَفُسِّرَ الْإِيْمَانُ بِأَعْمَالِ الْقَلْبِ، كَمَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأَحْزَاب: ٣٥]، وَأَمَّا إِذَا ذُكِرَ أَحَدُهُمَا وَخُذَهُ دَخَلَ فِيهِ الْآخَرُ، فَإِذَا ذُكِرَ الْإِسْلَامُ وَخُذَهُ دَخَلَ فِيهِ الْإِيْمَانُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِسْلَامًا صَحِيحًا إِلَّا بِالْإِيْمَانِ، وَإِذَا ذُكِرَ الْإِيْمَانُ وَخُذَهُ دَخَلَ فِيهِ الْإِسْلَامُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِيْمَانًا صَحِيحًا إِلَّا بِالْإِسْلَامِ، فَلَا بُدَّ مِنْ اجْتِمَاعِ الْأَمْرَيْنِ، وَلَا يَنْفَعُ أَحَدُهُمَا دُونَ الْآخَرِ، فَلَا إِسْلَامَ بِدُونِ إِيْمَانٍ، وَلَا إِيْمَانَ بِدُونِ إِسْلَامٍ، يَعْنِي: لَا تَكْفِي الْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ عَنْ أَعْمَالِ الْقَلْبِ، وَلَا تَكْفِي أَعْمَالُ الْقَلْبِ عَنْ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ.

وَمِنْ ثَمَّ قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ الْإِسْلَامَ وَالْإِيْمَانَ إِذَا ذُكِرَا جَمِيعًا افْتَرَقَا فِي الْمَعْنَى، فَيُفْسَرُ الْإِسْلَامُ بِكَذَا، وَيُفْسَرُ الْإِيْمَانُ بِكَذَا، وَإِذَا ذُكِرَ أَحَدُهُمَا فَقَطْ دَخَلَ فِيهِ الْآخَرُ^(١).

وَيَأْتِي حِينَئِذٍ حُكْمُ مُرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ الَّتِي هِيَ دُونَ الشَّرِّكَ، هَلْ يُقَالُ لَهُ: مُسْلِمٌ أَوْ يُقَالُ لَهُ: مُؤْمِنٌ، أَوْ لَا يُقَالُ: مُسْلِمٌ وَلَا مُؤْمِنٌ؟^(٢) أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَالْمَذْهَبِ الْحَقِّ أَنَّ مُرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ الَّتِي دُونَ الشَّرِّكَ يُقَالُ لَهُ: مُؤْمِنٌ، لَكِنَّهُ نَاقِصُ الْإِيْمَانِ، فَالْإِيْمَانُ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ

(١) انظر: كتاب الإِيْمَان الكبير لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى (٢٥٩ / ٧)، وفتح الباري (١ / ١١٥)، وعمدة القاري (١ / ١٩٦).

(٢) انظر: العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع شرحها للمؤلف - حفظه الله - (ص ١٣٤).

بِالْمَعْصِيَةِ، كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ الْأَدِلَّةُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ، وَلَيْسَ هُوَ شَيْئًا وَاحِدًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَزِدَادُ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المائدة: ٣١]، وَقَالَ: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، فَالْإِيمَانُ يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعَاصِي حَتَّى يَصِلَ إِلَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ، كَمَا فِي حَدِيثِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، قَالَ ﷺ: «فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١)، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ يَكُونُ ضَعِيفًا، وَيَكُونُ قَوِيًّا، وَفِي الْحَدِيثِ أَيْضًا: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَذْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(٢). فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ فِيهِ أَعْلَى، وَفِيهِ أَدْنَى.

بِخِلَافِ الْمُرْجِيَّةِ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ، وَهُوَ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا تَدْخُلُ فِيهِ الْأَعْمَالُ، وَإِنَّمَا هُوَ فِي الْقَلْبِ فَقَطْ، فَهَذَا قَوْلٌ بَاطِلٌ بِلَا شَكٍّ؛ لِأَنَّهُ بِخِلَافِ الْأَدِلَّةِ.

وَعَلَى الْعَكْسِ الْخَوَارِجُ^(٣)، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: مُرْتَكِبُ الْكَبِيرَةِ الَّتِي دُونَ

(١) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه (ص ٤٧).

(٣) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين جرى أمر المحكمين، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة، وفيهم قال النبي ﷺ: «... يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» أخرجه البخاري (٢٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. انظر: مقالات الإسلاميين (ص ٤، ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص ٥٤)، والملل والنحل (١ / ١١٤).

الشِّرْكُ كَافِرٌ لَيْسَ عِنْدَهُ إِيمَانٌ. فَيَسْلُبُونَهُ الْإِيمَانَ بِالْكُلِّيَّةِ، وَيَجْعَلُونَهُ كَافِرًا وَمُخَلَّدًا فِي النَّارِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، فَهَؤُلَاءِ يَسْلُبُونَهُ الْإِيمَانَ نِهَائِيًّا، وَالْمُرْجِيَّةُ يُعْطُونَهُ الْإِيمَانَ كَامِلًا، هَذَا تَنَاقُضٌ بَيْنَهُمْ، أَمَّا أَهْلُ الْحَقِّ وَأَهْلُ الْمَذْهَبِ الصَّحِيحِ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَلَيْسَ إِيمَانُ النَّاسِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ، فَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ مُؤْمِنٌ كَامِلٌ الْإِيمَانَ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصٌ الْإِيمَانَ.

وَالْمُعْتَزِلَةُ جَاءُوا بِطَرِيقَةٍ جَدِيدَةٍ، فَقَالُوا: لَا نَقُولُ إِنَّ مُرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ مُؤْمِنٌ، وَلَا نَقُولُ: إِنَّهُ كَافِرٌ، بَلْ هُوَ فِي مَنزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنَزِلَتَيْنِ. فَمِنْ أَصُولِ مَذْهَبِهِمْ: الْمَنزِلَةُ بَيْنَ الْمَنَزِلَتَيْنِ، أَمَّا إِذَا مَاتَ وَلَمْ يَثْبُتْ فَهُمْ مِثْلُ الْخَوَارِجِ يَقُولُونَ: مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ. فَيَجْتَمِعُونَ مَعَ الْخَوَارِجِ فِي عُقُوبَتِهِ فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّهُ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ، وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَأَحْدَثُوا لَهُمْ مَذْهَبًا لَيْسَ هُوَ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَلَيْسَ هُوَ مَذْهَبَ الْخَوَارِجِ، وَلَيْسَ هُوَ مَذْهَبَ الْمُرْجِيَّةِ أَيْضًا، فَيَقُولُونَ: هُوَ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَلَا كَافِرٍ. هَلْ هُنَاكَ مَنْ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَلَا كَافِرٍ؟ يُمْكِنُ هَذَا فِي الْمَجْنُونِ وَالصَّغِيرِ، أَمَّا الْبَالِغُ الْعَاقِلُ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ كَافِرًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، وَلَمْ يَقُلْ: وَمِنْكُمْ مَنْ هُوَ لَيْسَ بِكَافِرٍ وَلَا بِمُؤْمِنٍ، فَهَذَا قَوْلٌ مُبْتَدَعٌ وَلَا أَصْلَ لَهُ، وَلَكِنْ هَذَا هُوَ الضَّلَالُ، فَمَنْ تَرَكَ الْحَقَّ فَإِنَّهُ يُبْتَلَى بِالْمُتَنَاقِضَاتِ، وَيُبْتَلَى بِالْبَاطِلِ، وَيَهِيمُ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ.

فَهَذِهِ أُمُورٌ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَتِهَا؛ لِأَنَّهَا مَحَطُّ الْجِدَالِ وَالْكَلَامِ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَبَيْنَ مُخَالِفِيهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ: الْخَوَارِجُ وَالْمُرْجِيَّةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ، وَغَيْرِهِمْ. ثُمَّ إِنَّ جَبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ»،

وَالْإِحْسَانُ هُوَ الْمَرْتَبَةُ الْعُلْيَا، وَمَعْنَى الْإِحْسَانِ: إِتْقَانُ الشَّيْءِ وَإِتْمَامُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: ٧]، وَإِحْسَانُ الْعَمَلِ إِتْمَامُهُ وَإِتْقَانُهُ، وَإِحْسَانُ الصَّنْعَةِ إِتْمَامُهَا وَإِتْقَانُهَا؛ وَلِهَذَا يَقُولُونَ: أَنْتَ تُحْسِنُ كَذَا أَوْ لَا تُحْسِنُ؟ يَعْنِي هَلْ تَعْرِفُ هَذَا الشَّيْءَ تَمَامًا أَوْ أَنَّكَ لَا تَعْرِفُهُ.

وَالْإِحْسَانُ يَكُونُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَخِدَّةٍ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيَكُونُ الْإِحْسَانُ بَيْنَ النَّاسِ بِالصَّدَقَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَبَذْلِ الْخَيْرِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَتَعْلِيمِ الْعِلْمِ النَّافِعِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وَإِحْسَانُ الْعَمَلِ: إِتْقَانُهُ بِأَنْ يَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ، وَلَيْسَ فِيهِ بِدْعَةٌ، فَإِذَا كَانَ فِي الْعَمَلِ بِدْعَةٌ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ إِحْسَانِ الْعَمَلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة: ١١٢]، وَقَالَ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(١)، وَقَالَ: «وَأَيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ»^(٢)، فَإِحْسَانُ الْعَمَلِ إِخْلَاصُهُ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَمُوَافَقَتُهُ لِلْسُّنَّةِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، فَقَوْلُهُ: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أَيُّ: مُتَّبِعٌ لِلرَّسُولِ ﷺ، وَلَمْ يَتَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ بِالْبِدَعِ وَالْمُحَدَّثَاتِ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: الْإِحْسَانُ «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»، هَذَا هُوَ الْإِحْسَانُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ، أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ مُوقِنًا بِهِ مُؤْمِنًا بِهِ تَمَامَ الْإِيمَانِ حَتَّى كَأَنَّكَ تَرَاهُ بِبَصَرِكَ، مِنْ شِدَّةِ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ الشَّيْءَ الَّذِي يُرَى لَا يُشَكُّ فِيهِ،

(١) سبق تخريجه (ص ٣٩).

(٢) سبق تخريجه (ص ٣٩).

فَعِنْدَمَا تَرَى الْجِدَارَ لَا تَشْكُ فِيهِ، أَوْ تَرَى الْبَابَ لَا تَشْكُ فِيهِ أَبَدًا، فَالْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - كَأَنَّكَ تُشَاهِدُهُ بِعَيْنِكَ مِنْ قُوَّةِ إِيْمَانِكَ وَيَقِينِكَ، وَإِلَّا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُرَى فِي هَذِهِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ الْخَلْقَ لَا يَسْتَطِيعُونَ رُؤْيَا اللَّهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ قُوَّةَ يَسْتَطِيعُونَ بِهَا أَنْ يَرَوْا رَبَّهُمْ، أَمَّا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَلَا أَحَدَ يَرَى اللَّهَ مُعَايَنَةً، إِنَّمَا يَرَاهُ بِقَلْبِهِ وَإِيْمَانِهِ وَيَقِينِهِ كَأَنَّهُ يُشَاهِدُهُ.

لِهَذَا لَمَّا سَأَلَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ ، قَالَ اللَّهُ لَهُ: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، يعني: فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَا يَسْتَطِيعُ رُؤْيَا اللَّهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَلَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ رُؤْيَا اللَّهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِعَظَمَتِهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -؛ لِأَنَّهُ اخْتَجَبَ عَنْ عِبَادِهِ بِالنُّورِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «حِجَابُهُ النُّورُ»^(١)، فَلَا أَحَدَ يَرَى اللَّهَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا دَلَّتِ الْأَدِلَّةُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُكْرِمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَكَمَا أَنَّ هُمْ عَبْدُوهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِنْ غَيْرِ رُؤْيَا لَهُ، وَإِنَّمَا آمَنُوا بِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْرَأُ عُيُونَهُمْ بِأَنْ يَتَجَلَّى لَهُمْ وَيَرَوْنَهُ عَيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -^(٢)، أَمَّا الْكُفَّارَ لَمَّا لَمْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَإِنَّ اللَّهَ يَحْجُبُهُمْ عَنْ رُؤْيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ تَعَالَى:

(١) أخرجه مسلم (١٧٩) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) تواترت الأحاديث الصحيحة التي تثبت رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، منها ما أخرجه البخاري

(٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا عند رسول

الله ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا

تُضَامُونَ فِي رُؤْيَا» ، ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم

(١٨٢)، وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فَإِذَا كَانَ الْكُفَّارُ يُحْجَبُونَ عَنْ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -؛ كَمَا تَوَاتَرَتْ بِهَذَا الْأَدِلَّةُ، فَقَوْلُهُ: «كَأَنَّكَ تَرَاهُ» هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يُرَى فِي الدُّنْيَا مُعَايَنَةً، وَإِنَّمَا يُرَى فِي الْقَلْبِ وَالْيَقِينِ وَالْإِيمَانِ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُ شَكٌّ، وَهَذِهِ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ.

وَبَعْدَهَا مَرْتَبَةٌ قَالَ فِيهَا ﷺ: «فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ» يَعْنِي: لَمْ تَصِلْ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ الْيَقِينِ «فَإِنَّهُ يَرَاكَ» أَي: تُؤْمِنُ بِاطِّلَاعِ اللَّهِ عَلَيْكَ، وَهَذِهِ أَقْلٌ مِنَ الْأُولَى، لَكِنَّهَا دَرَجَةٌ عَالِيَةٌ، فَتَعْبُدُهُ مُؤْمِنًا بِأَنَّهُ يَطَّلِعُ عَلَيْكَ، وَيَرَاكَ فِي جَمِيعِ تَصَرُّفَاتِكَ، «فَإِنَّهُ يَرَاكَ» يَعْنِي: اعْتَقِدْ بِقَلْبِكَ وَاسْتَحْضِرْ أَنَّ اللَّهَ يَرَاكَ وَيَطَّلِعُ عَلَيْكَ، وَهَذِهِ مَرْتَبَةٌ عَظِيمَةٌ وَلَا شَكَّ، وَهِيَ تُسَمَّى: مَرْتَبَةُ الْمُرَاقَبَةِ - مُرَاقَبَةِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - وَلَكِنَّهَا أَقْلٌ مِنَ الْأُولَى، فَالْإِحْسَانُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ هُوَ مَا بَيَّنَّهُ الرَّسُولُ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ؛ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى الْيَقِينِ وَالْإِيمَانِ، إِمَّا الْيَقِينُ الَّذِي يُجْعَلُ الْعَبْدَ كَأَنَّهُ يَرَى اللَّهَ، أَوِ الْيَقِينُ الَّذِي يَسْتَحْضِرُ بِهِ الْعَبْدُ أَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ وَمُشَاهِدٌ لِأَعْمَالِهِ، فَلَا يَنْحَرِفُ عَنْ طَاعَتِهِ، وَإِذَا انْحَرَفَ أَوْ أَخْطَأَ فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَلَا يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَالْإِنْسَانُ لَيْسَ مَعْصُومًا، وَلَكِنْ إِذَا حَصَلَ مِنْهُ مُخَالَفَةٌ فَإِنَّهُ يُبَادِرُ بِالتَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَى مَنْ تَابَ، وَلَا يَأْخُذُ الْقُنُوطَ وَالْيَأْسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَا يَتَلَاَعَبُ بِهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى يَيْأَسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، هَذَا هُوَ الْإِحْسَانُ.

فَدَلَّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ الدِّينَ يَتَفَاضِلُ وَأَنَّ بَعْضَهُ أَعْظَمُ مِنْ بَعْضٍ، فَأَوَّلُ مَرَاتِبِهِ هِيَ الْإِسْلَامُ، وَهُوَ الْإِنْقِيَادُ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ: الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: إِسْلَامٌ مَعَهُ إِيمَانٌ، سَوَاءً كَانَ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا، وَهَذَا إِسْلَامٌ

المُؤْمِنِينَ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ الصَّحِيحُ الَّذِي يُثَابُ عَلَيْهِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي مَعَهُ
 إِيْمَانٌ يُصَحِّحُهُ وَلَوْ كَانَ قَلِيلًا؛ وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ
 تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، لَيْسَ مَعْنَى هَذَا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابَ
 مُنَافِقُونَ، لَكِنْ مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ لَمْ يَتَكَامَلْ عِنْدَهُمْ الْإِيْمَانُ، وَهُمْ ادَّعَوْا مَنَزِلَةً لَمْ
 يَصِلُوا إِلَيْهَا حِينَئِذٍ قَالُوا: ﴿ءَامِنَّا﴾ فَلَوْ قَالُوا: ﴿أَسْلَمْنَا﴾. لَكَانَ هَذَا هُوَ
 التَّعْبِيرُ السَّلِيمُ؛ وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ: ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ
 الْإِيْمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (لَمَّا) لِلْمُسْتَقْبَلِ الَّذِي لَيْسَ مَوْجُودًا الْآنَ وَلَكِنَّهُ
 سَيُوجَدُ، فَاللَّهُ بَشَّرَهُمْ بِأَنَّ الْإِيْمَانُ سَيَدْخُلُ فِي قُلُوبِهِمْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَيَقْوَى
 إِيْمَانُهُمْ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، وَلَكِنَّهُمْ اسْتَعْجَلُوا وَقَالُوا: ﴿ءَامِنَّا﴾ فَهُمْ ادَّعَوْا
 مَنَزِلَةً لَمْ يَصِلُوا إِلَيْهَا؛ فَلِذَلِكَ أَنْكَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَبَيَّنَ اللَّائِقَ بِهِمْ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ
 لَا يُكْمِلُ نَفْسَهُ وَيَدَّعِي شَيْئًا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ، قَالَ: ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ
 الْإِيْمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ لَمْ يَقُلْ: لَمْ تُؤْمِنُوا، بَلْ قَالَ: ﴿وَلَمَّا﴾ وَفَرَّقَ بَيْنَ (لَمَّا) وَبَيْنَ
 (لَمْ)، (لَمْ) لِلنَّفْيِ الْمَطْلُوقِ، أَمَّا (لَمَّا) فَهِيَ لِلنَّفْيِ الْمَوْقَّتِ.

قَالَ: «أَخْبَرَنِي عَنِ السَّاعَةِ» إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ، لَمَّا كَانَ مِنْ جُمْلَةِ أَرْكَانِ
 الْإِيْمَانِ: الْإِيْمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَهُوَ يَبْدَأُ بِقِيَامِ السَّاعَةِ وَنِهَايَةِ الدُّنْيَا،
 فَقِيَامُ السَّاعَةِ هُوَ نِهَايَةُ الدُّنْيَا، وَبِدَايَةُ الْآخِرَةِ، فَهُوَ الْأَجَلُ الَّذِي ضَرَبَهُ اللَّهُ
 -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لِهَذِهِ الْحَيَاةِ، يَنْتَهِي ثُمَّ تَقُومُ الْقِيَامَةُ، وَالْإِيْمَانُ بِذَلِكَ رُكْنٌ
 مِنْ أَرْكَانِ الْإِيْمَانِ، فَمَنْ شَكَّ فِي قِيَامِ السَّاعَةِ، أَوْ تَرَدَّدَ أَوْ جَحَدَ قِيَامَ السَّاعَةِ
 فَإِنَّهُ كَافِرٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا
 عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]، وَلَا يَكْفِي أَنَّ الْإِنْسَانَ يُؤْمِنُ بِالْيَوْمِ

الْآخِرِ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَعْمَلَ لِلْيَوْمِ الْآخِرِ، فَيَعْمَلَ الصَّالِحَاتِ وَيَتُوبَ مِنْ
السَّيِّئَاتِ، وَيَسْتَعِدُّ لِهَذَا الْيَوْمِ، هَذَا هُوَ الْمُقْصُودُ، أَمَّا مَجَرَّدُ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَلَا يَسْتَعِدُّ وَلَا يَعْمَلُ لَهُ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَفِيدُ مِنْ هَذَا الْإِيمَانِ، وَقِيَامُ السَّاعَةِ
وَتَوْقِيئُهُ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ، فَلَمْ يُخْبِرْ بِهِ
الْمَلَائِكَةَ، وَلَمْ يُخْبِرْ بِهِ الرُّسُلَ؛ بَلْ إِنَّ اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - أَخْفَى عِلْمَهُ عَنِ
الْخَلْقِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لِلنَّاسِ مَصْلَحَةٌ فِي مَعْرِفَةِ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ، إِنَّمَا الْمَصْلَحَةُ
فِي الْإِيمَانِ بِقِيَامِهَا وَالِاسْتِعْدَادِ لَهَا، هَذَا هُوَ الْمُقْصُودُ، وَأَمَّا وَقْتُ قِيَامِ السَّاعَةِ
فَهَذَا إِلَى اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ بَيَانٌ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ
وَقْتُ قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا
عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وَقَالَ - جَلَّ وَعَلَا -:
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ ٤٢ ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾ ٤٣ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَلَا﴾ ٤٤ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ
مُنْذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا﴾ ٤٥ ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٢-٤٦]،
وَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي
نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾
[لقمان: ٣٤]، فَعِلْمُ السَّاعَةِ عِنْدَ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا -، وَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ:
إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ فِي وَقْتٍ كَذَا وَيَعْتَمِدُ عَلَى حِسَابَاتٍ وَعَلَى خُرَافَاتٍ وَعَلَى
أَوْهَامٍ؛ كَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ الْمَدَجِّلِينَ وَالْمُتَنَطِّعِينَ، فَهَذَا مِنَ التَّكْلِيفِ الَّذِي مَا
أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِ مِنْ سُلْطَانٍ، وَمَنْ يَفْعَلْ هَذَا فَهُوَ كَذَّابٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنَّ اللَّهَ
يَحْجُبُ عِلْمَ قِيَامِ السَّاعَةِ وَيَأْتِي أَحَدٌ يَعْرِفُهُ أَبَدًا.

وَلَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ تَسْأَلَ عَنْ قِيَامِ السَّاعَةِ، بَلِ الْحِكْمَةُ أَنْ تَسْأَلَ عَمَّا

تَعْمَلُ، وَكَيْفَ تَسْتَعِدُّ لِهَذَا الْيَوْمِ، هَذَا هُوَ الَّذِي لَكَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ؛ وَلِهَذَا لَمَّا قَالَ جِبْرِيلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ» قَالَ ﷺ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» أَيُّ أَنَا وَأَنْتَ سَوَاءٌ، كُلُّنَا لَا نَعْلَمُ مَتَى قِيَامُ السَّاعَةِ، فَإِذَا كَانَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَهُوَ سَيِّدُ الْمَلَائِكَةِ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ لَا يَعْلَمَانِ وَقْتُ قِيَامِ السَّاعَةِ، فَكَيْفَ يَأْتِي مَنْ يَدَّعِي هَذَا؟ فَهَذَا فِيهِ أَنَّ عِلْمَ أَوْ تَوْقِيتِ قِيَامِ السَّاعَةِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا» وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، «بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» وَهُوَ جِبْرِيلُ، أَيُّ كُلُّنَا سَوَاءٌ لَا نَعْرِفُ هَذَا، وَهَذَا تَصَدِيقٌ لِلْقُرْآنِ فِي أَنَّ عِلْمَ السَّاعَةِ إِلَى اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - . وَفِي هَذَا أَنَّ مَنْ سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْلَمُهُ فَإِنَّهُ يَرْدُّهُ إِلَى اللَّهِ وَلَا يَتَخَرَّصُ فِيهِ.

قَالَ: «أَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا» أَيُّ عَلَامَاتِهَا، الْعَلَامَاتُ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى قُرْبِ قِيَامِ السَّاعَةِ مَوْجُودَةٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ^ط فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [مُحَمَّدٌ: ١٨]، أَيُّ عَلَامَاتِهَا، الْأَشْرَاطُ: يَعْنِي الْعَلَامَاتُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ [البَقَرَةُ: ٢١٠]

وَقْتُ قِيَامِ السَّاعَةِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ.

أَمَّا الْعَلَامَاتُ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى قُرْبِ قِيَامِ السَّاعَةِ فَهِيَ كَثِيرَةٌ وَمَعْلُومَةٌ، مِنْهَا مَا هُوَ كَبِيرٌ، وَمِنْهَا مَا هُوَ صَغِيرٌ، وَمِنْهَا مُتَوَسِّطٌ، وَقَدْ حَدَّثَ الْكَثِيرُ مِنْهَا، وَبَقِيَ الْعَلَامَاتُ الْكِبَارُ، وَقَدْ أَلَّفَ الْعُلَمَاءُ مُؤَلَّفَاتٍ كَثِيرَةً فِي ذِكْرِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ^(١)، وَعَلَامَاتِ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَهَذَا عِلْمٌ يُدْرِكُ مِنَ النُّصُوصِ وَالْأَدِلَّةِ.

(١) ومن المصنفات في أشراط الساعة: (صفة أشراط الساعة) للسرخسي، (القناعة فيما تمس الحاجة من أشراط الساعة) للسخاوي، (الإذاعة) لصديق حسن خان، (إتحاف الجماعة فيما ورد في

قَالَ: «أَخْبَرَنِي عَنْ أَمَارَتِهَا» فَلَمَّا كَانَ السُّؤَالُ عَنْ عَلَامَاتِهَا جَائِزًا أَجَابَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ عَلَامَتَيْنِ: قَالَ: «أَنْ تِلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا» هَذِهِ وَاحِدَةٌ، وَمَعْنَى تِلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا أَي سَيِّدَتَهَا، تَكُونُ الْأُمُّ مَسُودَةً وَالْبِنْتُ سَيِّدَةً لَهَا، هَذَا مِنْ الْعَجَائِبِ، أَنَّ الْبِنْتَ تَكُونُ سَيِّدَةً لِأُمِّهَا، فَمَا مَعْنَى هَذَا؟ ذَكَرُوا مَعْنَيْنِ^(١): الْمَعْنَى الْأَوَّلُ: أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَكْثُرُ التَّسَرِّي فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ بِنْتَ الْأُمَّةِ تَكُونُ حُرَّةً تَبَعًا لِأَبِيهَا، فَالْبِنْتُ حُرَّةٌ، وَالْأُمُّ أَمَةٌ، فَتَكُونُ الْبِنْتُ سَيِّدَةً لِأُمِّهَا.

الْمَعْنَى الثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّهُ يَكْثُرُ الْعُقُوقُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ حَتَّى كَأَنَّ الْبِنْتَ تَكُونُ سَيِّدَةً لِأُمِّهَا، بِأَنْ تَتَكَبَّرَ عَلَيْهَا وَتَعُقَّهَا وَتَعْصِيَهَا.

الثَّانِيَةُ: قَالَ: «أَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ» يَعْنِي الْبَادِيَةَ، هَذِهِ صِفَاتُ الْبَادِيَةِ، حُفَاةٌ أَقْدَامُهُمْ، عُرَاةٌ أَجْسَامُهُمْ بِمَعْنَى أَنَّهُمْ يَلْبَسُونَ ثِيَابًا تَكُونُ مُتَوَاضِعَةً أَوْ ثِيَابًا لَا تَسْتُرُ جَمِيعَ أَبْدَانِهِمْ بِسَبَبِ الْفَقْرِ، أَوْ عَدَمِ

أَشْرَاطُ السَّاعَةِ) لِلشَّيْخِ حَمُودِ التَّوَيْجَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَشْرَاطُ السَّاعَةِ) لِيُوسُفَ عَبْدِ اللَّهِ الْوَابِلِ، (الْقِيَامَةُ الْكُبْرَى) لِلدَّكْتُورِ عَمْرِو سَلِيمَانَ الْأَشْقَرِ.

(١) اختلف أهل العلم في تفسير هذه الجملة على سبعة أقوال، لخصها الحافظ ابن حجر في (الفتح) (١/١٢٢، ١٣٣) في أربعة، وارتضى منها واحداً، فقال: (أن يكثر العقوق في الأولاد، فيعامل الولد أمه معاملة السيد أُمته؛ من الإهانة بالسب، والضرب، والاستخدام، فأطلق عليه ربهها مجازاً لذلك، أو المراد بالرب المربي فيكون حقيقة، وهذا أوجه الأوجه عندي لعمومه، ولأن المقام يدل على أن المراد حالة تكون مع كونها تدل على فساد الأحوال مستغربة، ومحصله الإشارة إلى أن الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الأمور، بحيث يصير المربي مربياً، والسافل عالياً، وهو مناسب لقوله في العلامة الأخرى: أن تصير الحفاة ملوك الأرض).

العناية بالملابس؛ كما هو ظاهر على الأعراب، ليس معناه التعري، ولكن معناه أنهم لا يلبسون ثياباً جميلة، وثياباً فاخرة، إنما يلبسون ثياباً متبدلة، أو ثياباً قصيرة، أو على غير الثياب المعروفة التي تَجُمِّلُ الإنسان.

قوله: «رِغَاءُ الشَّاءِ» هذا عملهم أنهم رِغَاءٌ يَرَعُونَ الشَّاةَ وَالْإِبِلَ، وهذه طبيعة البادية يعيشون على تربية المواشي هذه تجارتهم ومعيشتهم، ويعيشون في البراري، وفي آخر الزمان يتحضرّون، ويسكنون الحاضرة ويننون، كانوا بالأول يسكنون في الخيام وفي بيوت الشجر، في آخر الزمان يتطاولون في المباني، يننون ويتفاخرون في المباني، ورُبَّمَا يَبْنِي الطَّوَابِقَ الْكَثِيرَةَ الْعَالِيَةَ وَيُنَمِّقُهَا وَيُزَيِّنُهَا وَيُحَسِّنُهَا، وهو كان في الأصل يسكن في بيت شجر أو خيمة أو ما أشبه ذلك فتحوّل حالهم، هذا من علامات الساعة «يتطاولون في البُنيان»؛ كما هو واقع الآن مصداقاً لقوله ﷺ، فإن أهل البادية سكنوا المدن وصاروا يتباهون في المباني، كل واحد يريد أن يكون أحسن من الآخر في بنيته، ومظهرها، وارتفاعها، فهذا من علامات ومن معجزات الرسول ﷺ حيث أخبر عن شيء وقع كما أخبر ﷺ.

قال: «ثُمَّ انْطَلَقَ» أي: قام السائل وخرج، فخرج بعض الصحابة في أثره فلم يجدوه، وهذه عجيبة؛ لأنه كان بينهم ويسأل ويتكلم، وفي لحظة اختفى عنهم.

قال: «أَتَدْرُونَ مَنْ السَّائِلُ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» هذا فيه دليل على أن الملك لا يأتي في صورته الملكية؛ لأن الناس لا يطيقون رؤيته على صورته الملكية، وإنما يأتي في صورة إنسان؛ حتى لا ينفر الناس منه، وغالباً ما يأتي جبريل النبي ﷺ في صورة رجل

وَعِنْدَهُ أَصْحَابُهُ^(١)؛ كَسَائِرِ السَّائِلِينَ وَالطُّلَابِ لَا يَتَمَيَّزُ عَنْهُمْ؛ لِأَجْلِ أَنْ لَا يَنْفَرُوا.

وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَشَكَّلُ بِأَشْكَالٍ حَسَبَ الْمَصْلَحَةِ، وَقَدْ أَعْطَاهُمُ اللَّهُ الْقُدْرَةَ عَلَى ذَلِكَ؛ لِأَجْلِ مَصْلَحَةِ الْبَشَرِ. وَالنَّاسُ لَا يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا عِنْدَ الْعَذَابِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - وَكَذَلِكَ عِنْدَ الْمَوْتِ تَظْهَرُ الْمَلَائِكَةُ وَيَرَاهُمُ الْمُحْتَضِرُّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٢٢]، أَمَّا قَبْلَ ذَلِكَ فَالنَّاسُ يَرَوْنَهُمْ فِي صُورٍ لَا تَخْتَلِفُ عَنْ صُورِ النَّاسِ.

لَكِنْ لِمَاذَا جَاءَ جَبْرِيلُ؟ وَلِمَاذَا جَلَسَ؟ الْجَوَابُ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»، فَهُوَ لَا يَسْأَلُ لِيَتَعَلَّمَ، وَإِنَّمَا يَسْأَلُ لِيُعَلَّمَ، فَهَذَا فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ السُّؤَالَ وَالْجَوَابَ مِنْ طُرُقِ التَّعْلِيمِ، بَلْ مِنْ أَبْلَغِ طُرُقِ التَّعْلِيمِ أَنْ يَكُونَ عَنْ طَرِيقِ السُّؤَالَ وَالْجَوَابِ، وَهِيَ طَرِيقَةٌ تَرْبَوِيَّةٌ جَيِّدَةٌ مَعْرُوفَةٌ.

قَوْلُهُ: «يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ» فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الدِّينَ يُؤْخَذُ بِالتَّعَلُّمِ، لَا يُؤْخَذُ مِنَ الْعَادَاتِ وَالتَّقَالِيدِ وَالْبِدْعِ وَالْمُحَدَّثَاتِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الدِّينَ يَتَكَوَّنُ مِنْ ثَلَاثِ مَرَاتِبٍ، بَعْضُهَا أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ:

● الْمَرْتَبَةُ الْأُولَى: الْإِسْلَامُ وَأَرْكَانُهُ خَمْسَةٌ.

(١) جاء في بعض الروايات أن جبريل ﷺ يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي، أخرج هذه الرواية النسائي في الكبرى (٥٢٨/٦)، وفي المجتبى (١٠١/٨، ١٠٢)، وابن راهويه في مسنده (٢١٠، ٢٠٩/١) من حديث أبي هريرة وأبي ذر (رضي الله عنهما)، يُراجع: الدر المنثور (٦٤٦/٧) حيث قال النبي ﷺ: «وَأَكْثَرُ مَا كُنْتُ أَرَاهُ عَلَى صُورَةِ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ».

• الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ فَوْقَهَا: الْإِيمَانُ وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ.

• الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ - وَهِيَ أَغْلَاهَا: الْإِحْسَانُ وَهُوَ رُكْنٌ وَاحِدٌ، «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

وَفِي هَذَا الْحَثِّ عَلَى تَعَلُّمِ الدِّينِ، وَأَنَّ الْمُسْلِمَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ دِينَهُ، لَا يَكْتَفِي أَنْ يَقُولَ: أَنَا مُسْلِمٌ، لَا بُدَّ أَنْ يَتَعَلَّمَ مَا هُوَ الْإِسْلَامُ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُؤَدِّيَهُ عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ، فَلَا يَكْفِي أَنْ يَنْتَسِبَ الْإِنْسَانُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ عَنْهُ شَيْئًا، وَلَوْ سُئِلَ عَنِ الْإِسْلَامِ لَقَالَ: أَنَا مُسْلِمٌ وَلَكِنْ لَا أَدْرِي مَا هُوَ الْإِسْلَامُ. وَهَذَا مِنَ الْعَجَائِبِ، كَيْفَ يَكُونُ مُسْلِمًا وَهُوَ لَا يَدْرِي مَا هُوَ الْإِسْلَامُ؟ هَذِهِ مُشْكِلَةٌ، فَقَدْ يَقَعُ فِي شَيْءٍ يُخَالِفُ الْإِسْلَامَ وَهُوَ لَا يَدْرِي، أَوْ يَتْرُكُ شَيْئًا مُخِلٌّ بِالْإِسْلَامِ وَهُوَ لَا يَدْرِي، أَوْ يَفْعَلُ شَيْئًا يَتَنَافَى مَعَ الْإِسْلَامِ وَهُوَ لَا يَدْرِي؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَعَلَّمَ الْإِسْلَامَ.

فَهَذَا فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى وَجُوبِ تَعَلُّمِ الدِّينِ بِمَرَاتِبِهِ: الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ وَالْإِحْسَانَ.



الحديث الثالث

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ» [رواه البخاري ومسلم] (١).

هَذَا الْحَدِيثُ كَالْحَدِيثِ الَّذِي قَبْلَهُ - حَدِيثُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي بَيَانِ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، إِلَّا أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ فِيهِ زِيَادَةٌ وَهُوَ قَوْلُهُ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ»، وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ قَالَ: «أَخْبَرَنِي عَنِ الْإِسْلَامِ. قَالَ: الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...» إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ، فَظَاهِرُ حَدِيثِ عُمَرَ أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ هَذِهِ الْأَرْكَانُ الْخَمْسَةُ فَقَطْ، بَيْنَمَا هَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْخَمْسَةَ لَيْسَتْ هِيَ كُلُّ الْإِسْلَامِ، وَإِنَّمَا بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَيْهَا، فَهِيَ مَبَانِيهُ وَأَرْكَانُهُ، وَإِلَّا فَالْإِسْلَامُ كَثِيرٌ، وَالْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ كُلُّهَا مِنَ الْإِسْلَامِ: الْوَاجِبَاتُ، وَالْمُسْتَحَبَّاتُ، وَكُلُّ الطَّاعَاتِ، وَتَرْكُ الْمَعَاصِي، كُلُّ ذَلِكَ هُوَ الْإِسْلَامُ؛ وَلِهَذَا قَالَ ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» (٢)، فَعَدَّ كَفَّ الْأَذَى مِنَ الْإِسْلَامِ، فَالْإِسْلَامُ وَاسِعٌ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الْخَمْسَةَ هِيَ دَعَائِمُهُ، وَهِيَ أَرْكَانُهُ، وَهِيَ مَبَانِيهِ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا، وَبِفَقْدِهَا أَوْ فَقْدِ شَيْءٍ مِنْهَا لَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ مُسْلِمًا الْإِسْلَامَ الْحَقِيقِيَّ، وَأَمَّا بَقِيَّةُ الْأَعْمَالِ إِذَا فَقْدَ شَيْءٍ مِنْهَا فَإِنَّهُ يَكُونُ مُسْلِمًا، لَكِنْ يَكُونُ إِسْلَامُهُ نَاقِصًا،

(١) أخرجه البخاري (٨، ٤٥١٤)، ومسلم (١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٨٤، ١٠)، ومسلم (١٤).

بِحَسَبِ مَا تَرَكَ مِنْهَا.

قَوْلُهُ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» مَعْنَاهَا: الْاِعْتِقَادُ وَالْيَقِينُ مَعَ النُّطْقِ بِاللِّسَانِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ إِلَّا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وَأَنَّ عِبَادَةَ مَا سِوَاهُ بَاطِلَةٌ وَشِرْكٌ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنْ كَانَتْ تُسَمَّى آلِهَةً، وَلَكِنَّهَا آلِهَةٌ بَاطِلَةٌ، فَالْإِلَهُ الْحَقُّ هُوَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا -، وَمَا سِوَاهُ فَأُلُوْهِيَّتُهُ بَاطِلَةٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ، هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، فَلَا بُدَّ مِنَ الْاِعْتِقَادِ بِالْقَلْبِ، وَالنُّطْقِ بِاللِّسَانِ، وَالْعَمَلِ بِالْجَوَارِحِ؛ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - لَا يَسْتَحِقُّهَا سِوَاهُ، وَلَا يَكْفِي أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ الْعِبَادَةَ حَقٌّ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - بَلْ لَا بُدَّ أَنْ تَعْتَقِدَ أَيُّضًا أَنَّ عِبَادَةَ مَا سِوَاهُ بَاطِلَةٌ، وَهَذَا هُوَ مُقْتَضَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)؛ فَإِنَّ (لَا إِلَهَ) نَفْيٌ، وَ(إِلَّا اللَّهُ) إِثْبَاتٌ، فَالنَّفْيُ هُوَ نَفْيُ وَإِبْطَالُ لِعِبَادِهِ مَا سِوَى اللَّهِ، وَالْإِثْبَاتُ هُوَ إِثْبَاتُ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَا يَكْفِي النَّفْيُ بِدُونِ إِثْبَاتٍ، وَلَا الْإِثْبَاتُ بِدُونِ نَفْيٍ، لَا بُدَّ مِنْهُمَا جَمِيعًا، فَالَّذِي يَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا يَعْبُدُ مَعَهُ غَيْرَهُ، لَكِنْ لَا يَعْتَقِدُ بَطْلَانَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالطَّوَاغِيتِ، وَيَقُولُ: النَّاسُ أَخْرَارٌ فِي عَقَائِدِهِمْ كُلُّ لَهُ عَقِيدَتُهُ، وَلَا يَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا بَاطِلٌ، فَهَذَا كَافِرٌ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّهُ مُنَاقِضٌ لِشَهَادَةِ (أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)؛ لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى النَّفْيِ، وَالْإِثْبَاتِ.

قَالَ: «وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ» لَا تَكْفِي شَهَادَةُ «أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَهُوَ لَا يَعْتَقِدُ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ يَشْهَدُونَ «أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» لَكِنْ لَا يُؤْمِنُونَ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَهَذَا لَا يُدْخِلُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، فَمَنْ شَهِدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِنَّهُ لَا تَنْفَعُهُ حَتَّى يُصَدِّقَ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَيُطِيعَهُ فِيمَا أَمَرَ، وَيَتْرَكَ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، وَيَعْبُدَ اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - بِشَرِيعَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَلَا يَعْبُدَ اللَّهَ بِهَوَاهُ

وَالْبِدْعَ وَالْمُحَدَّثَاتِ.

فَلَا بُدَّ مِنَ الشَّهَادَتَيْنِ، بِأَنْ يُنْطَقَ بِهِمَا جَمِيعًا، أَوْ يُنْطَقَ بِ«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» مَعَ اعْتِقَادِهِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَتَكُونُ دَاخِلَةً ضِمْنًا، أَمَّا إِذَا قَالَ: أَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَكِنْ لَا أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. فَيُقَالُ: أَنْتَ كَافِرٌ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَنَقَضْتَ شَهَادَتَكَ «أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَإِذَا كَفَرْتَ بِالرَّسُولِ كَفَرْتَ بِالْمُرْسَلِ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِهِمَا مُتَلَازِمٌ.

قَالَ: «إِقَامُ الصَّلَاةِ» لَمْ يَقُلْ: وَأَنْ تُصَلِّيَ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ الْمَقْصُودُ وَجُودَ الصَّلَاةِ، إِنَّمَا الْمَقْصُودُ أَنْ تُقَامَ عَلَى حَقِيقَتِهَا بِأَرْكَانِهَا وَوَاجِبَاتِهَا وَشُرُوطِهَا، مَعَ إِخْلَاصِهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَا بُدَّ مِنْ هَذَا، أَمَّا مَنْ أَتَى بِصُورَةِ الصَّلَاةِ مِنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ مِنْ غَيْرِ طُمَأْنِينَةٍ، أَوْ بِإِخْرَاجِهَا عَنْ وَقْتِهَا بِغَيْرِ عُذْرٍ، أَوْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مَعَ الْجَمَاعَةِ، فَهَذَا لَمْ يُقِمِ الصَّلَاةَ. فِيمَا أَلَّا يُقِيمَهَا أَصْلًا وَتَكُونُ صَلَاتُهُ بَاطِلَةً، أَوْ لَا يُتِمَّ إِقَامَتَهَا بِتَرْكِ الْجَمَاعَةِ، أَوْ إِخْرَاجِهَا عَنْ وَقْتِهَا بِغَيْرِ عُذْرٍ، وَالَّذِي يُخْرِجُهَا عَنْ وَقْتِهَا بِغَيْرِ عُذْرٍ صَلَاتُهُ بَاطِلَةٌ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُصَلِّ الصَّلَاةَ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا، وَاللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - يَقُولُ: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٠٣].

فَاللَّهُ لَا يَقْبَلُ الصَّلَاةَ فِي غَيْرِ هَذَا الْوَقْتِ الَّذِي حَدَّدَهُ لَهَا، فَإِذَا أَخْرَجْتَهَا عَنْ وَقْتِهَا لَمْ تُصَلِّ كَمَا أَمَرَكَ اللَّهُ، إِنَّمَا صَلَّيْتَ عَلَى حَسَبِ هَوَاكَ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَعْدُورًا بِنَوْمٍ غَلَبَكَ، أَوْ نِسْيَانٍ طَرَأَ عَلَيْكَ، أَوْ كُنْتَ مِمَّنْ يُبَاحُ لَهُ الْجَمْعُ وَأَرَدْتَ أَنْ تَجْمَعَ الظُّهْرَ مَعَ الْعَصْرِ، أَوْ الْمَغْرِبَ مَعَ الْعِشَاءِ، فَهَذِهِ الْأَحْوَالُ لَا بَأْسَ بِهَا، وَتَكُونُ صَلَاتُكَ صَحِيحَةً؛ لِأَنَّكَ مَعْدُورٌ.

أَمَّا مَنْ تَرَكَ الْجَمَاعَةَ لِغَيْرِ عُذْرٍ، أَوْ أَخَّرَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا لِغَيْرِ عُذْرٍ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ مُضَيِّعًا لِلصَّلَاةِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِتَضْيِيعِ الصَّلَاةِ تَرْكُهَا، إِنَّمَا الْمُرَادُ بِتَضْيِيعِهَا

تَضْيِيعُ الْوَقْتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ [مَرْيَم: ٥٩] يَعْني: أَخْرَجُوهَا عَنْ مَوَاقِيتِهَا، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ④ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿[الماعون: ٤، ٥]، سَاهَهُم مُصَلِّينَ وَتَوَعَّدَهُم بِالْوَيْلِ مَعَ أَنَّهُمْ يُصَلُّونَ، وَالسَّبَبُ أَنَّهُمْ ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ وَالسَّهْوُ عَنْ الصَّلَاةِ هُوَ إِخْرَاجُهَا عَنْ وَقْتِهَا مِنْ غَيْرِ عُدْرٍ، فَهَذِهِ صَلَاةٌ لَا تُقْبَلُ عِنْدَ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَهِيَ صَلَاةٌ مُضَيَّعَةٌ.

أَمَّا الَّذِي يَتْرُكُ الصَّلَاةَ نِهَائِيًّا فَهَذَا كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ هَدَمَ رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ؛ بَلْ هَدَمَ الرُّكْنَ الثَّانِي بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ، الَّذِي هُوَ عَمُودُ الْإِسْلَامِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ.

فَالصَّلَاةُ شَأْنٌ عَظِيمٌ، وَلَا يَتَهَاوَنُ بِالصَّلَاةِ مَنْ فِي قَلْبِهِ إِسْلَامٌ، وَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُحَافِظَ عَلَيْهَا، وَيُقِيمَهَا فِي أَوْقَاتِهَا، هَذِهِ هِيَ الصَّلَاةُ النَّافِعَةُ، الَّتِي تَبْرَأُ بِهَا الذِّمَّةُ، أَمَّا الَّذِي يُصَلِّي حَسَبَ هَوَاهُ، فَيَنَامُ وَيَتَعَمَّدُ النَّوْمَ وَيَقُولُ: مَتَى مَا قُمْتُ مِنَ النَّوْمِ أَصَلِّي، فَيُصَلِّي الْفَجْرَ بَعْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ، أَوْ قُبَيْلَ الظُّهْرِ، وَبَعْضُهُمْ يَجْمَعُ أَوْقَاتَ النَّهَارِ فِي اللَّيْلِ وَيُصَلِّيَهَا كُلَّهَا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَيَقُولُ: الَّذِي يَقْبَلُهَا مُتَفَرِّقَةً يَقْبَلُهَا مُجْتَمِعَةً. هَذَا بَاطِلٌ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، هَذَا مُسْتَهْزِئٌ وَسَاخِرٌ بِاللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

قَالَ: «وَإِتْيَاءُ الزَّكَاةِ» الزَّكَاةُ قَرِينَةُ الصَّلَاةِ، وَهِيَ حَقٌّ وَاجِبٌ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩]، فَهِيَ فَرَضٌ، وَلَيْسَتْ تَبَرُّعًا، وَإِنَّمَا هِيَ فَرَضٌ وَرُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ قَرِينَةُ الصَّلَاةِ، فَالَّذِي يُصَلِّي وَلَا يُزَكِّي قَدْ تَرَكَ رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، فَإِنْ

كَانَ جَاحِدًا لَوْ جُوبِ الزَّكَاةَ فَهُوَ كَافِرٌ، وَإِنْ كَانَ مُعْتَرِفًا بِوُجُوبِهَا، لَكِنْ مَنَعَهَا
بُخْلًا، فَهَذَا يَأْخُذُهَا وَلِيُّ الْأَمْرِ مِنْهُ قَهْرًا؛ لِأَنَّهَا حَقٌّ عَلَيْهِ، فَيَأْخُذُهَا مِنْهُ كَمَا
يَأْخُذُ الدَّيُونِ الَّتِي لِلنَّاسِ فِي ذِمَّتِهِ إِذَا أَبَى أَنْ يُسَدِّدَهَا، فَإِذَا كَانَ لِلْقَاضِي أَنْ
يَأْخُذَ مِنْ مَالِهِ وَيُسَدِّدَ دُيُونَهُ مِنْ غَيْرِ إِذْنِهِ وَمِنْ غَيْرِ رِضَا، فَالزَّكَاةُ مِنْ بَابِ
أُولَى؛ لِأَنَّهَا حَقٌّ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -؛ وَلِذَلِكَ قَاتَلَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رضي الله عنه الَّذِينَ
مَنَعُوا الزَّكَاةَ؛ لِأَنَّهُمْ مَنَعُوا حَقًّا وَاجِبًا عَلَيْهِمْ لِغَيْرِهِمْ. فَالزَّكَاةُ إِذَا شَأْنُهَا
عَظِيمٌ.

قَالَ: «وَصَوْمَ رَمَضَانَ» وَهُوَ الرُّكْنُ الرَّابِعُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، فَمَنْ
كَانَ يَسْتَطِيعُ الصِّيَامَ أَدَاءً فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ لَهُ عُذْرٌ شَرْعِيٌّ فَإِنَّهُ يُفْطِرُ
وَيَقْضِي؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وَالَّذِي
لَهُ عُذْرٌ؛ كَالْمَرِيضِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الصَّوْمَ، أَوِ الْمُسَافِرِ مَسَافَةً قَصْرًا؛ فَإِنَّهُ
يُفْطِرُ مِنْ رَمَضَانَ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ ثُمَّ يَقْضِي مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ كَانَ
مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فَلَا بُدَّ مِنْ صَوْمِ
رَمَضَانَ إِمَّا أَدَاءً وَإِمَّا قِضَاءً لِأَهْلِ الْأَعْدَارِ، وَلَا يَجُوزُ تَرْكُ الصِّيَامِ بِحَالٍ مِنَ
الْأَحْوَالِ، مَا دَامَ عَقْلُ الْإِنْسَانِ بَاقِيًا فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَصُومَ إِذَا كَانَ يَقْدِرُ عَلَى
الصِّيَامِ، أَمَّا إِذَا كَانَ لَا يَقْدِرُ عَلَى الصِّيَامِ، فَإِنْ كَانَ لِعُذْرٍ يُرْجَى زَوَالُهُ فَإِنَّهُ
يُفْطِرُ وَيَقْضِي، وَإِنْ كَانَ لِعُذْرٍ لَا يُرْجَى زَوَالُهُ مَعَ بَقَاءِ عَقْلِهِ وَفِكْرِهِ فَإِنَّهُ
يُطْعِمُ عَنْهُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾
[البقرة: ١٨٤] فَيُطْعِمُ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا.

قَالَ: «وَحَجَّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ» وَالْحَجُّ هُوَ الرُّكْنُ الْخَامِسُ مِنْ أَرْكَانِ

الإسلام، وهو لا يجب على المسلم إلا مرة واحدة في العمر.
والحج لغة: القصد، وشرعا: هو قصد البيت الحرام لأداء العبادة؛ من طواف، وسعي، ووقوف بعرفة، ومبيت بمزدلفة وبمنى، ورمي للجمار، فهذا الحج ركن من أركان الإسلام، ونظرا لكونه شاقا، ويأتيه الناس من أقطار الأرض، منها القريب ومنها البعيد؛ فإن الله أوجبه على المستطيع بماله الذي عنده ما يكفي لسفره ذهابا وإيابا وعنده ما يكفي لأولاده وأهل بيته حتى يرجع، فهذا يجب عليه الحج، فإن كان يقدر عليه بنفسه حج بنفسه، وإن كان لا يقدر عليه بنفسه وعجزه مستمر فإنه ينيب من يحج عنه، وإن مات ولم يحج وهو مستطيع فعلى ورثته أن يخرجوا من تركته ما يحج به عنه؛ لأن هذا ركن من أركان الإسلام، أما الذي لا يستطيع؛ لأنه ليس عنده مال، فهذا لا حج عليه، وإن كان يستطيع من ناحية المال لكن لا يستطيع من ناحية البدن، فإن كان يرجى زوال عذره فإنه ينتظر حتى يقدر ويحج، وإن كان لا يرجى زوال عذره؛ لأنه كبير هرم أو مريض مريضا مزمنا، فهذا ينيب من يحج عنه.

فالحاصل: أن هذا الحديث مكمل لحديث عمر ومبين له؛ ولذلك ذكره المصنف بعده.



الحديث الرابع

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ - «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: يَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا» [رواه البخاري] ^(١).

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ -: إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ» يُجْمَعُ؛ لِأَنَّ الْمَوْلُودَ يَتَكَوَّنُ مِنَ الْمَاءَيْنِ: مَاءِ الرَّجُلِ وَمَاءِ الْمَرْأَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: ٢] ﴿أَمْشَاجٍ﴾ يَعْنِي مُخْتَلِطَةً ^(٢)، وَيَقُولُ - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطَّارِق: ٧]، أَيُّ: صُلْبِ الرَّجُلِ، وَتَرَائِبِ الْمَرْأَةِ، فَا الْمَوْلُودُ يُخْلَقُ مِنَ الْمَاءَيْنِ: مَاءِ الرَّجُلِ، وَمَاءِ الْمَرْأَةِ.

قَالَ: «يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً» نُطْفَةً: يَعْنِي نُقْطَةً

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، (٣٣٣٢)، (٦٥٩٤)، (٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب (٣٦٧/٢): (الْمَشْجُ وَالْمَشِجُ وَالْمَشِيجُ: كل لونين اختلطا،

وقيل: هو ما اختلط من حمرة وبياض، وقيل: هو كل شيئين مختلطين، والجمع مشاج).

مَنْبِيٍّ (١).

قَالَ: «ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً» يَتَحَوَّلُ الْمَنْبِيُّ إِلَى دَمٍ، هَذِهِ الْعَلَقَةُ فِي مُدَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، هَذِهِ ثَمَانُونَ يَوْمًا.

قَالَ: «ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً» ثُمَّ يَتَحَوَّلُ مِنَ الدَّمِ إِلَى الْمُضْغَةِ، يَعْنِي قِطْعَةً لَحْمٍ فِي مُدَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثَالِثَةً، هَذِهِ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ يَوْمًا، وَفِي طَوْرِ الْمُضْغَةِ تُخْلَقُ أَعْضَاؤُهُ، وَيَتَبَيَّنُ أَنَّهُ جَنِينٌ.

قَالَ: «ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ» يَعْنِي: ثُمَّ فِي الْأَرْبَعِينَ الرَّابِعَةِ تَمَامَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، أَيِّ مِائَةٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِالْأَجِنَّةِ فَيَدْخُلُ عَلَيْهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ.

قَالَ: «ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ» الرُّوحُ الَّتِي يَتَحَرَّكُ بِهَا؛ رُوحُ الْحَيَاةِ، وَقَدْ عَجَزَ الْبَشَرُ أَنْ يَعْلَمُوا حَقِيقَةَ هَذِهِ الرُّوحِ، فَهِيَ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، فَلَا أَحَدَ يَعْلَمُ حَقِيقَةَ هَذِهِ الرُّوحِ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يَأْتِي بِهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُهُ فِي هَذَا الْجَنِينِ، فَيَتَحَرَّكُ وَيَحْيَى بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا جَاءَ الْمَوْتُ خَرَجَتْ هَذِهِ الرُّوحُ، فَيَهْمَدُ الْجِسْمُ وَيَصِيرُ جُثَّةً، فَلَمَّا دَامَتْ فِيهِ الرُّوحُ فَهُوَ حَيٌّ، وَإِذَا خَرَجَتْ فَهَذَا عَلَى قِسْمَيْنِ:

● إِمَّا أَنْ تَخْرُجَ بِالنَّوْمِ، وَهَذِهِ وَفَاةٌ صُغْرَى.

(١) قال ابن منظور في لسان العرب، مادة (ن ط ف) (٣٣٥ / ٩): (النُّطْفَةُ: هي الماء الصافي، قلَّ أو كثر، والجمع نُطْفٌ ونُطَافٌ، وقد فرق الجوهري بين هذين اللفظين في الجمع فقال: النُّطْفَةُ الماء الصافي، والجمع النُّطَافُ، والنُّطْفَةُ ماء الرجل، والجمع نُطْفٌ).

• وَإِمَّا أَنْ تَخْرُجَ بِالْمَوْتِ، وَهَذِهِ الْوَفَاةُ الْكُبْرَى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، هَذَا النَّوْمُ، وَهُوَ الْوَفَاةُ الصُّغْرَى، وَقَالَ: ﴿تَوَفَّاهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١]، هَذِهِ الْوَفَاةُ الْكُبْرَى ﴿رُسُلُنَا﴾ يَعْنِي مَلَائِكَةَ الْمَوْتِ.

«يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحُ» وَهَذَا مِنْ آيَاتِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَهَذَا كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]، هَذَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٣]، هَذِهِ الْأَرْبَعُونَ الْأُولَى، ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ عِلْقَةً: يَعْنِي دَمًا، ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ يَعْنِي قِطْعَةً لَحْمٍ، ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤] هَذِهِ الْأَطْوَارُ الَّتِي تَأْتِي عَلَى الْجَنِينِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ: طَوْرُ النُّطْفَةِ، طَوْرُ الْعَلَقَةِ، طَوْرُ الْمُضْغَةِ، طَوْرُ الْعِظَامِ وَاللَّحْمِ، ثُمَّ يَكُونُ إِنْسَانًا، هَذَا خَلْقُ الْإِنْسَانِ، وَهَذَا مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَةِ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر: ٦]، ﴿ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾: ظُلْمَةُ الْبَطْنِ، وَظُلْمَةُ الرَّحِمِ، وَظُلْمَةُ الْمَشِيمَةِ، الْجَنِينُ فِي هَذِهِ الظُّلُمَاتِ الثَّلَاثِ.

قَالَ: «وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ» ثُمَّ بَعْدَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ يُؤَمَّرُ الْمَلِكُ بِكُتُبِ أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، يَكْتُبُ كِتَابَةً خَاصَّةً بِهَذَا الْجَنِينِ، وَهُنَاكَ كِتَابَةٌ عَامَّةٌ لِجَمِيعِ

الخلق، وهذه في اللوح المحفوظ، أمّا هذه فهي كتابة خاصة لكل جنين، وهي منقولة من اللوح المحفوظ وليست كتابة جديدة.

قال: «يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد»، فلا يخرج الرزق عن هذه الكتابة، ليس للإنسان إلا ما كتب له، ولا يأخذ من العمر في الدنيا إلا ما كتب له من العمر، ولا يعمل شيئاً من خير أو شر إلا بموجب ما كتب عليه، وهو ميسر له، فلا يكون شقياً أو سعيداً إلا بحسب ما كتب له في اللوح المحفوظ وفي بطن أمه.

هذا قلم القضاء والقدر، يجري على العباد، والله - جل وعلا - قدر لكل أحد من الشقاوة والسعادة ما يكون العبد سبباً فيه، فإن فعل الخير يسره الله للخير، وإن فعل الشر يسره الله للشر، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾

﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ [اليل: ٥-٧]، فالقدر من عند الله،

والسبب من عند العبد، قال: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾﴾

﴿١٠﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١١﴾ [اليل: ٨-١٠]، فيكون العبد سبباً في شقائه أو سعاده بحسب أعماله ومقاصده، والله تعالى يقدر على العبد بحسب ما يفعله العبد وما يقصده. وهذا هو الجمع بين الأمرين: أن الأعمال بقدر الله وأنها بفعل العبد، فالعبد سبب، وذلك لأن المجنون وغير العاقل والمكره والناسي لا يؤاخذ؛ لأنه عن غير قصد، وليس هذا من كسبه ولا من عمله، إنما يؤاخذ البالغ العاقل المدرك؛ لأنه هو الذي يجني على نفسه أو يجني لها، فإما أن يجني لها خيراً، وإما أن يجني عليها شراً.

ثم قال: «فوالذي نفسي بيده» هذا قسم، ولكن من هو المقسم؟ الظاهر

أَنَّه الرَّسُولُ ﷺ فَيَكُونُ هَذَا مِنْ أَصْلِ الْحَدِيثِ، وَقِيلَ: إِنَّ الْمَقْسِمَ هُوَ الرَّاوي
ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ عَنْهُ ﷺ فَيَكُونُ هَذَا مِنَ الْمَدْرَجِ فِي الْحَدِيثِ، وَلَكِنَّ الظَّاهِرَ أَنَّهُ مِنْ
كَلَامِ الرَّسُولِ ﷺ، «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ» أَقْسَمَ ﷺ - وَهُوَ الصَّادِقُ
وَالْمُصَدِّقُ - مِنْ بَابِ التَّأَكِيدِ، وَلِأَهَمِّيَّةِ هَذَا الْأَمْرِ.

قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا
ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ» يَعْنِي الَّذِي قُدِّرَ لَهُ، أَي: كُتِبَ عَلَيْهِ «فَيَعْمَلُ
بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ» فَصَارَ هُوَ السَّبَبُ؛ إِذْ هُوَ الَّذِي عَمِلَ «فَيَدْخُلُهَا».

قَالَ: «وَإِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا
ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا» هَذَا يَدُلُّ عَلَى
أَنَّ الْأَعْمَالَ بِالْخَوَاتِيمِ، وَأَنَّ الْمُعْتَبَرَ مَا يَمُوتُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ،
فَلَوْ أَنَّهُ أَفْنَى عُمُرَهُ بِالطَّاعَةِ، ثُمَّ ارْتَدَّى فِي آخِرِ حَيَاتِهِ إِلَى الْكُفْرِ صَارَ مِنْ أَهْلِ
النَّارِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، أَوْ ظَلَّ عَلَى إِسْلَامِهِ لَكِنَّهُ عَمِلَ عَمَلًا يُوجِبُ دُخُولَهُ وَلَمْ
يَكْفُرْ، دَخَلَ النَّارَ إِذَا شَاءَ اللَّهُ دُخُولَهُ، فَالْعِبْرَةُ بِالْخَاتِمَةِ.

وَكَذَلِكَ لَوْ أَفْنَى الْعَبْدُ عُمُرَهُ بِالْكَفْرِ، ثُمَّ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ عِنْدَ الْمَوْتِ
قَبْلَ أَنْ تُغْرِغَ رُوحُهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ؛ وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُكْثِرَ مِنَ الدُّعَاءِ
بِحُسْنِ خَاتِمَتِهِ، وَلَا يَغْتَرَّ بِعَمَلِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَدْرِي مَا يُخْتَمُ لَهُ بِهِ.

وَعَلَى هَذَا لَا يُحْكَمُ عَلَى إِنْسَانٍ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَوْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ
بِمُوجِبِ أَعْمَالِهِ، إِلَّا مَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ لِأَنَّ هَذَا رَاجِعٌ إِلَى عِلْمِ
اللَّهِ تَعَالَى، وَإِلَى الْخَوَاتِيمِ الَّتِي يَمُوتُ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ، وَالْخَوَاتِيمُ لَا يَعْلَمُهَا
إِلَّا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

الحديث الخامس

عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» [رواه البخاري ومسلم] (١).

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» (٢).

قَالَ: «عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا» هِيَ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ، أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَهِيَ لَيْسَ لَهَا أَوْلَادٌ، وَلَكِنَّهَا كُنِيَتْ بِأُمِّ عَبْدِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهَا خَالَةُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَكُنِيَتْ بِهِ؛ لِأَنَّ الْخَالََةَ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ، وَهِيَ الصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ أَحَبُّ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ. قَالَتْ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»، قَوْلُهُ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا» أَيُّ فِي شَرْعِنَا، وَ«أَحْدَثَ» يَعْنِي: أَوْجَدَ عِبَادَةً لَمْ يَكُنْ لَهَا دَلِيلٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ؛ لِأَنَّ الْعِبَادَاتِ تَوْقِيفِيَّةٌ لَا يُعْمَلُ إِلَّا بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ مِنْهَا، أَمَّا مَا لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُشَرِّعْهُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِشَيْءٍ لَمْ يُشَرِّعْهُ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ مُحْدِثٌ فِي الدِّينِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، وَعَمَلُهُ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ لَا يَقْبَلُ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ؛ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ وَسَائِرَ الْأَعْمَالِ لَا تَصِحُّ إِلَّا بِشَرْطَيْنِ:

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٨)، ورواه البخاري معلقاً في كتاب البيوع - باب النجش (٣٥٦/٤) مع الفتح)، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ (٣١٧/١٣) مع الفتح).

الأوّل: الإخلاصُ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - .

الثاني: المتابعةُ لِلرَّسُولِ ﷺ .

فَلَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ جَاءَ بِعِبَادَاتٍ مُّحَدَّثَةٍ لَيْسَ فِيهَا شِرْكٌ أَبَدًا كُلُّهَا خَالِصَةً لِلَّهِ، وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ شَرِيعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَهِيَ بِدْعَةٌ مَرْدُودَةٌ لَا تُقْبَلُ .
فَلَا يُقْبَلُ الْعَمَلُ إِلَّا بِهِذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ، وَقَدْ مَضَى الشَّرْطُ الْأَوَّلُ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»^(١)، فَهَذَا شَرْطُ الْإِخْلَاصِ، وَأَمَّا شَرْطُ الْمَتَابَعَةِ فَهُوَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» .

قَوْلُهُ: «فَهُوَ رَدٌّ» أَي مَرْدُودٌ عَلَيْهِ لَا يُقْبَلُ عِنْدَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مَهْمَا أَتَعَبَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ فِيهِ، وَمَهْمَا خَلَصَتْ نِيَّتُهُ فِيهِ، فَلَا يُنْظَرُ إِلَى صِلَاحِ النِّيَّةِ وَحُسْنِ الْقَصْدِ، بَلْ لَا بُدَّ مِنَ الْمَتَابَعَةِ حَتَّى يُقْبَلَ الْعَمَلُ، فَإِنْ خَلَا مِنْ أَحَدِ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَى صَاحِبِهِ .
فَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى بُطْلَانِ الْبِدْعِ جَمِيعِهَا، وَأَنَّ صَاحِبَهَا آثِمٌ غَيْرُ مَا جُورٍ؛ لِأَنَّهُ مُحَدَّثٌ فِي دِينِ اللَّهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ .

وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْبِدْعَ فِي الدِّينِ كُلُّهَا مَرْدُودَةٌ، فَفِيهِ رَدٌّ عَلَى مَنْ يَقُولُ: إِنَّ هُنَاكَ بِدْعَةً حَسَنَةً^(٢) . وَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ: «فَإِنْ كُلَّ

(١) سبق تخريجه (ص ١٩) .

(٢) قال الشاطبي في الاعتصام (١/ ١٨٨ - ١٩٣): (ومما يورد في هذا الموضع أن العلماء قسموا البدع بأقسام أحكام الشريعة الخمسة، ولم يعدوها قسماً واحداً مذموماً، فجعلوا منها ما هو واجب، ومندوب، ومباح، ومكروه، ومحرم، وبسط ذلك القرافي بسطاً شفيماً، وأصل ما أتى به من ذلك شيخه عز الدين بن عبد السلام)، ثم بعد أن نقل كلام القرافي وشيخه في تقسيم البدعة، قال: (... هذا التقسيم أمر مخترع لا يدل عليه دليل شرعي، بل هو في نفسه متدافع؛

مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(١)، وَهَذَا يَقُولُ: هُنَاكَ بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ! فَهَذَا مُخَالَفٌ لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ، فَلَيْسَ هُنَاكَ بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ، وَإِنَّمَا الْبِدْعُ كُلُّهَا سَيِّئَةٌ وَمَرْدُودَةٌ بِنَصِّ الْحَدِيثِ، لَكِنَّ هَؤُلَاءِ يُحَاوِلُونَ إِجَازَةَ الْبِدْعِ وَتَحْسِينَهَا، فَيَقُولُونَ عَنْ بِدْعَةِ الْاِخْتِفَالِ بِمَوْلِدِ الرَّسُولِ ﷺ: إِنَّهَا بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ؛ لِأَنَّهَا دَلِيلٌ عَلَى حُبِّ الرَّسُولِ ﷺ. فَعَلَى قَوْلِهِمْ هَذَا يَكُونُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَأَكَابِرُ الصَّحَابَةِ لَا يُحِبُّونَ الرَّسُولَ ﷺ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُقِيمُوا الْمَوْلِدَ، بَلْ

لأن من حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل شرعي لا من نصوص الشرع ولا من قواعده، إذ لو كان هنالك ما يدل من الشرع على وجوب أو ندب أو إباحة لما كان ثم بدعة، ولكان العمل داخلاً في عموم الأعمال المأمور بها أو المخير فيها، فالجمع بين أن تلك الأشياء بدعاً، وبين كون الأدلة تدل على وجوبها أو ندبها أو إباحتها جمع بين متنافيين. أما المكروه منها والمحرم فمُسَلَّم من جهة كونها بدعاً لا من جهة أخرى، إذ لو دل دليل على منع أمر أو كراهته فلم يثبت ذلك كونه بدعة؛ لإمكان أن يكون معصية، كالقتل والسرقة وشرب الخمر ونحوها، فلا بدعة يتصور فيها ذلك التقسيم البتة إلا الكراهية والتحريم حسبما يذكر في بابه... فما ذكره القرافي عن الأصحاب من الاتفاق على إنكار البدع صحيح وما قسمه فيها غير صحيح (اهد. بتصرف. (١) ورد هذا اللفظ في خطبة الحاجة التي كان يقولها النبي ﷺ بين يدي حاجته، أخرجها مسلم مختصرة من حديث جابر رضي الله عنه (٨٦٧)، ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما (٨٦٨)، ووردت مطولة ومختصرة من حديث ابن مسعود عند الإمام أحمد في المسند (٣٩٢ / ١، ٣٩٣)، وأبي داود في سننه (١٠٩٧)، والترمذي في سننه (١١٠٥)، والنسائي في الكبرى (٥٥٠ / ١)، (٤٤٩ / ٣)، وابن ماجه (١٨٩٢)، ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله شرح لها في جزء لطيف، طبعته دار الأضحى بالأردن.

كما ورد في حديث العرباض بن سارية الذي أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣، ٤٤)، وأحمد (١٢٦ / ٤)، والدارمي (٩٥)، والطبراني في الكبير (٦٢٣)، وابن حبان (١٧٨ / ١)، والحاكم في المستدرک (١٧٦ / ١)، والبيهقي في الكبرى (١١٤ / ١٠).

الْقُرُونُ الْمَفْضَلَةُ كُلُّهَا لَا تُحِبُّ الرَّسُولَ ﷺ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَحْتَفِلْ بِمَوْلِدِهِ ﷺ.
فَلَيْسَ إِحْدَاثُ الْبِدْعِ دَلِيلًا عَلَى مَحَبَّةِ الرَّسُولِ ﷺ، بَلْ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى
بُغْضِهِ؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَ يُحِبُّ الرَّسُولَ ﷺ فَإِنَّهُ يَتَّبِعُهُ، وَلَا يُخَالِفُهُ، وَلَا يُحْدِثُ
الْبِدْعَ.

قَالَ الشَّاعِرُ: (١)

لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ

وَفِي الرَّوَايَةِ الثَّانِيَةِ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»، الرَّوَايَةُ
الْأُولَى: «مَنْ أَحْدَثَ» يَعْنِي: أَحْدَثَ مَا لَمْ يُشَرِّعْهُ اللَّهُ، وَالرَّوَايَةُ الثَّانِيَةُ: لَمْ
يُحْدِثْ، وَإِنَّمَا اتَّبَعَ مَنْ أَحْدَثَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُ الرَّسُولِ ﷺ، فَعَمِلَ هُوَ
بِهِ صَارَ مُبْتَدِعًا، فَمَنْ عَمِلَ بِالْبِدْعِ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ وَإِنْ لَمْ يُحْدِثْهَا هُوَ.
وَهَذِهِ فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ؛ لِئَلَّا يَقُولَ مَنْ يَقُولُ: أَنَا لَمْ أَحْدِثْ شَيْئًا، وَإِنَّمَا أَنَا
أَعْمَلُ بِمَا عَمِلَ بِهِ مَنْ قَبْلِي. نَقُولُ لَهُ: حَتَّى وَإِنْ أَحْدَثَهُ وَعَمِلَ بِهِ مَنْ كَانُوا
قَبْلَكَ، فَمَا دَامَ بِدْعَةً فَلَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَعْمَلَ بِهِ. فَإِنْ قَالَ: إِنَّمَا تَقَعُ الْمَسْئُورِيَّةُ
عَلَى مَنْ ابْتَدَعَهَا. نَقُولُ لَهُ: الْمَسْئُورِيَّةُ عَلَى مَنْ ابْتَدَعَهَا وَعَلَى مَنْ عَمِلَ بِهَا؛
لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا»، وَأَنْتَ مَنْهِيٌّ عَنِ الْعَمَلِ
بِالْبِدْعَةِ، وَتَعْرِفُ أَنَّهُمْ مَنْهِيُونَ عَمَّا ابْتَدَعُوهُ، فَكَيْفَ تُطَاوِعُهُمْ وَتَعْمَلُ
بِعَمَلِهِمْ؟

(١) ينسب هذا البيت للإمام عبدالله بن المبارك، المتوفى سنة إحدى وثمانين ومائة، طلب العلم وهو
ابن بضع عشرة سنة، ولقي التابعين، وأكثر الترحال والتطواف إلى الغاية في طلب العلم
والجهاد والحج والتجارة. انظر: ديوان عبدالله بن المبارك (ص ١٥)، وتاريخ دمشق
(٤٦٩/٣٢).

فَهَذِهِ فَائِدَةُ الرَّوَايَةِ الثَّانِيَةِ: أَنَّ الْعَمَلَ بِالْبِدْعِ هُوَ فِي ذَاتِهِ ابْتِدَاعٌ وَإِنْ لَمْ يُحْدِثْهَا الْعَامِلُ وَإِنَّمَا أَحْدَثَهَا غَيْرُهُ، فَهَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ مَعَ حَدِيثٍ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»^(١)، فَهُمَا يَدُلَّانِ عَلَى شَرْطِي قَبُولِ الْعَمَلِ: الْإِخْلَاصِ، وَالْمُتَابَعَةِ.



(١) سبق تخريجه (ص ١٩).

الْحَدِيثُ السَّادِسُ

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ؛ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ] (١).

النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - هُوَ وَأَبُوهُ بَشِيرُ بْنُ عَمْرِو الْأَنْصَارِيِّ صَحَابِيَّانِ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ». فَالْحَلَالُ بَيْنٌ فِيمَا نَصَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ حَلَالٌ، أَوْ نَصَّ عَلَيْهِ ﷺ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ [المائدة: ١]، فَاللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - نَصَّ عَلَى حِلِّ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ، وَهِيَ: الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ وَمَا تُوَلَّدُ مِنْهَا، وَمِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، فَالْبَيْعُ حَلَالٌ مَا لَمْ يَشْتَمَلْ عَلَى غَرَرٍ أَوْ غِشٍّ أَوْ خِدَاعٍ، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الْمَكَاسِبِ. فَمَا نَصَّ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - عَلَى أَنَّهُ حَلَالٌ، يَأْخُذُهُ الْإِنْسَانُ وَلَا يَتَحَرَّجُ مِنْهُ. قَالَ: «وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ» وَهُوَ مَا نَصَّ اللَّهُ أَوْ رَسُولُهُ عَلَى تَحْرِيمِهِ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾

(١) أخرجه البخاري (٥٢، ٢٠٥١)، ومسلم (١٥٩٩).

[المائدة: ٣]، إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الإِشْرَاءُ: ٣٣]، فَاللَّهُ حَرَّمَ قَتْلَ الْإِنْفُسِ الْمَعْصُومَةِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإِشْرَاءُ: ٣٢]، قَالَ: لَا تَقْرَبُوهُ، يَعْنِي: اتْرُكُوهُ وَاتْرُكُوا الْوَسَائِلَ الَّتِي تُقَرِّبُ إِلَيْهِ، مِثْلَ النَّظَرَةِ وَالْخُلُوةِ الْمَحْرَمِينَ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البَقَرَةُ: ٢٧٥]، فَنَصَّ عَلَى تَحْرِيمِ الرِّبَا، فَمَا نَصَّ اللَّهُ أَوْ رَسُولُهُ عَلَى أَنَّهُ حَلَالٌ يُؤْخَذُ، وَمَا نَصَّ عَلَى أَنَّهُ حَرَامٌ يُتْرَكُ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مَجَالٌ لِلتَّرَدُّدِ إِلَّا مِمَّنْ فِي قَلْبِهِ زَيْغٌ أَوْ هَوَى. قَالَ: «وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ» يَعْنِي: هُنَاكَ أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ لَا يُدْرَى هَلْ هِيَ مِنَ الْحَلَالِ أَوْ هِيَ مِنَ الْحَرَامِ؛ لِأَنَّهَا تَنَازَعُ فِيهَا الْأَدِلَّةُ، أَدِلَّةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا حَلَالٌ، وَأَدِلَّةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا حَرَامٌ؟ وَهَذَا مِمَّا اخْتَلَفَ فِيهِ الْعُلَمَاءُ، فَبَعْضُهُمْ أَفْتَى بِجَوَازِهِ، وَبَعْضُهُمْ أَفْتَى بِتَحْرِيمِهِ، نَظَرًا لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ رَجَحَ جَانِبًا مِنَ الدَّلِيلِ. فَهَذَا مُشْتَبِهٌ لَا يُدْرَى هَلْ هُوَ مِنَ الْحَلَالِ أَوْ هُوَ مِنَ الْحَرَامِ؟ فَإِنَّهُ يُتْرَكُ مِنْ بَابِ الْاِخْتِيَاظِ وَالتَّوَرُّعِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ أَمْرُهُ، فَإِنْ تَبَيَّنَ أَنَّهُ حَرَامٌ يُتْرَكُ نِهَائِيًّا، وَإِنْ تَبَيَّنَ أَنَّهُ حَلَالٌ أُخِذَ، أَمَّا مَا لَمْ يَتَبَيَّنْ وَهُوَ مُشْتَبِهٌ فَإِنَّ الْوَرَعَ وَالْاِخْتِيَاظَ تَرَكُ هَذَا الشَّيْءَ^(١).

(١) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤/ ٢٩١): (إن الشيء إما أن يُنص على طلبه مع الوعيد على تركه، أو يُنص على تركه مع الوعيد على فعله، أو لا يُنص على واحد منهما، فالأول: الحلال البين، والثاني: الحرام البين، فمعنى قوله: «الحلال بين» أي: لا يحتاج إلى بيانه، ويشترك في معرفته كل أحد، والثالث: مشتببه لُخْفائه، فلا يُدْرَى هل هو حلال أو حرام؟ وما كان هذا سبيله ينبغي اجتنابه؛ لأنه إن كان في نفس الأمر حراماً فقد برئ من تبعته، وإن كان حلالاً فقد أُجر على تركه بهذا القصد).

قَالَ: «لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ»؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ جُهَّالٌ، لَا يَعْرِفُونَ طَرِيقَ الاسْتِدْلَالِ وَالتَّرْجِيحِ، وَنَوْعَ الْأَدِلَّةِ، وَنَوْعَ الاسْتِدْلَالِ، قَوْلُهُ: «لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ» دَلٌّ عَلَى أَنَّ الْقَلِيلَ مِنَ النَّاسِ يَعْلَمُهُنَّ، وَهُمْ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، يَعْلَمُونَ هَذِهِ الْمُشْتَبَهَاتِ، هَلْ هِيَ مِنَ الْحَلَالِ أَوْ مِنَ الْحَرَامِ؟ وَذَلِكَ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ، وَمَعْرِفَةِ قَوَاعِدِ الاسْتِدْلَالِ وَالتَّرْجِيحِ، فَمَنْ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهَا حَلَالٌ أَخَذَهَا، وَمَنْ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهَا حَرَامٌ تَرَكَهَا، وَمَنْ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ فَإِنَّهُ يَتَوَقَّفُ عَنْهَا، هَذَا هُوَ الْمَوْقِفُ مِنَ الْمُشْتَبَهَاتِ؛ وَلِهَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ» أَي: جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا وَقَايَةً وَهِيَ التَّركُ «فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ» أَي: نَزَّهَ دِينَهُ مِنْ أَنْ يَتَنَاوَلَ الْحَرَامَ، وَنَزَّهَ عَرْضَهُ أَيْضًا مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ النَّاسُ فِيهِ.

فَمَنْ تَرَكَ الْمُشْتَبَهَاتِ حَصَلَ عَلَى هَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ:

● بَرَاءَةُ الدِّينِ، يَعْنِي: طَهَارَتُهُ وَنَزَاهَتُهُ.

● وَطَهَارَةُ الْعَرَضِ.

وَهَاتَانِ مَزِيدَتَانِ عَظِيمَتَانِ تُوجِبَانِ عَلَى الْإِنْسَانِ أَلَّا يَتَعَجَّلَ فِي الْأُمُورِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ أَمْرُهَا، وَإِذَا رَأَى النَّاسَ يَخْتَلِفُونَ فِيهَا، فَهَذَا يُفْتِي بِأَنَّهَا حَلَالٌ، وَهَذَا يُفْتِي بِأَنَّهَا حَرَامٌ، تَوَقَّفَ وَابْتَعَدَ عَنْهَا؛ لِأَنَّ الْخِلَافَ فِيهَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا مُشْتَبَهَةٌ.

قَالَ: «وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ» إِذَا تَسَاهَلَتْ فِي الْمُشْتَبَهَاتِ وَأَخَذَتْهَا، وَقُلْتُ: مَا دَامَ فِيهَا خِلَافٌ فَلَا بَأْسَ فِيهَا. فَهَذَا يَجُرُّكَ إِلَى أَنْ تَقَعَ فِي الْحَرَامِ؛ لِأَنَّكَ إِذَا تَسَاهَلْتَ فِي الْمُشْتَبَهَاتِ تَسَاهَلْتَ فِي الْحَرَامِ الصَّرِيحِ، وَهَذَا خَطَرٌ عَظِيمٌ، فَإِذَا تَسَاهَلَ الْإِنْسَانُ فِيهَا اخْتَلَفَ فِيهِ فَإِنَّهُ يَتَجَرَّأُ عَلَى مَا

أَجْمَعَ عَلَى تَحْرِيمِهِ، وَأَيْضًا هُوَ لَمْ يَسْتَبِرْ لِدِينِهِ وَلَا لِعِرْضِهِ.
وَهَذَا مِنَ الْآفَاتِ الْمَوْجُودَةِ فِي النَّاسِ الْآنَ، فَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: مَا دَامَ فِي
ذَلِكَ خِلَافٌ فَلَيْسَ عَلَيَّ حَرْجٌ أَنْ أَخُذَ بِأَيِّ قَوْلٍ شِئْتُ مِنَ الْأَقْوَالِ. نَقُولُ:
لَا، بَلْ عَلَيْكَ أَنْ تَتَحَرَّى الْحَلَالَ؛ لِأَنَّ فِعْلَكَ هَذَا قَدْ يَجُرُّكَ إِلَى الْوُقُوعِ فِي
الْحَرَامِ، وَلَا تَسْتَبِرْ لِدِينِكَ وَلَا لِعِرْضِكَ، وَالْخِلَافُ لَا يُسَوِّغُ لَكَ الْوُقُوعَ
فِي هَذَا الشَّيْءِ.

فَالْإِنْسَانُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَمُرَّ مِنْ طَرِيقٍ لَا يَدْرِي هَلْ هُوَ آمِنٌ وَخَالٍ مِنْ
قُطَاعِ الطُّرُقِ وَمِنْ السَّبَاعِ أَمْ لَا؟ فَإِنَّهُ يَتَجَنَّبُهُ لِاشْتِبَاهِ أَمْرِهِ عَلَيْهِ، وَاحْتِمَالِ أَنْ
يَكُونَ غَيْرَ آمِنٍ، وَهَذَا فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، فَكَيْفَ فِي أَمْرِ الدِّينِ الَّذِي هُوَ
أَعْظَمُ؟!

فَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ إِثْبَاتُ الْوَرَعِ وَالْإِحْتِيَاظِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ يَحْسُنُ بِهِ أَنْ
يَأْخُذَ بِالْوَرَعِ وَالْإِحْتِيَاظِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَسْلَمُ لَهُ وَأَبْعَدُ عَنِ الزَّلَلِ.
ثُمَّ ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ مَثَلًا مُحْسُوسًا لِلَّذِي يَقَعُ فِي الشُّبُهَاتِ أَنَّهُ قَدْ يَقَعُ فِي
الْحَرَامِ، فَقَالَ: «كَالرَّاعِي» رَاعِي الْغَنَمِ «يُرْعَى حَوْلَ الْحِمَى»، وَالْحِمَى:
الشَّيْءُ الْمَنْعُوعُ يُسَمَّى حِمَى^(١)، وَكَانَ مِنْ عَادَةِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ إِذَا أَخْصَبَ
مَوْضِعٌ مِنَ الْأَرْضِ أَنَّهُمْ يَحْمُونَ هَذَا الْمَرْعَى، فَلَا يَقْرُبُهُ أَحَدٌ لِيَخْتَصُّوا بِهِ،
لِيَكُونَ لِمَوَاشِيهِمْ. فَإِذَا جَاءَ مَنْ يُرْعَى بِغَنَمِهِ حَوْلَ هَذَا الْحِمَى، فَإِنَّهُ لَا
يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْنَعَ انْفِلَاتَ بَعْضِ غَنَمِهِ إِلَى ذَلِكَ الْحِمَى، فَرُبَّمَا تَنَفَّلْتُ وَاحِدَةً

(١) قال محمد بن أبي بكر الرازي في مختار الصحاح (ص ٦٦): (ح م ي: حماء يحميه حماية دفع عنه،
وهذا شيء حمى أي محظور لا يقرب، وأحميت المكان جعلته حمى، وفي الحديث: «لا حمى إلا لله
ورسوله».)

أَوْ أَكْثَرُ فَتَقَعُ فِي الْحِمَى، فَيَتَعَرَّضُ لِعُقُوبَةِ صَاحِبِ الْحِمَى، فَالْحَازِقُ مِنْهُمْ
الَّذِي يَحْتَاطُ لِأَمْرِهِ، وَيَذْهَبُ بِغَنَمِهِ بَعِيداً عَنِ الْحِمَى.

فَكَمَّا أَنَّ هَذَا الرَّاعِي قَدْ لَا يَمْلِكُ مَنَعَ غَنَمِهِ مِنَ الْانْفِلَاتِ وَالْوُقُوعِ فِي
الْحِمَى، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَمْلِكُ مَنَعَ نَفْسِهِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْحَرَامِ إِذَا تَلَبَّسَ
بِالشُّبُهَاتِ، فَهَذَا مِثَالٌ وَاضِحٌ وَمَحْسُوسٌ يَدُلُّ عَلَى وَجُوبِ اجْتِنَابِ الشُّبُهَاتِ
لِتَلَا يَقَعَ الْإِنْسَانُ فِي الْحَرَامِ.

ثُمَّ إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ بَيَّنَّ السَّبَبَ الَّذِي يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ مُتَوَرِّعاً
مُتَجَنِّباً لِلشُّبُهَاتِ، وَالسَّبَبَ الَّذِي يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ مُتَسَاهِلاً لَا يَتَوَرَّعُ عَنِ
الشُّبُهَاتِ، وَبِالتَّالِي قَدْ لَا يَتَوَرَّعُ عَنِ الْحَرَامِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ
مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا
وَهِيَ الْقَلْبُ»، فَإِذَا كَانَ فِي الْقَلْبِ صَلَاحٌ فَإِنَّ صَاحِبَهُ يَتَوَرَّعُ عَنِ الشُّبُهَاتِ،
وَأِلَّا إِذَا كَانَ قَلْبُهُ لَيْسَ فِيهِ صَلَاحٌ، فَإِنَّهُ لَنْ يُبَالِيَ بِالشُّبُهَاتِ، ثُمَّ لَنْ يُبَالِيَ
بِالْحَرَامِ فِيمَا بَعْدُ، فَاَلْمَدَارُ عَلَى الْقَلْبِ، فَمَا هُوَ الْقَلْبُ؟

الْقَلْبُ: هُوَ الْمُضْغَةُ - يَعْنِي قِطْعَةَ اللَّحْمِ - الَّتِي فِي الصَّدْرِ، وَالَّتِي بِهَا
يُمَيِّزُ الْإِنْسَانُ بَيْنَ الضَّارِّ وَالنَّافِعِ، وَبَيْنَ الطَّيِّبِ وَالخَبِيثِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّهَا
لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، فَإِذَا عَمِيَ
الْقَلْبُ وَقَعَ الْإِنْسَانُ فِي الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ وَالْمَفَاسِدِ، وَإِذَا كَانَ فِي الْقَلْبِ بَصِيرَةٌ
فَإِنَّهُ يَتَجَنَّبُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ، فَاَلْمَدَارُ عَلَى الْقَلْبِ.

قَالَ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً» يَعْنِي: قِطْعَةَ لَحْمٍ صَغِيرَةً، «إِذَا
صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ» صَلَحَتْ بِخَوْفِ اللَّهِ، وَخَشْيَتِهِ، وَتَقْوَاهُ،
وَمَحَبَّتِهِ، «وَإِذَا فَسَدَتْ» فَلَمْ تَخْشَ اللَّهَ، وَلَمْ تَخَفْ مِنْهُ، وَلَمْ تُحِبَّهُ، فَإِنَّ الْجَسَدَ

يُفْسِدُ؛ لِأَنَّ الْقَلْبَ هُوَ مَلِكُ الْجَسَدِ، وَإِذَا صَلَحَ الْمَلِكُ صَلَحَتِ الرَّعِيَّةُ، وَإِذَا فَسَدَ الْمَلِكُ فَسَدَتِ الرَّعِيَّةُ. فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ صَلَاحَ قَلْبِهِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا صَلَحَ قَلْبُهُ صَلَحَتْ أُمُورُهُ كُلُّهَا، وَإِذَا فَسَدَ قَلْبُهُ فَسَدَتْ أُمُورُهُ كُلُّهَا.

وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلٍ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، فَتَقُولُ لَهُ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فِي ذَلِكَ، فَيَقُولُ لَهَا: «يَا عَائِشَةُ وَمَا يُؤْمِنُنِي وَقُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ إَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ؟ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُقَلِّبَ قَلْبَ عَبْدٍ قَلْبُهُ»^(١)، فَالْقُلُوبُ بِيَدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ قَلْبَهُ، وَعَلَيْهِ أَيْضًا أَنْ يَتَجَنَّبَ مَا يُفْسِدُ الْقَلْبَ؛ لِأَنَّ الْقَلْبَ يَفْسَدُ بِالشُّبُهَاتِ وَالْمَعَاصِي وَبِأَكْلِ الْحَرَامِ، فَالْمَعَاصِي بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا تُفْسِدُ الْقُلُوبَ: النَّظَرُ إِلَى الْحَرَامِ، وَاسْتِمَاعُ الْحَرَامِ، كُلُّ هَذَا يُفْسِدُ الْقَلْبَ، فَإِذَا نَظَرَ الْإِنْسَانُ إِلَى الْحَرَامِ فَسَدَ قَلْبُهُ، وَإِذَا اسْتَمَعَ إِلَى الْغِنَاءِ وَالْمَزَامِيرِ وَآلَاتِ اللَّهْوِ فَسَدَ قَلْبُهُ، وَإِذَا وَقَعَ فِي الْمَعَاصِي فَسَدَ قَلْبُهُ، وَإِذَا أَكَلَ الْحَرَامَ فَسَدَ قَلْبُهُ، فَالْإِنْسَانُ يَعْمَلُ الْأَسْبَابَ الَّتِي يَصْلُحُ بِهَا قَلْبُهُ، أَمَّا حُصُولُ الصَّلَاحِ فَهُوَ بِيَدِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا -.



(١) روى هذا الحديث عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم منهم: أنس، وعائشة، وأم سلمة، وجابر، والنواس بن سمعان، رضي الله عنهم. أخرجه الترمذي (٢١٤٠) وحسنه، وابن ماجه (١٩٩) وصححه البوصيري، وأحمد (٩١ / ٦)، وابن حبان (٢٢٣ / ٣)، وابن أبي عاصم (ح ٢٢٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٩١٩٦)، (٢٩١٩٧)، (٢٩١٩٩)، والطبراني في الكبير (٧٥٩)، والأوسط (١٤٧ / ٢)، والحاكم في المستدرک (٧٠٦ / ١)، (٣٥٧ / ٤)، والبيهقي في الكبرى (٤١٤ / ٤)، وأخرجه البخاري (٧٣٩١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «أَكْثَرُ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْلِفُ: لَا وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ...».

الْحَدِيثُ السَّابِعُ

عَنْ أَبِي رُقَيْةَ تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» [رواه مسلم] (١).

وَجَاءَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ» (٢) كَرَّرَهُ ثَلَاثًا مِنْ بَابِ التَّأْكِيدِ.
وَمَعْنَى النَّصِيحَةِ (٣): الْخُلُوصُ، يُقَالُ: شَيْءٌ نَاصِحٌ يَعْنِي: خَالِصٌ مِنَ الْغِشِّ، وَيُقَالُ: عَسَلٌ نَاصِحٌ، وَلَبَنٌ نَاصِحٌ، يَعْنِي: خَالِصٌ مِنَ الْغِشِّ وَالْأَخْلَاطِ الرَّدِيئَةِ.

وَهَكَذَا دِينَ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ خَالِصٌ مِنْ كُلِّ بَاطِلٍ، وَمِنْ كُلِّ خِدَاعٍ وَمَكْرٍ وَغِشٍّ وَخِيَانَةٍ، فَهُوَ دِينٌ خَالِصٌ، دِينٌ صَافٍ، وَكَذَلِكَ الْمُسْلِمُ يَسْتَوِي ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ عَلَى النَّصِيحَةِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ وَالْخِيَانَةِ وَالْغَدْرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، أَمَّا الَّذِي يَغِشُّ أَوْ يَخْدَعُ أَوْ يَمْكُرُ أَوْ يَخْتَلِفُ ظَاهِرُهُ عَنْ

(١) أخرجه مسلم (٥٥)، وأخرجه البخاري معلقاً في كتاب الإيمان - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ: لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٠٢ / ٤)، والطبراني في الكبير (١٢٦١)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٦٨٧ / ٢)، وابن منده في الإيمان (٤٢٤ / ١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٦ / ٦).

(٣) انظر: النهاية في غريب الأثر (٦٢ / ٥)، ولسان العرب (٢١٧ / ٢)، ومختار الصحاح (ص ٢٧٦).

بَاطِنِهِ فَهَذِهِ الْخِصَالُ لَيْسَتْ مِنَ الدِّينِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ حَصَرَ الدِّينَ فِي النَّصِيحَةِ، وَحَصَرَ الشَّيْءَ يَقْتَضِي أَنْ لَا يَدْخُلَ فِيهِ غَيْرُهُ.

وَلَمَّا سَأَلَ الصَّحَابَةُ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - النَّبِيَّ ﷺ عَنِ النَّصِيحَةِ، وَقَالُوا: (لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟) قَالَ: «لِلَّهِ»، فَأَوَّلُ شَيْءٍ أَنْ تَكُونَ نَاصِحًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وَذَلِكَ بِأَنْ تَعْبُدَهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ؛ وَتُؤْمِنَ بِهِ إِيْمَانًا كَامِلًا، فَتُؤْمِنُ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَتَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَتُؤْمِنُ بِأَقْدَارِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَأَنَّهُ لَا أَحَدَ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ غَيْرُهُ، ثُمَّ تُخْلِصُ الْعِبَادَةَ لَهُ، هَذِهِ هِيَ النَّصِيحَةُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ.

وَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ النَّصِيحَةُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فَالَّذِي يُظْهِرُ التَّوْحِيدَ وَيُبْطِنُ الشِّرْكَ، أَوْ يُظْهِرُ الْإِيْمَانَ وَيُبْطِنُ الْكُفْرَ، هَذَا مُنَافِقٌ، وَالْمُنَافِقُ شَرٌّ مِنَ الْكَافِرِ الْخَالِصِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النِّسَاء: ١٤٥]، لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُمْ ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٩]، وَهَذَا أَعْظَمُ الْخِيَانَةِ.

أَمَّا النَّاصِحُ فَهُوَ الَّذِي يَسْتَوِي ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ مَعَ اللَّهِ أَوَّلًا، فَإِذَا قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) عَمِلَ بِذَلِكَ، فَلَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى مَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَالْعَمَلِ بِهَا، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَلَيْسَ الْمُرَادُ الْقَوْلُ بِاللِّسَانِ فَقَطْ، فَمَنْ كَانَ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَلَا يَعْتَقِدُهَا وَلَا يَعْمَلُ بِمُقْتَضَاهَا فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَالنِّفَاقُ: هُوَ إِظْهَارُ الْخَيْرِ وَإِبْطَانُ الشَّرِّ، فَالَّذِي يُظْهِرُ الْخَيْرَ لِلنَّاسِ وَلَكِنَّهُ يُبْطِنُ خِلَافَهُ مُنَافِقٌ، وَالنِّفَاقُ أَشَدُّ مِنَ الْكُفْرِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ؛ لِأَنَّ الْكَافِرَ صَرَّحَ بِكُفْرِهِ وَعَرَفَهُ النَّاسُ، وَأَخَذُوا حِذْرَهُمْ مِنْهُ، أَمَّا الْمُنَافِقُ فَإِنَّهُ يُخَادِعُ الْمُسْلِمِينَ، وَيَظُنُّونَهُ مِنْهُمْ، وَهُوَ عَدُوٌّ لَهُمْ،

يُخُونُهُمْ، وَيَتَرَبَّصُّ بِهِمُ الدَّوَائِرُ، وَيَلْتَمِسُ لَهُمُ النِّقَائِصَ وَالْعُيُوبَ وَيُنَمِّيْهَا وَيَنْشُرُهَا، فَإِذَا جَاءَتِ الشَّدَائِدُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ظَهَرَ نِفَاقُهُ وَكُفْرُهُ، وَانْحَازَ إِلَى أَعْدَاءِ الْمُسْلِمِينَ، أَمَّا إِذَا جَاءَ الرَّخَاءُ وَالْخَيْرُ فَإِنَّهُ يُظْهِرُ الْإِيمَانَ لِيَعِيشَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا شَأْنُ الْمَنَافِقِ: خَائِنٌ مَعَ اللَّهِ، وَخَائِنٌ مَعَ النَّاسِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩].

قَالَ: «وَلِكِتَابِهِ» النَّصِيحَةُ لِكِتَابِ اللَّهِ - وَهُوَ الْقُرْآنُ - أَنْ تُؤْمِنَ بِهِ وَتَعْتَقِدَ أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ وَأَنَّهُ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةً، أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، ثُمَّ تَكْثِرُ مِنْ تِلَاوَتِهِ، وَتَتَدَبَّرُهُ، وَتَتَأَمَّلُ مَعَانِيَهُ، وَتَطْلُبُ تَفْسِيرَهُ، ثُمَّ تَعْمَلُ بِهِ، وَتُخْلِصَ الْعَمَلَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، هَذِهِ النَّصِيحَةُ لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

أَوَّلًا : أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةً.

ثَانِيًا: أَنْ تَتَعَلَّمَهُ.

ثَالِثًا: أَنْ تَكْثِرَ مِنْ تِلَاوَتِهِ.

رَابِعًا: أَنْ تَتَدَبَّرَهُ، فَلَا يَكْفِي أَنْ تَقْرَأَهُ دُونَ مَعْرِفَةِ مَعَانِيهِ وَتَفْسِيرِهِ.

خَامِسًا: أَنْ تَعْمَلَ بِهِ.

ذَلِكَ لِأَنَّ الْعِلْمَ مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ لَا يُفِيدُكَ شَيْئًا، وَلَوْ كُنْتَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ حِفْظًا لِلْقُرْآنِ، وَأَكْثَرِ النَّاسِ تِلَاوَةً لِلْقُرْآنِ، مَا دَامَ أَنَّكَ لَا تَعْمَلُ بِهِ، فَلَسْتَ نَاصِحًا لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، بَلْ تَكُونُ غَاشًّا لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ: «وَلِرَسُولِهِ» كَذَلِكَ تَنْصَحُ لِلرَّسُولِ ﷺ بِأَنْ تَشْهَدَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ شَهَادَةَ الْحَقِّ وَالْيَقِينِ، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، ثُمَّ تُطِيعُهُ وَتَعْمَلُ بِمَا جَاءَ بِهِ، وَتُحِبُّهُ أَكْثَرَ

مِمَّا تُحِبُّ نَفْسَكَ وَوَلَدَكَ وَوَالِدَيْكَ وَالنَّاسَ أَجْمَعِينَ^(١)، فَلَا تُقَدِّمُ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ، أَوَّلُ شَيْءٍ مَحَبَّةُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، ثُمَّ مَحَبَّةُ الرَّسُولِ ﷺ، مَعَ اتِّبَاعِهِ وَطَاعَتِهِ وَالْعَمَلِ بِسُنَّتِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَاجْتِنَابِ الْكَذِبِ عَلَيْهِ ﷺ، فَلَا تَنْسِبُ إِلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَرِدْ عَنْهُ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ ككَذِبٍ عَلَى غَيْرِي، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٢)، فَلَا تَنْسِبُ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ إِلَّا مَا ثَبَتَ بِرِوَايَةِ الثَّقَاتِ، فَإِذَا كُنْتَ تَعْرِفُ السَّنَدَ، وَتَعْرِفُ الرَّجَالَ، فَلَا تَسْنِدُ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ إِلَّا مَا تَحَقَّقْتَ مِنْ صِحَّتِهِ، وَإِذَا كُنْتَ لَا تَعْرِفُ هَذَا فَإِنَّكَ تَرْجِعُ إِلَى أُمِّهِاتِ السُّنَّةِ وَالْكِتَابِ الصَّحَّاحِ الَّتِي اعْتَنَى أَهْلُهَا بِصَدْقِ الرِّوَايَةِ وَثُبُوتِهَا عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَا لَمْ يَثْبُتْ فَإِنَّكَ لَا تُبَادِرُ بِنِسْبَتِهِ حَتَّى تَتَأَكَّدَ مِنْ صِحَّتِهِ، ثُمَّ مَعَ هَذَا تَعْمَلُ بِسُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ.

وَلَيْسَ الْمُرَادُ مُجَرَّدَ حِفْظِ الْأَحَادِيثِ دُونَ فَهْمِ مَعَانِيهَا، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ تَفْهَمَ الْمَعَانِي مِنْ أَجْلِ أَنْ تَعْمَلَ بِهَا؛ لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنَّكَ تَعْمَلُ بِهَا وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُ مَعَانِيهَا، وَلَيْسَ لَكَ أَنْ تُفَسِّرَهَا مِنْ عِنْدِكَ دُونَ التَّثَبُّتِ مِنْ مَعَانِيهَا، فَلَا تَقُلْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ كَذَا، وَمَعْنَاهُ كَذَا، حَتَّى تُرَاجِعَ الْمَعَانِي الصَّحِيحَةَ، مِمَّا ثَبَتَ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ الثَّقَاتِ، فَأَنْتَ لَا تَنْسِبُ إِلَى الرَّسُولِ إِلَّا لَفْظَ الْحَدِيثِ، وَلَا تَنْسِبُ إِلَيْهِ الْمَعَانِي إِلَّا مَا وَقَفْتَ عَلَى صِحَّتِهِ إِمَّا بِنَفْسِكَ إِذَا كُنْتَ أَهْلًا لِذَلِكَ، أَوْ تَسْأَلُ أَهْلَ الْعِلْمِ، أَوْ تُرَاجِعُ كُتُبَ الصَّحَّاحِ الْمَدُونَةَ الَّتِي تَلَقَّتْهَا الْأُمَّةُ

(١) كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (١٤٤) من حديث أنس رضي الله عنه، أن

النبي ﷺ قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩١)، ومسلم (٤).

بِالْقَبُولِ؛ كَصَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، وَصَحِيحِ مُسْلِمٍ، وَصَحِيحِ ابْنِ حِبَّانٍ وَابْنِ خُزَيْمَةَ، وَكَذَلِكَ مَا صَحَّ مِنْ السُّنَنِ الْأَرْبَعِ وَالْمَسَانِيدِ، مَا صَحَّ سَنَدُهُ تَعْمَلُ بِهِ، وَتُسَنَدُهُ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ، هَذِهِ هِيَ النَّصِيحَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

كَذَلِكَ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَجَنَّبَ الْبِدْعَ، قَالَ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(١)، «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(٢)، فَتَتَجَنَّبُ الْبِدْعَ الَّتِي لَمْ تَرُدْ وَلَمْ تَثْبُتْ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ.

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا: أَنَّ الْحَدِيثَ الضَّعِيفَ الَّذِي نَصَّ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى ضَعْفِهِ، لَا تُنْسَبُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى سَبِيلِ الْجَزْمِ، وَإِنَّمَا تَقُولُ: يُرَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، أَوْ وَرَدَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَلَا تَقُلْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ كَذَا، أَوْ فَعَلَ كَذَا، بَلْ تَأْتِي بِصِغَةِ التَّمْرِیضِ مِنْ بَابِ الْأَمَانَةِ، هَذَا كُلُّهُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالنَّصِيحَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

كَذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَلَّا تَدْخُلَ فِي تَصْحِيحِ الْأَحَادِيثِ أَوْ تَضْعِيفِهَا، وَأَنْتَ لَيْسَ عِنْدَكَ مَقْدَرَةٌ عَلَى ذَلِكَ، فَلَا يَدْخُلُ فِي هَذَا إِلَّا أَهْلُ الْفَنِّ، وَأَهْلُ الْاِخْتِصَاصِ مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ وَالرَّوَايَةِ، أَمَّا مَا ظَهَرَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الشَّبَابِ مِنَ الْجُرْأَةِ عَلَى الْأَحَادِيثِ وَالتَّصْحِيحِ وَالتَّجْرِیْحِ فِيهَا مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْبِقَ لَهُمْ دِرَاسَةٌ وَخِبْرَةٌ، وَلَا تَلْقَ لِلْعِلْمِ عَنِ الْعُلَمَاءِ،

(١) سبق تخريجه (ص ٣٩).

(٢) سبق تخريجه (ص ٣٩).

فَهَذَا خَطَرٌ شَدِيدٌ، وَجُرْأَةٌ عَلَى سُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَلَيْسَ مِنَ النَّصِيحَةِ
لِرَسُولِ اللَّهِ أَنْ يَتَدَخَّلَ الْجُهَّالُ وَيُسَمُّوا أَنْفُسَهُمْ بِالْمُحَدِّثِينَ بِنَاءً عَلَى أَنَّهُمْ
اطَّلَعُوا عَلَى كِتَابٍ مِنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ أَوْ حَفِظُوا عَدَدًا مِنْهَا؛ لِأَنَّ مُجَرَّدَ حِفْظِ
الْأَحَادِيثِ لَا يَجْعَلُهُمْ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ، إِنَّمَا الْمَحَدِّثُ هُوَ الْمُتَخَصِّصُ فِي عِلْمِ
الرِّوَايَةِ، وَهَذَا فَنٌّ عَظِيمٌ يُتَلَقَّى عَنِ الْعُلَمَاءِ، وَعَنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْخِبْرَةِ.
فَلَيْسَ لِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يُطَالَعَ فِي كُتُبِ الْحَدِيثِ، ثُمَّ يُصَحِّحَ وَيُضَعِّفَ أَوْ
يُفَسِّرَهَا وَيُشْرَحَهَا مِنْ عِنْدِهِ بِدُونِ فَهْمٍ صَحِيحٍ؛ لِأَنَّ هَذَا مِنَ الْغَشِّ لِسُنَّةِ
الرَّسُولِ ﷺ، وَالْوَاجِبُ أَنْ تُحْتَرَمَ السُّنَّةُ، وَلَا يَدْخُلَ فِيهَا إِلَّا مَنْ هُوَ
مُخْتَصَّ بِهَذَا الْعِلْمِ.

قَالَ: «وَلَا ئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ» الْمُرَادُ بِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ: وُلاَةُ الْأُمُورِ،
وَالنَّصِيحَةُ لَهُمْ تَكُونُ بِاعْتِقَادِ وَلَايَتِهِمْ، وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ،
وَالْقِيَامُ بِالْمَهَامِ وَالْأَعْمَالِ الَّتِي يَسْنِدُونَهَا إِلَيْكَ، فَالْمُوظَّفُ وَالْمُدِيرُ وَالْمُدَرِّسُ
وَالْقَاضِي وَالْمِفْتِي وَكُلُّ مَنْ وَلِيَ عَمَلًا مِنْ أَعْمَالِ الْمُسْلِمِينَ وَلاَهُ وَلِيُّ الْأَمْرِ
عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ النَّصِيحَةُ فِيهِ بِأَنْ يَقُومَ بِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ، فَإِنْ
نَقَصَ أَوْ قَصَرَ فَإِنَّهُ لَيْسَ نَاصِحًا لَوُلاَةِ الْأُمُورِ؛ لِأَنَّهُمْ اتَّيَمَنُوا عَلَى هَذَا الْعَمَلِ
فَلَمْ يَقُمْ بِهِ، أَوْ تَهَاوَنَ فِيهِ.

وَكَذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ لَوُلاَةِ الْأُمُورِ مُنَاصَحَتُهُمْ عَنْ بَعْضِ الْأَخْطَاءِ
الَّتِي تَحْصُلُ، وَلَا يَعْلَمُونَ عَنْهَا، فَيَبْلَغُونَ بِهَا إِنْ كَانَتْ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَإِنْ
كَانَتْ مِنْهُمْ يُبَيِّنُ لَهُمْ خَطَاؤَهُمْ فِيهَا، وَلَكِنْ لَا يَكُونُ هَذَا فِي الْمَجَالِسِ أَوْ عَلَى
الْمَنَابِرِ، إِنَّمَا هَذَا يَكُونُ بَيْنَ النَّاصِحِ وَبَيْنَ وَلِيِّ الْأَمْرِ، إِمَّا مُشَافَهَةً، وَإِمَّا كِتَابَةً،

وَأَمَّا بَأَنْ يُوصِيَ مَنْ يَتَّصِلُ بِهِ وَيُنَبِّهُهُ عَلَى ذَلِكَ^(١)، فَلَيْسَ مِنَ النَّصِيحَةِ لَوْلَاةِ الْأُمُورِ الْكَلَامُ فِيهِمْ فِي الْمَجَالِسِ، أَوْ فِي غَيْرِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ هَذَا مِنَ الْخِيَانَةِ لَوْلَاةِ الْأُمُورِ، وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُمْ تَقْصِيرٌ، فَلَيْسَ مِنَ النَّصِيحَةِ أَنْ تُشَهَّرَ بِأَخْطَائِهِمْ عِنْدَ النَّاسِ؛ لِأَنَّ هَذَا يَجْرُ شَرًّا، بَلِ النَّصِيحَةُ أَنْ تُبَلِّغَهُمْ إِنْ اسْتَطَعْتَ ذَلِكَ، أَوْ تُبَلِّغَهُمْ بِالْوَاسِطَةِ، فَإِنْ عَجَزْتَ عَنْ إِبْلَاغِهِمْ مُبَاشَرَةً أَوْ بِالْوَاسِطَةِ فَإِنَّ الْوَاجِبَ أَنْ تَسْكُتَ لِأَنَّكَ مَعْدُورٌ.

أَمَّا مَنْ يَتَكَلَّمُ فِي شَأْنِ وُلَاةِ الْأُمُورِ عِنْدَ النَّاسِ، وَعِنْدَ الْأَعْدَاءِ، وَعِنْدَ الْخُصُومِ، فَهَذَا يَجْرُ شَرًّا، وَيُفَرِّقُ الْأُمَّةَ، وَلَيْسَ مِنَ النَّصِيحَةِ، بَلْ هُوَ مِنَ التَّأْلِيلِ عَلَى وُلَاةِ الْأُمُورِ، وَهُوَ أَشَدُّ أَنْوَاعِ الْغِيْبَةِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَعْنَى الْغِيْبَةِ: «ذَكَرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»^(٢) هَذَا مَعَ عَامَّةِ النَّاسِ، فَكَيْفَ بِوُلَاةِ الْأُمُورِ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ - كَمَا يَقُولُ - بَعْضُهُمْ، هَذَا هُوَ الْمُنْكَرُ نَفْسُهُ، التَّشْهِيرُ بِهِمْ فِي الْمَجَالِسِ، فَإِنْكَارُ الْمُنْكَرِ لَهُ طُرُقٌ، إِنْكَارُ الْمُنْكَرِ مَعَ الْوُلَاةِ أَنْ تُوصَلَ إِلَيْهِمُ النَّصِيحَةُ بِأَيِّ طَرِيقٍ هَذَا إِنْكَارُ الْمُنْكَرِ، أَمَّا إِذَا عَجَزْتَ عَنْ ذَلِكَ فَإِنَّكَ تَسْكُتُ؛ لِأَنَّكَ مَعْدُورٌ، وَلَا تَتَكَلَّمُ فِيهِمْ وَتَقُولُ: هَذَا إِنْكَارُ مُنْكَرٍ، هَذَا لَا يُجْدِي شَيْئًا، بَلْ هَذَا يَزِيدُهُمْ حَقْدًا، وَيَزِيدُهُمْ غَيْظًا عَلَى رَعِيَّتِهِمْ فَتَحْصُلُ الْمَفَاسِدُ، أَوْ أَتَاهُمْ يَتَسَلَّطُونَ عَلَى الدُّعَاةِ، وَعَلَى طَلَبَةِ الْعِلْمِ، يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ بِسَبَبِ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي يُقَالُ وَيُنْشَرُ، فَيَجْرُ ذَلِكَ شَرًّا عَلَى الْأُمَّةِ، هَذَا لَيْسَ مِنَ النَّصِيحَةِ لَوْلَاةِ الْأُمُورِ، وَلَا مِنْ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ.

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (٨٢)، وشرح الأربعين النووية للعلامة ابن عثيمين رحمته الله (١١٨-١٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَكَذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ لَوْلَاةِ الْأُمُورِ الدُّعَاءُ لَهُمْ بِالصَّلَاحِ^(١)؛ لِأَنَّ صَلَاحَهُمْ صَلَاحٌ لِلأُمَّةِ، أَمَّا الَّذِي يَدْعُو عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ أَوْ الَّذِي عِنْدَهُ غَيْرُهُ شَدِيدَةٌ مَعَ جَهْلٍ يَدْعُو عَلَيْهِمْ، هَذَا لَيْسَ مِنَ النَّصِيحَةِ، الْوَاجِبُ الدُّعَاءُ لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالِاسْتِقَامَةِ، يُدْعَى لَهُمْ فِي الْخُطْبِ، وَيُدْعَى لَهُمْ فِي الْمَجَالِسِ بِالصَّلَاحِ، لَا تَمْدَحُهُمْ بِمَا لَيْسَ فِيهِمْ، لَيْسَ الْمَطْلُوبُ أَنَّكَ تَمْدَحُهُمْ أَوْ تُثْنِي عَلَيْهِمْ، الْمَطْلُوبُ أَنَّكَ تَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالِاسْتِقَامَةِ وَالْهُدَايَةِ.

وَلِهَذَا كَانَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ^(٢) - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَقُولُ: «لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً لَصَرَفْتُهَا لِلسُّلْطَانِ»^(٣)، وَهَذَا مِنْ فِقْهِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لِأَنَّ صَلَاحَ الْمُسْلِمِينَ بِصَلَاحِ السُّلْطَانِ، فَمِنَ النَّصِيحَةِ لَوْلَاةِ الْأُمُورِ أَنْ تَدْعُوَهُمْ. وَقَدْ سَمِعْنَا أَنَّ بَعْضَ الْمُتَعَالِمِينَ يَقُولُ: الدُّعَاءُ لَهُمْ مِنَ النِّفَاقِ. أَوْ يَقُولُ: هَذَا يُبَرِّرُ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَا. نَقُولُ لَهُ: أَنْتَ إِنَّمَا تَدْعُوَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالِاسْتِقَامَةِ.

(١) انظر: العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز الحنفي (٣٧٩)، وشرح السنة للبرهاري (١٠٨).

(٢) هو الإمام الزاهد العابد أحد صلحاء الدنيا، الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر أبو علي التميمي ثم اليربوعي الخراساني المروزي، أخذ الفقه عن أبي حنيفة، وروى عنه الإمام الشافعي، كان في أول أمره شاطراً يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، ثم أراد الله ﷻ له الهداية. انظر: تاريخ دمشق (٤٨ / ٣٧٥)، ووفيات الأعيان (٤ / ٤٧)، وسير الأعلام (٨ / ٤٢١)، وطبقات الحنفية (ص ٤٠٩)، وشذرات الذهب (١ / ٣١٧).

(٣) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١ / ١٧٦)، وأبونعيم في الحلية (٨ / ٩١)، وذكره البرهاري في شرح السنة (٥١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٢ / ٦٠)، والذهبي في سير الأعلام (٨ / ٤٣٨).

وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ أَيْضًا: إِنَّ الدُّعَاءَ لَهُمْ مِنَ الْمَدَاهِنَةِ، وَهَذَا لَمْ يَرِدْ عَنِ السَّلَفِ.

نَقُولُ لَهُ: إِنَّ النَّصِيحَةَ لِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ أَعْظَمُهَا الدُّعَاءُ لَهُمْ بِالصَّلَاحِ، وَقَدْ وَرَدَ عَنِ السَّلَفِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَدْعُونَ لِرُؤَاةِ الْأُمُورِ، حَتَّى أَنَّهُمْ نَصُّوا أَنَّهُ يُدْعَى لَهُمْ فِي خُطْبِ الْجُمُعِ وَالْأَعْيَادِ^(١)، فَهَذَا أَمْرٌ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْأُمَّةِ، وَلَا يُنْكِرُهُ إِلَّا جَاهِلٌ، أَوْ مَنْ فِي قَلْبِهِ غُلٌّ وَحِقْدٌ.

قَالَ: «وَعَامَّتِهِمْ» وَالنَّصِيحَةُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ تَكُونُ بِالصَّدَقِ فِي الْمَعَامَلَةِ، أَمَّا الَّذِي يَغِشُّ الْمُسْلِمِينَ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَالْمَعَامَلَاتِ، فَقَدْ خَانَهُمْ وَلَمْ يَنْصَحْ لَهُمْ، قَالَ ﷺ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»^(٢).

كَذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ: دَعْوَتُهُمْ إِلَى اللَّهِ، بِدَعْوَتِهِمْ إِلَى إِصْلَاحِ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْخَلَلِ، وَبَيَانِ مَا يَجْهَلُونَ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمْ^(٣). وَمِنَ النَّصِيحَةِ لَهُمْ أَيْضًا: الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ بِالطُّرُقِ الشَّرْعِيَّةِ، أَمَّا لَوْ تَرَكْتَ الْمُنْكَرَاتُ وَالْأَخْطَاءُ بِدُونِ أَنْ تُعَالَجَ فَهَذَا مِنَ الْغِشِّ، لَكِنَّ الْإِنْسَانَ يَقُومُ بِمَا يَسْتَطِيعُ، قَالَ ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ».

(١) قال ابن مظهر المقدسي في البدء والتاريخ (٥/ ١٦٨) يعدد أوليات عمر رضي الله عنه: (وأول من دعا له على المنبر بالصلاح أبو موسى الأشعري رضي الله عنه). وقال ابن خلدون: (وأول من دعا للخليفة على المنبر: ابن عباس؛ دعا لعلي رضي الله عنه في خطبته وهو بالبصرة عامل له عليها، فقال: اللهم انصر عليًا على الحق. واتصل العمل على ذلك فيما بعد). انظر: مقدمة ابن خلدون (ص ٢٦٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: العقيدة الواسطية مع شرحها للمؤلف - حفظه الله تعالى - (ص ٢١٥).

بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١)،
فَأَنْتَ تُنْكِرُ الْمُنْكَرَ بِحَسَبِ اسْتِطَاعَتِكَ، إِنْ كَانَ لَكَ سُلْطَةٌ وَوِلَايَةٌ تُنْكِرُهُ
بِالْيَدِ، وَإِنْ كَانَ لَيْسَ لَكَ سُلْطَةٌ تُنْكِرُ بِاللِّسَانِ بِالْبَيَانِ وَالدَّعْوَةِ، وَإِنْ كُنْتَ لَا
تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ تُنْكِرُهُ بِقَلْبِكَ وَتَبْتَعدُ عَنْ أَهْلِهِ، وَعَنْ أَمَاكِنِ الْمُنْكَرِ، وَتَنْجُو
بِنَفْسِكَ عَلَى الْأَقْلِّ.

وَمِنْ النَّصِيحَةِ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ: أَنْ تَدُلَّ أَخَاكَ وَتُرْشِدَهُ إِذَا اسْتَشَارَكَ
وَطَلَبَ مِنْكَ النَّصِيحَةَ؛ كَأَنْ يَسْتَنْصِحَكَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَ، أَوْ يُزَوِّجَ أَحَدًا،
أَوْ يُشَارِكَ أَحَدًا، أَوْ يُسَافِرَ مَعَ أَحَدٍ، أَوْ يُوَلِّيَ أَوْ يُوَكَّلَ أَحَدًا، فَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ
أَنْ تَقُولَ لَهُ مَا تَعْلَمُهُ عَنْ هَذَا الشَّخْصِ، وَتُبَيِّنَ لَهُ إِذَا كَانَ يَصْلُحُ أَوْ لَا
يَصْلُحُ وَلَا تُجَامِلَ أَحَدًا فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّكَ لَوْ جَامَلْتَ وَسَرَرْتَ مَا عِنْدَ هَذَا
الشَّخْصِ الَّذِي يَسْتَشِيرُكَ فِيهِ صَارَ هَذَا غِشًّا؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «وَمَنْ أَشَارَ عَلَى
أَخِيهِ بِأَمْرٍ يَعْلَمُ أَنَّ الرُّشْدَ فِي غَيْرِهِ فَقَدْ خَانَهُ»^(٢).

وَلَيْسَ هَذَا مِنَ الْغَيْبَةِ؛ بَلْ هَذَا مِنَ النَّصِيحَةِ، أَمَّا إِذَا لَمْ تُبَيِّنْ لَهُ فَقَدْ
غَشَّيْتَهُ؛ لِأَنَّهُ فَوَّضَ الْأَمْرَ إِلَيْكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَكَانَ لِرَآمًا عَلَيْكَ أَنْ تُبَيِّنَ لَهُ
مَا عِنْدَكَ، وَهَذَا مِنَ النَّصِيحَةِ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْمَشُورَةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ.
فَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ الَّتِي أُوتِيَهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَالَّذِينَ كُلُّهُمْ هُوَ
النَّصِيحَةُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ» فَالَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ نَصِيحَةٌ أَبَدًا

(١) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبوداود (٣٦٥٧)، وأحمد في المسند (٣٢١ / ٢)، والبخاري في الأدب المفرد

(ص ١٠٠)، والحاكم في المستدرک (١٨٤ / ١)، والبيهقي في الكبرى (١١٦ / ١٠)، من حديث

أبي هريرة رضي الله عنه.

لَيْسَ عِنْدَهُ دِينٌ، وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ نَقْصٌ فِي النَّصِيحَةِ صَارَ عِنْدَهُ نَقْصٌ فِي
الدِّينِ، فَالدِّينُ يَكْمُلُ وَيَنْقُصُ وَيَزُولُ بِسَبَبِ عَدَمِ النَّصِيحَةِ أَوْ نُقْصَانِهَا.



الحديث الثامن

عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ». [رواه البخاري ومسلم^(١)].

قَوْلُهُ ﷺ: «أُمِرْتُ» أَيِ أَمَرَنِي اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، فَإِنَّ الرَّسُولَ ﷺ يَأْتُرُ بِأَوَامِرِ اللَّهِ، وَهُوَ مُبَلِّغٌ عَنِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -؛ وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، إِنَّهَا هُمْ مُبَلِّغُونَ عَنِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فِيمَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ، وَفِيمَا يَنْهَاهُمْ عَنْهُ، فَهُمْ الْوَاسِطَةُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ فِي تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ. قَوْلُهُ: «أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ» يَعْنِي: الْكُفَّارَ.

قَوْلُهُ: «حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ» أَيِ: حَتَّى يَدْخُلُوا فِي دِينِ الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّهُ دِينُ اللَّهِ الَّذِي اخْتَارَهُ لِعِبَادِهِ، فَلَا دِينَ سِوَاهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، فَلَا دِينَ إِلَّا الْإِسْلَامُ، الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ - إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ فَصَارَ الْإِسْلَامُ

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

يُطْلَقُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - (١).
 وَالْإِسْلَامُ لَهُ أَرْكَانٌ: شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ،
 وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ مَنْ
 اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، هَذِهِ أَرْكَانُ الْإِسْلَامِ كَمَا بَيَّنَّهَا النَّبِيُّ ﷺ.
 وَالرُّكْنُ الْأَوَّلُ: هُوَ الشَّهَادَتَانِ: شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا
 رَسُولُ اللَّهِ، وَهُمَا الْأَسَاسُ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَنْفِي جَمِيعِ الشِّرْكِ، وَتُخْلِصُ
 الْعِبَادَةَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَشَهَادَةٌ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ تَنْفِي جَمِيعِ الْبِدْعِ
 وَالْمَحْدَثَاتِ، وَتُثَبِّتُ الْعَمَلَ بِالسُّنَّةِ الْوَارِدَةِ عَنْهُ ﷺ، وَبِهَذَا يَحْصُلُ لِلْمُسْلِمِ
 الدُّخُولُ فِي الْإِسْلَامِ.

قَالَ: «وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ» فَلَا يَكْفِي أَنْ يَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ
 مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَعْمَلَ بِمُقْتَضَى الشَّهَادَتَيْنِ، وَأَعْظَمُهُ
 الصَّلَاةُ، وَالْمَرَادُ: الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ الْمَفْرُوضَةُ، فَيَأْتِي بِهَا كَمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي
 أَوْقَاتِهَا مَعَ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، بِالْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ وَالطُّمَأْنِينَةِ، هَذِهِ هِيَ إِقَامَةُ
 الصَّلَاةِ، وَلَيْسَ الْمَرَادُ أَنْ يَأْتِيَ بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ دُونَ خُشُوعٍ وَطُّمَأْنِينَةٍ، أَوْ
 يُصَلِّيَهَا عَلَى رَغْبَتِهِ وَهَوَاهُ مَتَى مَا أَرَادَ، أَوْ كَيْفَمَا أَرَادَ. فَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ لَا يُقِيمُ
 الصَّلَاةَ، بِمَعْنَى أَنَّهُ يَتَلَاعَبُ بِهَا! وَهَذَا لَا تُفِيدُهُ صَلَاتُهُ شَيْئًا، فَاَلْمَدَارُ عَلَى إِقَامِ

(١) قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)؛ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٣ / ٩٤): (قَدْ تَنَازَعَ النَّاسُ فِيمَنْ
 تَقْدُمُ مِنْ أُمَّةِ مُوسَى وَعِيسَى: هَلْ هُمْ مُسْلِمُونَ أَمْ لَا؟ وَهُوَ نِزَاعٌ لَفْظِي؛ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ الْخَاصَّ
 الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ، الْمُتَضَمِّنُ لَشَرِيعَةِ الْقُرْآنِ، لَيْسَ عَلَيْهِ إِلَّا أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْإِسْلَامُ
 الْيَوْمَ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ يَتَنَاوَلُ هَذَا، وَأَمَّا الْإِسْلَامُ الْعَامُّ الْمَتَنَاوَلُ لِكُلِّ شَرِيعَةٍ بَعَثَ اللَّهُ بِهَا نَبِيًّا؛ فَإِنْ
 يَتَنَاوَلُ إِسْلَامَ كُلِّ أُمَّةٍ مُتَبَعَةٍ لِنَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ). ١. هـ.

الصَّلَاةُ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - .

وَالصَّلَاةُ هِيَ الرُّكْنُ الثَّانِي مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فَهِيَ جَامِعَةٌ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَهِيَ رَأْسُ الْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ، وَهِيَ الْفَارِقَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَالْكَافِرِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»^(١) فَالَّذِي لَا يُصَلِّي وَإِنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ لَيْسَ بِمُسْلِمٍ حَتَّى يُصَلِّيَ.

قَالَ: «وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ»؛ لِأَنَّ الزَّكَاةَ قَرِينَةُ الصَّلَاةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَا تُذَكَّرُ الصَّلَاةُ غَالِبًا إِلَّا وَتُذَكَّرُ مَعَهَا الزَّكَاةُ، وَالصَّلَاةُ عِبَادَةٌ بَدَنِيَّةٌ، وَالزَّكَاةُ عِبَادَةٌ مَالِيَّةٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩]، فَهِيَ حَقٌّ وَاجِبٌ فِي مَالِ الْمُسْلِمِ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ، وَلَيْسَتْ تَطَوُّعًا أَوْ تَبَرُّعًا، وَهِيَ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ.

قَوْلُهُ: «حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ» مَعَ بَقِيَّةِ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَأَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ وَتَرْكِ الْمَحْرَمَاتِ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَ هِيَ الْأَسَاسَاتُ، فَالشَّهَادَتَانِ أَسَاسُ التَّوْحِيدِ، وَالصَّلَاةُ أَسَاسُ الْأَعْمَالِ الْبَدَنِيَّةِ، وَالزَّكَاةُ أَسَاسُ الْأَعْمَالِ الْمَالِيَّةِ.

قَالَ: «فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ» دَلٌّ عَلَى أَنَّ الْجِهَادَ فِي الْإِسْلَامِ هُوَ لِهَذَا الْغَرَضِ، لِأَجْلِ أَنْ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَتُقَامَ الصَّلَاةُ، وَتُؤْتَى الزَّكَاةُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ

(١) أخرجه مسلم (٨٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴿[التَّوْبَةُ: ٥]، وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التَّوْبَةُ: ١١]، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ حَرَّمَ اللَّهُ دِمَاءَهُمْ، وَلَا يَجُوزُ قِتَالُهُمْ.

فَقَوْلُهُ: «عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ» فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمَ مَعْصُومُ الدَّمِ، لَا يَجُوزُ سَفْكُ دَمِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَالْأَمْوَالُ مَعْصُومَةٌ كَذَلِكَ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ إِلَّا بِطَيْبٍ مِنْ نَفْسِهِ»^(١)، فَمَالُ الْمُسْلِمِ مِثْلُ دَمِهِ حَرَامٌ، وَكَذَلِكَ عِرْضُهُ حَرَامٌ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ»^(٢)، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُغْتَصَبَ مَالُ الْمُسْلِمِ أَوْ يُؤْخَذَ بِغَيْرِ حَقٍّ، إِلَّا بِطَيْبَةٍ مِنْ نَفْسِهِ، إِلَّا إِذَا امْتَنَعَ مِنْ أَدَاءِ حَقٍّ عَلَيْهِ؛ كَالزَّكَاةِ أَوْ الدُّيُونِ الَّتِي عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُلْزَمُ بِأَدَاءِ الْحُقُوقِ الَّتِي عَلَيْهِ.

قَوْلُهُ: «عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ» هَذَا فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى حُرْمَةِ دَمِ الْمُسْلِمِ وَمَالِهِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْقِتَالَ فِي الْإِسْلَامِ إِنَّمَا هُوَ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَنَشْرِ الْإِسْلَامِ، هَذَا هُوَ الْغَرَضُ مِنَ الْجِهَادِ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَيْسَ الْغَرَضُ مِنْهُ الْاِسْتِيلَاءُ عَلَى الْمَالِكِ أَوْ أَخْذُ الْأَمْوَالِ، أَوْ التَّرَاسُّ عَلَى النَّاسِ، وَإِنَّمَا الْغَرَضُ مِنْهُ إِعْلَاءُ كَلِمَةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وَهَذَا لِصَالِحِ الْبَشَرِيَّةِ وَرَحْمَةِ بِهِمْ، لَمْ يَتْرُكْهَا اللَّهُ تَتَخَبَّطُ وَتَضِيعُ وَتَدْخُلُ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَلْ رَحِمَهَا اللَّهُ وَدَلَّهَا عَلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهَا الرَّسُولَ،

(١) أخرجه أحمد في المسند (٧٢ / ٥)، (٤٢٥ / ٥)، وأبويعلی في مسنده (١٤٠ / ٣)، والدارقطني في

سننه (٢٦ / ٣)، والبيهقي في الكبرى (١٠٠ / ٦)، من حديث أبي حرة الرقاشي عن عمه رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٧، ١٠٥)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ لِمَصْلَحَتِهَا، فَلَيْسَ الْقَصْدُ مِنَ الْجِهَادِ الْإِنْتِقَامَ مِنَ الْكُفَّارِ، وَإِنَّمَا الْقَصْدُ مِنْهُ إِدْخَالُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَإِخْرَاجُهُمْ مِنَ الْكُفْرِ، وَكَفُّ شَرِّ مَنْ أَبَى الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّ الْكُفَّارَ إِذَا لَمْ يُجَاهِدُوا نَشَرُوا الْكُفْرَ وَصَدُّوا النَّاسَ عَنِ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، فَهُوَ حَرْبٌ إِصْلَاحٌ لَا حَرْبُ إِفْسَادٍ وَتَدْمِيرٍ مِثْلَ حُرُوبِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ يَتَسَلَّطُونَ عَلَى النَّاسِ لِلتَّدْمِيرِ وَالْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ وَنَشْرِ الْكُفْرِ. فَالْقِتَالُ فِي الْإِسْلَامِ شُرْعٌ لِغَرَضٍ سَامٍ، وَمَقْصِدٍ نَبِيلٍ، وَرَحْمَةٍ بِالْبَشَرِيَّةِ، أَمَّا الْقِتَالُ عِنْدَ الْكُفَّارِ فَهُوَ لِمَصْلَحَةِ الظَّالِمِ وَالْغَاشِمِ فَقَطْ؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ قَوْمٍ يُقَادُونَ إِلَى الْجَنَّةِ بِالسَّلَاسِلِ»^(١) يَعْنِي: يُقَاتِلُونَ وَيُؤَسَّرُونَ ثُمَّ يَدْخُلُونَ فِي الْإِسْلَامِ وَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، دَلٌّ عَلَى أَنَّ الْقِتَالَ فِي الْإِسْلَامِ لِغَرَضٍ نَبِيلٍ، وَمَقْصِدٍ شَرِيفٍ، وَهُوَ لِمَصْلَحَةِ الْبَشَرِيَّةِ لَا لِإِلْحَاقِ الضَّرَرِ بِهَا، هَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْقِتَالِ فِي الْإِسْلَامِ، وَالْقِتَالِ فِي غَيْرِ الْإِسْلَامِ.

قَالَ: «إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ» يَعْنِي: مَنْ شَهِدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنَّهُ قَدْ عَصِمَ دَمَهُ وَمَالَهُ، فَلَا يَجُوزُ الْاِعْتِدَاءُ عَلَيْهِ، إِلَّا إِذَا أَخْلَلَ بِحَقٍّ مِنْ حُقُوقِ الْإِسْلَامِ، بِأَنْ ارْتَكَبَ نَاقِضًا مِنْ نَوَاقِضِ الْإِسْلَامِ، فَإِذَا ارْتَكَبَ نَاقِضًا مِنْ نَوَاقِضِ الْإِسْلَامِ حَلَّ دَمُهُ، وَوَجَبَ قَتْلُهُ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»^(٢)، وَقَالَ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِأَحَدٍ ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيْبُ الزَّانِي، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمَفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»^(٣) فَإِذَا

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠١٧، ٦٩٢٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ارْتَكَبَ نَاقِضًا مِنْ نَوَاقِضِ الْإِسْلَامِ فَإِنَّهُ يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا وَجَبَ قَتْلُهُ؛
لِأَنَّهُ اعْتَرَفَ أَنَّ الْإِسْلَامَ حَقٌّ، وَدَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ وَشَهِدَ أَنَّهُ حَقٌّ، ثُمَّ تَرَكَهُ
بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ، وَبَعْدَ أَنْ شَهِدَ أَنَّهُ حَقٌّ، فَلَا يُتَلَاعَبُ بِالَّذِينَ.

وَالْإِسْلَامُ جَاءَ بِحِفْظِ الضَّرُورَاتِ الْخَمْسِ، وَأَوَّلُهَا: حِفْظُ الدِّينِ بَأَلَّا يَصِيرَ
مَلْعَبَةً لِلْمُرْتَدِّينَ، بَلْ يُحْمَى، فَإِذَا امْتَنَعُوا عَنْ حَقٍّ مِنْ حُقُوقِ الْإِسْلَامِ فَإِنَّهُمْ
يُقَاتَلُونَ، وَتَحِلُّ دِمَاؤُهُمْ حَتَّى يَتُوبُوا؛ وَلِذَلِكَ قَاتَلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه فِئَتَيْنِ
مِنَ النَّاسِ:

الْأُولَى: الْمُرْتَدُّونَ، وَالَّذِينَ ادَّعَوْا النُّبُوَّةَ؛ كَمُسَيْلَمَةَ، ^(١) وَالْأَسْوَدَ
الْعَنْسِيَّ ^(٢).

الثَّانِيَّةُ: الَّذِينَ مَنَعُوا الزَّكَاةَ، قَاتَلَهُمْ حَتَّى أَدَّوْا الزَّكَاةَ، وَاسْتَدَلَّ بِهَذَا
الْحَدِيثِ، لَمَّا قَالَ لَهُ الصَّحَابَةُ: لِمَاذَا نُقَاتِلُهُمْ وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُصَلُّونَ؟ قَالَ رضي الله عنه: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِلَّا
بِحَقِّ الْإِسْلَامِ. وَإِنَّ الزَّكَاةَ مِنْ حَقِّهَا، وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عَقَالًا ^(٣) - وَفِي

(١) هو مسيلمته بن ثمامة بن كبير الحنفي، لقب برحمن اليمامة فدمغه الله بالكذب فلا يقال: مسيلمته، إلا
ومعها الكذاب، ادعى النبوة وارتد عن الإسلام، ثم قتله وحشي قاتل حمزة بحربته، رماه بها
فخرجت من الجانب الآخر وذلك في حرب المرتدين في عهد أبي بكر رضي الله عنه. انظر: فتوح البلدان
(ص ٩٧)، والكامل في التاريخ (١٦٧ / ٢)، والبداية والنهاية (٣٦٤ / ٦).

(٢) هو الأسود العنسي الكذاب، خرج بصنعاء، وادعى النبوة في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم، واسمه عبهلة
بن كعب، وكان يقال له: ذو الخمار بالخاء المعجمة؛ لأنه كان يخمر وجهه، وقيل: هو اسم
شيطانه. انظر: تاريخ دمشق (٤٨٣ / ٤٩)، والبداية والنهاية (٣٠٧ / ٦)، وفتح الباري
(٩٣ / ٨).

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٨٤، ٧٢٨٥)، ومسلم (٢٠).

رِوَايَةٍ: عَنَاقًا (١) - يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِقَاتِلَتُهُمْ عَلَيْهِ.

فَمَنْ مَنَعَ الزَّكَاةَ جَاحِدًا لِبُجُوبِهَا، فَهَذَا كَافِرٌ مُرْتَدٌّ بِالْإِجْمَاعِ، وَإِنْ مَنَعَهَا بَخْلًا مَعَ اعْتِرَافِهِ بِبُجُوبِهَا، فَإِنَّهَا تُؤْخَذُ مِنْهُ قَهْرًا، وَإِنْ كَانَ لَهُ شَوْكَةٌ وَسِلَاحٌ فَإِنَّهُ يُقَاتَلُ؛ لِأَنَّهَا رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ اِمْتَنَعَ مِنْهُ فَيُقَاتَلُ عَلَيْهِ، فَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: «إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ».

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ» هَذَا مَعْنَاهُ أَنَّا نَقْبَلُ ظَاهِرَهُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ قَبْلَنَا مِنْهُ مَا لَمْ يَحْصُلْ مِنْهُ نَاقِضٌ مِنْ نَوَاقِضِ الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا بَاطِنُهُ فَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يَتَوَلَّاهُ؛ وَلِذَلِكَ قَبِلَ النَّبِيُّ ﷺ إِسْلَامَ الْمُنَافِقِينَ لَمَّا أَسْلَمُوا وَانْقَادُوا فِي الظَّاهِرِ وَأَجْرَى عَلَيْهِمْ أَحْكَامَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَّا بَاطِنُهُمْ فَهَذَا عِنْدَ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - هُوَ الَّذِي يَعْلَمُهُ، فَنَحْنُ نَحْكُمُ عَلَى الظَّاهِرِ، وَلَا نَعْلَمُ مَا فِي الْبَوَاطِنِ، إِنَّمَا هَذَا إِلَى اللَّهِ، حِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ.

فَمَنْ كَانَ مُسْلِمًا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فَإِنَّهُ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَيَكُونُ مُسْلِمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ كَانَ مُسْلِمًا ظَاهِرًا فَقَطْ، فَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النِّسَاء: ١٤٥]، لَكِنْ لَا يَعْلَمُ النِّفَاقَ الَّذِي فِي الْقُلُوبِ إِلَّا اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا -، وَنَحْنُ لَا نَحْكُمُ إِلَّا بِمَا ظَهَرَ لَنَا، فَمَنْ أَظْهَرَ الْخَيْرَ حَكَمْنَا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ، وَمَنْ أَظْهَرَ الشَّرَّ حَكَمْنَا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الشَّرِّ، بِنَاءً عَلَى الظَّاهِرِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -.



الحديث التاسع

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَاتُّوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ» [رواه البخاري ومسلم] (١).

هَذَا الْحَدِيثُ يَرُسُّ طَرِيقًا وَاضِحًا لِلْمُسْلِمِ يَسِيرُ عَلَيْهِ، وَسَبَبُ الْحَدِيثِ كَمَا جَاءَ فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكُلَّ عَامٍ؟ فَسَكَتَ عَنْهُ الرَّسُولُ ﷺ، ثُمَّ أَعَادَ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا»، فَقَامَ الرَّجُلُ وَأَعَادَ السُّؤَالَ مَرَّةً ثَالِثَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجِبَتْ» يَعْنِي: كُلَّ سَنَةٍ «وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ»؛ لِأَنَّ الْحَجَّ يَحْتَاجُ إِلَى سَفَرٍ، وَيَحْتَاجُ إِلَى تَكَالِيفٍ، وَيَحْتَاجُ إِلَى قُوَّةٍ بَدَنِيَّةٍ، فَلِذَلِكَ لَمْ يُوجِبْهُ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً فِي الْعُمْرِ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ» يَعْنِي: لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ لَمْ تُؤْمَرُوا بِهَا، مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوهُ، وَمَا نُهَيْتُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، أَمَّا أَنْ تَسْأَلُوا عَمَّا لَمْ تُؤْمَرُوا بِهِ فَهَذَا لَيْسَ مِنْ صَالِحِكُمْ، «مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَاتُّوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» وَهَذَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، أَنْ يَأْتِيَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْأَوَامِرِ بِمَا يَسْتَطِيعُ، وَالَّذِي لَا يَسْتَطِيعُهُ يَسْقُطُ عَنْهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَنقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾

[التغابن: ١٦]، وَقَالَ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فَلَا اسْتَطَاعَةَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْوَاجِبَاتِ الدِّينِيَّةِ فَإِنَّهُ يَفْعَلُهُ، وَمَا لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِنَّهُ يَسْقُطُ عَنْهُ حَتَّى يَزُولَ عُذْرُهُ، وَهَذَا مِنْ يُسْرِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ، وَرَفَعَهَا لِلْحَرَجِ عَنِ النَّاسِ.

قَالَ: «وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ» أَمَّا الْمُنْهِيُّ عَنْهُ فَإِنَّهُ يُجْتَنَبُ كُلُّهُ؛ لِأَنَّ التَّرْكَ أَسْهَلَ مِنَ الْفِعْلِ، الْفِعْلُ تَأْتِي مِنْهُ مَا تَسْتَطِيعُ، أَمَّا التَّرْكَ فَهَذَا لَا أَحَدَ يَعْجَزُ عَنْهُ؛ لِأَنَّ التَّرْكَ أَسْهَلُ، وَهَذَا قَالَ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ»، وَلَمْ يَقُلْ: اجْتَنِبُوا مَا اسْتَطَعْتُمْ، بَلْ قَالَ: «فَاجْتَنِبُوهُ» كُلُّ وَاحِدٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتْرُكَ الْمُنْهِيَّ، اللَّهُمَّ إِلَّا فِي حَالَةِ الضَّرُورَةِ، إِذَا اضْطُرَّ إِلَى الْمُنْهِيِّ فَإِنَّهُ يَفْعَلُهُ مِنْ بَابِ الرُّخْصَةِ؛ مِثْلَ أَنْ يُضْطَرَّ إِلَى أَكْلِ الْمَيْتَةِ، فَإِنَّهُ يَتَنَاوَلُهُ لِيُبْقِيَ عَلَى حَيَاتِهِ.

ثُمَّ إِنَّهُ حَذَّرَ مِنْ كَثْرَةِ الْأَسْئَلَةِ الَّتِي لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي أُمُورِ الدِّينِ، وَضَرَبَ لَذَلِكَ مَثَلًا بِالْأُمَمِ السَّابِقَةِ، فَإِنَّهُ إِذَا كَثُرَتْ الْأَسْئَلَةُ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَحْصُلُ الْحَرَجُ وَالضِّيقُ عَلَى النَّاسِ، وَبِالتَّالِي هَذَا الَّذِي يُكَثِّرُ السُّؤَالَ يَتْرُكُ الطَّاعَةَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُونَ عَنْ أَسْيَاءِ إِنْ بُدِّلَ لَكُمْ

تَسْوِئَكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدِلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ

﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿[المائدة: ١٠١، ١٠٢]،

فَالْتَّكَلَّفُ فِي الْأَسْئَلَةِ مَدْعَاةٌ إِلَى التَّرْكِ وَالتَّنَطُّعِ، مَا أُمِرْتَ بِهِ فَأَتِ مِنْهُ مَا تَسْتَطِيعُ، وَمَا نُهَيْتَ عَنْهُ فَاجْتَنِبْهُ، وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا الْاِتِّبَاعُ فَقَطْ، وَلَا تَأْتِ بِأَشْيَاءَ مِنْ عِنْدِكَ، أَوْ تَفْتَرِضْ أَشْيَاءَ، هَذَا مِنَ التَّقْدِيمِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١]، لَا تَقُلْ:

لِمَاذَا لَمْ يُوجِبِ اللَّهُ كَذًا، لِمَاذَا لَمْ يُحَرِّمِ اللَّهُ كَذًا؟ لَا تَسْأَلُ مِثْلَ هَذَا السُّؤَالِ.



الحديث العاشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ؛ فَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾» [المؤمنون: ٥١]، وَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾» [البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبِرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ» [رواه مسلم^(١)].

قَوْلُهُ: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»، فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَصَفُ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - بِأَنَّهُ طَيِّبٌ، فَهُوَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - طَيِّبٌ بِمَعْنَى أَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ، فَهُوَ طَيِّبٌ فِي ذَاتِهِ، وَفِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَفِي أَوْامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، فَهُوَ طَيِّبٌ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ نَقْصٌ؛ وَلِذَلِكَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ وَالْمَقَاصِدِ إِلَّا مَا كَانَ طَيِّبًا، فَلَا يَقْبَلُ الْحَبِيثَ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالْمَقَاصِدِ، فَلَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، فَهُوَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الْكَلَامَ الطَّيِّبَ وَالْعَمَلَ الطَّيِّبَ، وَلَا يَقْبَلُ مِنَ الصَّدَقَاتِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، أَمَّا الْحَبِيثُ فَإِنَّهُ لَا يَقْبَلُهُ سِوَاءَ مَا كَانَ خَبِيثًا بِمَعْنَى الرَّدِيِّ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتِمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، أَوْ كَانَ خَبِيثًا فِي ذَاتِهِ؛ كَالْمَيْتَةِ

وَالْحَمْرُ وَالْخَنْزِيرُ، أَوْ خَبِيثًا فِي مَكْسَبِهِ كَالرَّبَا وَالرَّشْوَةِ وَالْقَهَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَالْخَبِيثُ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ خَبِيثًا فِي ذَاتِهِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ خَبِيثًا فِي مَكْسَبِهِ وَطَرِيقِ الْحُصُولِ عَلَيْهِ، فَمَهْمَا تَصَدَّقَ الْإِنْسَانُ مِنْ كَسْبِ خَبِيثٍ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُهُ، وَكَذَلِكَ لَا يَقْبَلُ الْعَمَلُ إِلَّا إِذَا كَانَ طَيِّبًا، بِمَعْنَى أَنْ يَكُونَ خَالِصًا لِرُوحِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، لَيْسَ فِيهِ شَرِكٌ وَلَا رِيَاءٌ، وَيَكُونُ صَوَابًا عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَيْسَ فِيهِ بَدْعَةٌ، وَلَا خُرَافَةٌ، وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى وَفْقِ السُّنَّةِ، فَهَذَا هُوَ الْعَمَلُ الطَّيِّبُ الَّذِي يَتَقَبَّلُهُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - .

كَذَلِكَ الْقَوْلُ الطَّيِّبُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، كَالْتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ، وَكَذَلِكَ الطَّيِّبُ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ، كُلُّ هَذَا مِنَ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ الَّذِي يَتَقَبَّلُهُ اللَّهُ وَيَرْفَعُهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فَاطِر: ١٠].

أَمَّا الْقَوْلُ الْخَبِيثُ فَإِنَّ اللَّهَ يَرُدُّهُ وَيَبْغِضُهُ، مِنَ الْكَذِبِ وَالْغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالشَّتْمِ وَقَوْلِ الزُّورِ، وَشَهَادَةِ الزُّورِ، وَجَمِيعِ الْأَقْوَالِ الْخَبِيثَةِ، وَالشُّرْكِ، وَالْكُفْرِ، كُلُّهَا أَقْوَالٌ خَبِيثَةٌ، لَا تَرْتَفِعُ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَلَا تُقْبَلُ. قَوْلُهُ: «لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا» الطَّيِّبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، يَخْرُجُ بِذَلِكَ مَا كَانَ خَبِيثًا، فَإِنَّ اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - يَرُدُّهُ وَلَا يَقْبَلُهُ.

ثُمَّ قَالَ: «وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ» فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُرْسَلِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ مَأْمُورُونَ وَمَنْهِيُّونَ، لَا أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ أَوْ يَقُولُونَ شَيْئًا مِنْ تَلَقَاءِ أَنْفُسِهِمْ، أَوْ مِنْ مُسْتَحْسَنَاتِ عُقُولِهِمْ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ، وَيَتْرَكُونَ مَا نُهُوا عَنْهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَنْهَكُمُ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحشر: ٧]، فَهُمْ مَأْمُورُونَ وَمَنْهِيُّونَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ - جَلَّ

وَعَلَا-؛ لِأَنَّهُمْ كُلُّهُمْ عِبَادُهُ، فَلَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ، وَلَا يَتَقَدَّمُونَ بَيْنَ يَدَيْ
اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِقَوْلٍ أَوْ بِفِعْلٍ، وَإِنَّمَا يَتَّبِعُونَ الْأَوَامِرَ فَلَا يَفْعَلُونَ إِلَّا مَا أَمَرَ اللَّهُ
بِهِ، وَلَا يَتْرَكُونَ إِلَّا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُمْ عِبَادٌ، وَالرُّسُلُ عِبَادٌ، وَالْمَلَائِكَةُ
عِبَادٌ، وَلَوْ كَانُوا بِمَنْزِلَةِ عَظِيمَةٍ وَجَلَالَةٍ قَدْرٍ، لَكِنَّهُمْ عِبَادٌ يَتَّبِعُونَ أَوَامِرَ اللَّهِ
-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-

قَالَ: «أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ»، ثُمَّ ذَكَرَ الشَّاهِدَ وَالِدَلِيلَ
عَلَى ذَلِكَ، فَاللَّهُ أَمَرَ الْمُرْسَلِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ
وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أَيُّ مِنَ الْحَلَالِ، الطَّيِّبُ:
هُوَ الْحَلَالُ، وَالْحَبِيثُ هُوَ الْحَرَامُ، وَاللَّهُ أَمَرَ بِالْأَكْلِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَيُّ مِنَ
الْمُبَاحَاتِ، وَنَهَى عَنِ الْأَكْلِ مِنَ الْحَرَامِ وَالْخَبَائِثِ، ثُمَّ ذَكَرَ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَى أَكْلِ
الْحَلَالِ قَالَ: ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾، فَأَكْلُ الْحَلَالِ يُعِينُ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ،
وَيَجْعَلُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ مُتَقَبَّلًا، وَأَمَّا أَكْلُ الْحَرَامِ فَإِنَّهُ يُثَبِّطُ وَيُكْسِلُ عَنِ
الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَيُخَذِّلُ الْإِنْسَانَ.

وَلِذَلِكَ تَجِدُ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الْحَرَامَ وَيَكْتَسِبُونَ الْحَرَامَ مِنْ أَبْعَدِ النَّاسِ
عَنِ الطَّاعَاتِ وَعَنِ الْعِبَادَاتِ، وَأَكْسَلَ النَّاسِ عَنِ الصَّلَوَاتِ؛ لِأَنَّ الْحَرَامَ
ثَقُلَ فِي بُطُونِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ فَكَسَلَهُمْ عَنِ الطَّاعَةِ، بِخِلَافِ الَّذِي يَتَغَذَّى
بِالْحَلَالِ، وَيَتَحَرَّى الْحَلَالَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُعِينُهُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَيُلِينُ قَلْبَهُ
وَيُرَفِّقُهُ (١).

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (ص ١٠٢)، والمجموع للنووي (٦/ ٢٣٤)، والفروع لابن مفلح

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ * وَفِي هَذَا تَحْذِيرٌ لِلإِنْسَانِ أَنْ يُخِلَّ بِعَمَلِهِ، أَوْ يَتَظَاهَرَ بِالْعَمَلِ وَالْإِخْلَاصِ وَبَاطِنُهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِيمٌ، بِمَا هُوَ عَلَيْهِ، لَا يَرُوجُ عَلَيْهِ الْبَهْرَجُ وَالْكَذِبُ، وَلَا يَنْطَلِي عَلَيْهِ الظَّاهِرُ مَعَ خُبْثِ الْبَاطِنِ، إِنَّمَا هَذَا فِي حَقِّ النَّاسِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِلَّا الظَّاهِرَ، أَمَّا الْبَاطِنُ فَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - .

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ * يَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَخْشَى أَنْ يَضِيعَ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الْعَمَلِ، وَلَا أَنَّ اللَّهَ يَنْسَاهُ أَوْ يَتْرُكُهُ، فَجَمِيعُ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ يَعْلَمُهَا اللَّهُ تَعَالَى وَيُحْصِيهَا وَيَكْتُبُهَا لِصَاحِبِهَا، سَوَاءً كَانَتْ حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً.

الثَّانِي: أَنَّ اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - لَا يَنْخَدِعُ بِالظُّوَاهِرِ الْبَاطِلَةِ وَالزُّخْرِفِ وَالتَّرْوِيرِ، وَإِنَّمَا يَعْلَمُ الْحَقَائِقَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - .

وَقَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا

رَزَقْنَاكُمْ﴾ * هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - بِالْأَكْلِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَهِيَ الْمُبَاحَاتُ: الطَّيِّبُ فِي ذَاتِهِ وَالطَّيِّبُ فِي مَكْسَبِهِ وَالْحُصُولُ عَلَيْهِ، فَقَوْلُهُ:

﴿كُلُوا﴾ * هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِإِبَاحَةِ الطَّيِّبَاتِ لَنَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُحِلُّ

لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ * [الأعراف: ١٥٧]، فَقَوْلُهُ: ﴿كُلُوا

مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ * يَتَضَمَّنُ النَّهْيَ عَنْ أَكْلِ الْخَبَائِثِ.

فَهَذَا فِيهِ الرَّدُّ عَلَى الَّذِينَ يُحَرِّمُونَ الطَّيِّبَاتِ بِزَعْمِهِمْ أَنَّ هَذَا مِنَ الْعِبَادَةِ وَيَظُنُّونَ أَنَّ فِي تَرْكِهَا أَجْرًا؛ كَالصُّوْفِيَّةِ وَالْمُتَزَهِّدَةِ، وَهَذَا مِنَ التَّكْلِيفِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِالْأَكْلِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَالْمُسْتَلَذَّاتِ، وَالطَّيِّبُ يَشْمَلُ الطَّيِّبَ الَّذِي هُوَ غَيْرُ

خَبِيثٌ، وَيَشْمَلُ الطَّيِّبَ الَّذِي هُوَ الْمُسْتَلَكُ مِنَ اللَّحُومِ وَالْفَوَاحِيهِ، وَأَنْوَاعِ
الْمَتَعَةِ الطَّيِّبَةِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْمَلَذَّاتِ الْمُبَاحَةِ، فَإِنَّ إِنْسَانَ يَتَنَاوَلُ مِنْهَا، وَلَا يَحْرِمُ
نَفْسَهُ لَكِنْ مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ، فَالَّذِي يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِتَرْكِ الْمُبَاحَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ
هَذَا مُتَنَطِّعٌ، وَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ يَأْكُلُ مِمَّا يَسَّرَ اللَّهُ لَهُ، يَأْكُلُ اللَّحْمَ، وَالْفَاكِهَةَ،
وَكَانَ ﷺ يَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَيَتَطَيَّبُ بِالطَّيِّبِ، وَيَسْتَعْمِلُ الطَّيِّبَاتِ - عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -.

قَالَ: ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ كَمَا قَالَ لِلرُّسُلِ، حَيْثُ أَمَرَهُمْ بِأَمْرَيْنِ: الْأَكْلِ
مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ لِأَنَّ أَكْلَ الطَّيِّبَاتِ يُعِينُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى
بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، حَيْثُ يَتَغَذَّى الْبَدَنُ تَغْذِيَةً طَيِّبَةً وَيَنْشَطُ. وَلَيْسَ الْمُرَادُ
بِذَلِكَ أَنَّ يُعْطِيَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ كُلَّ مَا تَشْتَهِي وَيَتَكَاسَلُ عَنِ الطَّاعَةِ، هَذِهِ
طَرِيقَةُ الْبَهَائِمِ، إِنَّمَا الْإِنْسَانُ يَأْكُلُ وَيَشْكُرُ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ -، فَقَوْلُهُ: ﴿وَأَعْمَلُوا
صَالِحًا﴾ هَذَا مِنْ شُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -.

ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ ضَرَبَ مَثَلًا لِلَّذِي يَأْكُلُ الْحَرَامَ، وَيَدْعُو اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ -
- فِي حَالَةِ رَثَّةٍ، وَفِي حَالَةٍ تَقْتَضِي إِجَابَةَ دَعْوَتِهِ، فَعِنْدَهُ أَسْبَابُ لِقَبُولِ الدُّعَاءِ،
وَعِنْدَهُ مَانِعٌ مِنْ قَبُولِ الدُّعَاءِ، أَمَّا الْأَسْبَابُ فَهِيَ:

الْأَوَّلُ: «يَمُدُّ يَدَيْهِ» وَمَدُّ الْيَدَيْنِ فِي الدُّعَاءِ مِنْ أَسْبَابِ الْإِسْتِجَابَةِ، «يَمُدُّ
يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ» لِمَاذَا يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ؟ إِشَارَةً إِلَى عُلُوِّ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى -؛ لِأَنَّ اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - فِي السَّمَاءِ، وَفِي هَذَا مَشْرُوعِيَّةٌ رَفَعَ الْيَدَيْنِ فِي
الدُّعَاءِ، وَالْأَصْلُ فِي الدُّعَاءِ رَفَعُ الْيَدَيْنِ إِلَّا مَا دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ لَا تُرْفَعُ
فِيهِ الْأَيْدِي، فَلَا تُرْفَعُ.

الثاني: يَقُولُ: «يَا رَبَّ يَا رَبَّ» يَتَوَسَّلُ إِلَى اللَّهِ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَهَذَا مِنَ التَّوَسُّلِ الْمَشْرُوعِ، فَالتَّوَسُّلُ إِلَى اللَّهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ مِنْ أَسْبَابِ الْإِجَابَةِ.

الثالث: أَنَّهُ «أَشْعَثَ أَغْبَرَ» فِي حَالَةِ رَثَّةٍ، لَيْسَ عِنْدَهُ كِبَرٌ، أَمَّا الْإِنْسَانُ الْمُسْتَكْبِرُ فَإِنَّ كِبَرَهُ يَمْنَعُ قَبُولَ دُعَائِهِ، فَهَذَا عِنْدَهُ سَبَبُ الْإِجَابَةِ وَهُوَ أَنَّهُ مُتَوَاضِعٌ، وَأَيْضًا يُطِيلُ السَّفَرَ، وَالِدُّعَاءُ مِنَ الْمَسَافِرِ مَظْنَةُ الْإِجَابَةِ؛ لِأَنَّهُ بِحَاجَةٍ، فَعِنْدَهُ أَسْبَابُ الْقَبُولِ، لَكِنَّ الْمَانِعَ الَّذِي مَنَعَهُ أَبْطَلَ عَمَلَ هَذِهِ الْأَسْبَابِ، فَلَا يَكُونُ لَهَا نَتِيجَةٌ.

قَالَ: «وَمَطْعُمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِي بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابَ لِذَلِكَ» يَعْنِي: يَبْعُدُ أَنْ يُسْتَجَابَ لَهُ؛ لِأَنَّ عِنْدَهُ هَذِهِ الْمَوَانِعَ، فَالدُّعَاءُ لَا يَقْبَلُ إِلَّا إِذَا تَوَفَّرَتْ أَسْبَابُ قَبُولِهِ، وَانْتَفَتْ مَوَانِعُ الْقَبُولِ، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى التَّحْذِيرِ مِنَ الْحَرَامِ، وَهُوَ مِنْ مَفْهُومِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ﴾ فَالْحَرَامُ لَا يُؤْكَلُ، وَالْحَبِيثُ لَا يُؤْكَلُ، وَاللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - أَحَلَّ لَنَا الطَّيِّبَاتِ وَحَرَّمَ عَلَيْنَا الْحَبَائِثَ.

وَالْإِنْسَانُ الَّذِي يَدْعُو اللَّهَ يَفْعَلُ أَسْبَابَ الْإِجَابَةِ وَيَتَجَنَّبُ أَسْبَابَ مَنَعِ الْقَبُولِ، فَلَيْسَ الْمَقْصُودُ أَنَّكَ تَدْعُو فَقَطْ، بَلْ لَا بُدَّ مَعَ الدُّعَاءِ أَنْ تَعْمَلَ أَسْبَابَ الْإِجَابَةِ، وَتَتَجَنَّبَ أَسْبَابَ الْحَرَمَانِ، هَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ.

فَدَلَّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى فَوَائِدَ عَظِيمَةٍ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: أَنَّ الْعِبَادَ كُلَّهُمْ مَأْمُورُونَ - الْأَنْبِيَاءُ، وَالْمَلَائِكَةُ، وَالرُّسُلُ، وَالْمُؤْمِنِينَ، وَكُلَّ الْخَلْقِ - مَأْمُورُونَ وَمَنْهِيُونَ، فَلَا أَحَدَ يُحْدِثُ شَيْئًا

فِي دِينِ اللَّهِ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ أَبَدًا، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ ذَلِكَ.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَّةُ: فِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى إِبَاحَةِ الطَّيِّبَاتِ، وَهِيَ الْمُبَاحَاتُ
وَالْمُسْتَلَذَّاتُ الَّتِي أَبَاحَهَا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لِعِبَادِهِ، فَلَا يَأْتِ أَحَدٌ
وَيَقُولُ: مِنَ الْعِبَادَةِ تَرَكَ الْمُبَاحَاتِ، وَحَرَّمَ أَنْ النَّفْسِ. نَقُولُ لَهُ: هَذَا لَيْسَ
عِبَادَةً لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَإِنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ يَأْكُلُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَالْمُسْتَلَذَّاتِ
وَالْفَوَاحِشِ وَاللُّحُومِ، وَكَانَ يَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَكَانَ يَنَامُ، وَكَانَ يَأْخُذُ مَا أَبَاحَهُ
اللَّهُ لَهُ، وَيَتْرُكُ مَا نَهَاهُ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ الْقُدُورَةُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فَفِيهِ الرَّدُّ عَلَى مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ الزُّهْدَ هُوَ تَرْكُ الطَّيِّبَاتِ، بَلْ الزُّهْدُ هُوَ تَرْكُ
الْحَرَامِ، وَتَرْكُ فُضُولِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا يَحْتَاجُ الْإِنْسَانُ إِلَيْهَا، أَمَّا الَّذِي يَحْتَاجُهُ
الْإِنْسَانُ فَهَذَا تَرْكُهُ لَيْسَ مِنَ الزُّهْدِ، وَلَيْسَ الزُّهْدُ حَرِّمَانِ النَّفْسِ مِمَّا أَبَاحَ اللَّهُ
لَهَا.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الدُّعَاءَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا إِذَا تَوَفَّرَتْ فِي
الدَّاعِي أَسْبَابُ الْإِجَابَةِ، وَانْتَفَتْ مَوَانِعُ الْإِجَابَةِ.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْحَرَامَ يُفْسِدُ الْبَدَنَ؛ لِأَنَّهُ يُغْذِي تَغْذِيَةً
خَبِيثَةً، فَهُوَ يُفْسِدُ الْبَدَنَ مِنَ النَّاحِيَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ، وَمِنْ النَّاحِيَةِ الْحَسِّيَّةِ أَيْضًا، فَإِنَّ
هَذِهِ الْمَحْرَمَاتِ فِيهَا أَضْرَارٌ وَأَمْرَاضٌ جَسْمِيَّةٌ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا حَرَّمَهَا إِلَّا
لِأَنَّ فِيهَا ضَرَرًا، انْظُرْ مَثَلًا إِلَى الْمَيْتَةِ، فَقَدْ حَرَّمَهَا تَعَالَى لِأَنَّ فِيهَا مِنْ أَضْرَارٍ
وَأَمْرَاضٍ، وَكَذَلِكَ الْخَمْرُ وَالْمُخَدَّرَاتُ وَالِدُّخَانُ وَالْقَاتُ، كُلُّهَا أَضْرَارٌ
جَسْمِيَّةٌ، وَأَضْرَارٌ دِينِيَّةٌ، وَلَيْسَ لِلْعِبَادِ فِيهَا مَصْلَحَةٌ بَتَّةً، اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا
أُضْطُرَّ الْإِنْسَانُ ضَرُورَةً خَشِيَ الْمَوْتَ فَلَهُ أَنَّهُ يَأْكُلُ مِنَ الْمَيْتَةِ بِقَدْرِ مَا يُبْقِي
عَلَيْهِ حَيَاتَهُ، وَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ رُخْصَةً مُبَاحَةً بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ، وَفِي هَذِهِ

الحَالَةُ ، إِذَا أَكَلَ مِنَ الْمَيْتَةِ لَا يَتَضَرَّرُ بِهَا ، أَمَّا إِذَا أَكَلَ مِنْهَا فِي غَيْرِ الضَّرُورَةِ فَإِنَّهُ يَتَضَرَّرُ بِهَا ، مَعْنَوِيًّا وَحِسِّيًّا .

فَالْحَاصِلُ : أَنَّ هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ ، وَمَنْهَجٌ يَسِيرٌ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُ فِي حَيَاتِهِ .



الحديث الحادي عشر

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سِبْطِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرِيحَانَتِهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «دَعُ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ». [رواهُ التِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ» (١)].

هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ابْنَا فَاطِمَةَ بِنْتِ الرَّسُولِ ﷺ؛ وَلِهَذَا قَالَ: «سِبْطِ الرَّسُولِ ﷺ» السَّبْطُ: مَعْنَاهُ ابْنُ الْبِنْتِ، وَأَمَّا الْحَفِيدُ: فَمَعْنَاهُ ابْنُ الْإِبْنِ. قَوْلُهُ: «وَرِيحَانَتِهِ» أَيُّ: رِيحَانَةُ الرَّسُولِ ﷺ، وَالرَّيْحَانَةُ: هِيَ الزَّهْرَةُ الَّتِي لَهَا رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ^(٢)، فَهَذَا وَصْفٌ لِلْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ طَيِّبٌ، جَمَلَهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي خَلْقِهِ وَفِي خُلُقِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ عَنْهُ الرَّسُولُ ﷺ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَسَيُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»^(٣) وَصَفَهُ بِأَنَّهُ سَيِّدٌ، وَالسَّيِّدُ مَعْنَاهُ الرَّئِيسُ وَالْمُعَظَّمُ وَذُو الْقَدْرِ وَالْمَكَانَةِ، وَهُوَ كَذَلِكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ مِنْ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَلِأَنَّهُ فِي نَفْسِهِ طَيِّبٌ، طَيِّبُ الْخُلُقِ، وَطَيِّبُ الدِّينِ، وَطَيِّبُ الْأَعْمَالِ، وَمِنْ مَزَايَاهُ مَا جَرَى عَلَى يَدِهِ مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ حَقْنِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، لَمَّا بُويعَ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ مَقْتَلِ أَبِيهِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ أَهْلِ الشَّامِ فِي

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٨)، والنسائي (٥٧١١).

(٢) انظر: لسان العرب (٢/٤٦٠).

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٠٤)، (٣٦٢٩)، (٣٧٤٦)، (٧١٠٩) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حَرْبٍ مَعَ عَلِيٍّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ، قَامَتْ حَرْبٌ بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، طَائِفَةٌ يَتَزَعَّمُهَا عَلِيٌّ رضي الله عنه، وَطَائِفَةٌ يَتَزَعَّمُهَا مُعَاوِيَةُ رضي الله عنه، بِسَبَبِ مَقْتَلِ عُثْمَانَ رضي الله عنه، فَقَدْ فَتَحَ مَقْتُلُ عُثْمَانَ رضي الله عنه عَلَى الْمُسْلِمِينَ بَابًا لَا يَزَالُ إِلَى الْآنَ وَالْمُسْلِمُونَ يُعَانُونَ مِنْهُ، وَهُوَ بَابُ الْفِتْنَةِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، فَلَمَّا رَأَى الْحَسَنُ رضي الله عنه أَنَّ الْأَمْرَ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ، وَأَنَّ الْحَرْبَ قَائِمَةٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، تَنَازَلَ عَنْ الْخِلَافَةِ لِمُعَاوِيَةَ رضي الله عنه؛ لِأَجْلِ حَقِّنِ الدِّمَاءَ، وَسُمِّيَ هَذَا الْعَامُ عَامَ الْجَمَاعَةِ؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ اجْتَمَعُوا فِيهِ، وَهَذَا بِفَضْلِ اللَّهِ، ثُمَّ بِفَضْلِ الْحَسَنِ رضي الله عنه، فَتَحَقَّقَتْ فِيهِ بِشَارَةُ الرَّسُولِ صلَّى الله عليه وآله وسلم.

قَالَ: «حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله وسلم: دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ»، «دَعْ» يَعْنِي: اتْرُكْ، «مَا يَرِيبُكَ» يَعْنِي: مَا تَشْكُ فِيهِ، مِنَ الرَّيْبِ وَهُوَ الشَّكُّ، «إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ» إِلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَكَ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا مَشْكُوكٌ فِيهِ، وَالثَّانِي لَيْسَ فِيهِ شَكٌّ، تَأْخُذُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ شَكٌّ، وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ صلَّى الله عليه وآله وسلم فِيمَا سَبَقَ: «فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ» ^(١).

فَقَوْلُهُ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ» أَيُّ: اتْرُكْ مَا تَشْكُ فِيهِ «إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ» إِلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ شَكٌّ؛ لِأَجْلِ أَنْ تَرْتَاحَ نَفْسُكَ وَتَبْعُدَ عَنِ الرَّيْبِ، فَإِنَّكَ إِذَا أَخَذْتَ بِالْمَشْكُوكِ فِيهِ لَا تَزَالُ نَفْسُكَ فِي قَلَقٍ وَفِي حَيْرَةٍ، وَإِذَا أَخَذْتَ بِغَيْرِ الْمَشْكُوكِ فِيهِ اطمأنَّتْ نَفْسُكَ، وَارْتَاحَ ضَمِيرُكَ.

فَإِذَا شَكَّكَتَ فِي مَالٍ هَلْ هُوَ حَرَامٌ أَوْ حَلَالٌ، وَهُنَاكَ مَالٌ آخَرُ تَيَقَّنْتَ أَنَّهُ

حَلَالٌ، خُذِ الْيَقِينَ وَاتْرُكِ الشَّكَّ، كَذَلِكَ إِذَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ طَعَامٌ بِأَنَّهُ حَلَالٌ،
وَطَعَامٌ آخَرُ لَيْسَ فِيهِ شَكٌّ أَنَّهُ حَلَالٌ، تَأْكُلُ مِنَ الْحَلَالِ الْبَيِّنِ وَتَتْرُكُ الْمَشْكُوكَ
فِيهِ. وَإِذَا اشْتَبَهَتْ عَلَيْكَ امْرَأَةٌ هَلْ تَحْرُمُ عَلَيْكَ بَرَضَاعٌ أَوْ لَا تَحْرُمُ؟ اتْرُكْهَا
وَتَزَوَّجِ الْمَرْأَةَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَكٌّ. وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ الدِّينِ.



الحديث الثاني عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حُسِّنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ تَرَكَّهُ مَا لَا يَعْنِيهِ» حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ هَكَذَا (١).

هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَالْحَدِيثُ الْحَسَنُ: هُوَ مَا دُونَ مَرْتَبَةِ الصَّحِيحِ، وَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ يُدْخِلُهُ فِي الصَّحِيحِ وَيَجْعَلُهُ مِمَّا يُحْتَجُّ بِهِ، لَكِنَّ الصَّحِيحَ أَرْفَعُ مِنْهُ مِنْ حَيْثُ ضَبْطُ الرَّاوي، وَأَمَّا الْحَسَنُ فَقَدْ يَكُونُ فِي رَاوِيهِ خِفَةُ الضَّبْطِ، وَهَذَا يُنْزِلُهُ عَنْ مَرْتَبَةِ الصَّحِيحِ، وَإِلَّا فَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الصَّحِيحِ، وَبَعْدَهُ الْحَدِيثُ الضَّعِيفُ (٢).

قَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ حُسِّنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ» أَيِ مِنْ تَمَامِ دِينِهِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الدِّينَ يَكُونُ تَامًّا، وَيَكُونُ نَاقِصًا بِحَسَبِ تَصَرُّفَاتِ صَاحِبِهِ، وَالْمُسْلِمُ يَهْتَمُّ

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦)، وابن حبان في صحيحه (٤٦٦/١).

(٢) قال ابن الصلاح: (الحسن قسمان:

أحدهما: ما لا يخلو إسناده من مستور لم تتحقق أهليته، وليس مغفلاً كثير الخطأ، ولا ظهر منه سبب مفسق، ويكون متن الحديث معروفاً برواية مثله أو نحوه من وجه آخر.

الثاني: أن يكون راويه مشهوراً بالصدق والأمانة، ولم يبلغ درجة الصحيح لقصوره في الحفظ والإتقان، وهو مرتفع عن حال من يعد تفرد منكرًا).

وقال ابن جماعة: (الحسن: كل حديث خالٍ من العلل، وفي سنده المتصل مستور، له به شاهد أو مشهور، قاصر عن درجة الإتقان).

انظر: المنهل الروي (ص ٣٥)، وفتح المغيث للسخاوي (١/٧٨)، وفتح المغيث للعراقي (ص ٣٢)، وتدريب الراوي (ص ١٥٨)، وقواعد التحديث (ص ١٠٢).

بِإِكْمَالِ دِينِهِ وَيَحْذَرُ مِمَّا يُنْقِصُهُ.

قَوْلُهُ ﷺ: «تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ» وَمِمَّا يُنْقِصُ دِينَ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ يَتَدَخَّلُ فِي مَا لَيْسَ مِنْ شُؤُونِهِ وَمَا لَيْسَ مِنْ اخْتِصَاصِهِ، وَلَمْ يُوَكَّلْ إِلَيْهِ، لَا مِنْ نَاحِيَةِ الشَّرْعِ، وَلَا مِنْ نَاحِيَةِ الْخَلْقِ، وَالَّذِي يَنْبَغِي عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَغْتَنِيَ بِدِينِهِ وَلَا يَغْتَنِيَ بِمَا لَيْسَ لَهُ فِيهِ فَائِدَةٌ، أَوْ لَيْسَ مُكَلَّفًا بِالْبَحْثِ فِيهِ، فَبِذَلِكَ يَسْتَرِيحُ وَيُرِيحُ النَّاسَ أَيْضًا، فَلَوْ أَنَّ النَّاسَ سَلَكَوا هَذَا الْمَسْلَكَ الْعَظِيمَ لَحَصَلَ الْوِثَامُ وَالْوِفَاقُ وَالْمَحَبَّةُ، وَلَكِنْ يَأْتِي بَعْضُ الْفُضُولِيِّينَ فَيَتَدَخَّلُ فِي أَشْيَاءَ لَيْسَتْ مِنْ اخْتِصَاصِهِ، وَلَيْسَ مُكَلَّفًا بِالْبَحْثِ فِيهَا، فَيَسْأَلُ أَسْئَلَةً كَثِيرَةً لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهَا، مِثْلَ: الْبَحْثِ فِي الْوَقَائِعِ وَالْحَوَادِثِ الَّتِي وَقَعَتْ، وَهُوَ لَيْسَ مُؤَهَّلًا أَوْ لَيْسَ مُكَلَّفًا، إِمَّا أَنَّهُ لَيْسَ مُؤَهَّلًا لِإِذْرَاكِ أَحْكَامِهَا وَمَقَاصِدِهَا، أَوْ أَنَّهُ مُؤَهَّلٌ وَلَكِنَّهُ غَيْرُ مُكَلَّفٍ بِهَذَا الشَّيْءِ، وَكَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ خَاصًّا بِأَهْلِ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ. وَمِنْ ذَلِكَ مَا يَدُورُ بَيْنَ السَّبَابِ وَبَيْنَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فِي الْمَجَالِسِ مِنْ تَنَاوُلِ أُمُورٍ تَحْدُثُ وَتَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ مِنْ قَبْلِ وُلاَةِ الْأُمُورِ وَالْعُلَمَاءِ وَأَهْلِ الشَّأْنِ، ثُمَّ يَتَدَخَّلُ فِيهَا مَنْ لَا يُحْسِنُهَا وَلَيْسَ مُكَلَّفًا بِالْدُّخُولِ فِيهَا، وَالْدُّخُولُ فِيهَا يُفْضِي إِلَى حُدُوثِ بَلْبَلَةٍ وَسُوءِ فَهْمٍ، أَوْ يُشِيعُ الْمَخْطُورَ بَيْنَ النَّاسِ، وَكَانَ الْمَفْرُوضُ أَنَّهُ يُسْتَرُّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ [النِّسَاءُ: ٨٣]، أَيْ: نَشَرُوهُ ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ﴾ الرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ فِي حَيَاتِهِ الرَّدُّ إِلَيْهِ شَخْصِيًّا، أَمَّا بَعْدَ وَفَاتِهِ فَإِنَّ الرَّدَّ يَكُونُ إِلَى سُنَّتِهِ، وَهَذَا مِنْ شَأْنِ الْعُلَمَاءِ هُمْ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ الرَّدَّ إِلَى سُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ، ﴿وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَمِنْ السَّاسَةِ وَالْقَادَةِ وَأَصْحَابِ السِّيَاسَةِ الَّذِينَ يُمَارِسُونَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ، وَيَصْدُرُونَ فِيهَا عَنْ رَأْيٍ، وَيَكُونُ

لِتَدْخُلَهُمْ فِيهَا فَائِدَةٌ وَحُلُولٌ. أَمَّا الْإِنْسَانُ الْعَادِيُّ الَّذِي لَيْسَ مُؤَهَّلًا وَلَا مُكَلَّفًا فَإِنَّ دُخُولَهُ فِيهَا يُفْسِدُهَا، وَيُحْدِثُ التَّشْكِيكَ بَيْنَ النَّاسِ فِي أَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَأَهْلِ الرَّأْيِ، وَأَهْلِ الْمَشُورَةِ، وَقَدْ يَخُوضُ فِي أَهْلِ الْعِلْمِ وَوُلاةِ الْأُمُورِ، وَيَدَّعِي أَنَّهُمْ لَا يُحْسِنُونَ وَأَنَّهُمْ وَأَنَّهُمْ، وَيَشِيعُ ذَلِكَ بَيْنَ النَّاسِ، كَمَا هُوَ الْوَاقِعُ الْآنَ، وَهَذَا مِنْ نَقْصِ دِينِ الْإِنْسَانِ.

فَيَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَخَافَ عَلَى دِينِهِ، فَلَا يَدْخُلُ فِي شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ وِرَائِهِ مَصْلَحَةٌ لَا لَهُ وَلَا لِغَيْرِهِ، بَلْ يَكُونُ مَفْسَدَةً، فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَذَكَّرَ هَذَا الْحَدِيثَ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ مِنْهَا جَا لَهْ فِي حَيَاتِهِ، فَمَا كَانَ يَغْنِيهِ، وَهُوَ مُكَلَّفٌ بِهِ، وَيُحْسِنُ الدُّخُولَ فِيهِ، وَيَتَرَتَّبُ عَلَى دُخُولِهِ فِيهِ مَنَفَعَةٌ، عَلَيْهِ أَنْ يَتَدْخَلَ، وَمَا كَانَ لَا يُحْسِنُهُ، أَوْ لَا يُجِدِي دُخُولُهُ فِيهِ، وَلَيْسَ مُكَلَّفًا أَنْ يَدْخَلَ فِيهِ، وَلَيْسَ مِنْ شُؤُونِهِ، فَعَلَيْهِ تَجَنُّبُهُ، وَإِذَا كَانَ يُرِيدُ خَيْرًا فَإِنَّهُ يُبْلِغُ الْمَسْئُولِينَ وَأَهْلَ الْعِلْمِ بِمَا يَحْدُثُ وَبِمَا يَلْتَمِسُ لَهُ الْحُلُولَ، فَيَكُونُ مُجَرَّدَ نَاصِحٍ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ، وَيَرُدُّ الْأُمُورَ إِلَى أَهْلِهَا، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النِّسَاءُ:

٨٣]، فَيَرُدُّ الْأَمْرَ إِلَى أَهْلِهِ، أَمَّا هُوَ فَلَا يَتَدْخَلُ فِيهِ بِحُكْمٍ وَهُوَ لَيْسَ مِنْ شُؤُونِهِ، وَلَيْسَ لِتَدْخُلِهِ فِيهِ فَائِدَةٌ.

فَهَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ، وَمَنْهَجٌ قَوِيمٌ، لَوْ سَارَ عَلَيْهِ كُلُّ مُسْلِمٍ لِحَصْلِ فِي ذَلِكَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ، وَانْحَلَّتِ الْمَشَاكِلُ، وَتَأَلَّفَتِ الْقُلُوبُ، وَتَعَاوَنَ الْمُسْلِمُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، لَكِنْ إِذَا صَارَتِ الْأُمُورُ فَوْضَى، وَكُلُّ يَتَدْخَلُ فِيهَا لَا يَغْنِيهِ، حَصَلَ فِي ذَلِكَ الْفَسَادُ وَالشَّرُّ، وَاخْتِلَافُ الرَّأْيِ، وَعَدَمُ الثِّقَةِ بِأَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ وَالْمَسْئُولِينَ، ثُمَّ تَنْتَشِرُ الْفَوَاضِي بَيْنَ النَّاسِ، وَهَذَا هُوَ وَاقِعٌ كَثِيرٌ مِنْ

النَّاسِ الْيَوْمَ، تَجِدُهُمْ حَتَّى فِي مَسَائِلِ الْعِلْمِ الصَّعْبَةِ الَّتِي لَا يُحْسِنُ الدُّخُولَ
فِيهَا إِلَّا كِبَارُ الْعُلَمَاءِ وَالْأَئِمَّةِ، تَجِدُ صِغَارَ الطُّلَّابِ وَالْمُتَعَالِمِينَ يَتَدَخَّلُونَ فِيهَا،
وَيُحِلُّونَ، وَيُحَرِّمُونَ، وَيُفْتُونَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَبِغَيْرِ بَصِيرَةٍ.
فَيَجِبُ أَنْ يُتَّخَذَ هَذَا الْحَدِيثُ مَنْهَجًا وَمَسْلَكًا لِكُلِّ مُسْلِمٍ، مُتَعَلِّمًا كَانَ
أَوْ جَاهِلًا.



الحديث الثالث عشر

عَنْ أَبِي حَمْزَةَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ خَادِمِ النَّبِيِّ ﷺ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ^(١).

قَوْلُهُ: «عَنْ أَبِي حَمْزَةَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ خَادِمِ النَّبِيِّ ﷺ» أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ خَادِمُ النَّبِيِّ ﷺ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ هَرَبَ مَالِكُ أَبُو أَنَسٍ مِنَ الْمَدِينَةِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَبْغِضُ الرَّسُولَ ﷺ، فَهَرَبَ إِلَى الشَّامِ وَمَاتَ هُنَاكَ كَافِرًا، وَكَانَ أَنَسٌ ﷺ طِفْلاً صَغِيرًا، فَجَاءَتْ بِهِ أُمُّهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَتْ: هَذَا أَنَسٌ يَخْدُمُكَ. فَتَقَبَّلَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَرَبَّاهُ، وَدَعَا لَهُ بِقَوْلِهِ: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ»^(٢)، وَصَارَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ؛ خَدَمَهُ عَشْرَ سِنِينَ مِنْ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ، وَحَازَ بِذَلِكَ فَضِيلَةً عَظِيمَةً، وَتَرَبَّى عَلَى يَدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَهَذَا مِنْ حُسْنِ تَصَرُّفِ أُمِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قَوْلُهُ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ» أَيُّ: لَا يَكْمُلُ إِيْمَانُهُ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ نَفْيِ أَصْلِ الْإِيْمَانِ^(٣)، «حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» يَعْنِي: مَنْ لَمْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ يَكُونُ إِيْمَانُهُ نَاقِصًا، وَلَيْسَ الْمُرَادُ هُنَا أَخَاهُ مِنَ النَّسَبِ، بَلْ الْمُرَادُ بِهِ (أَخِيهِ) كُلُّ مُسْلِمٍ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِخْوَةٌ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، (٧١).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٨٢، ٦٣٣٤، ٦٣٤٤)، ومسلم (٢٤٨٠، ٢٤٨١) من حديث أنس وأمه

أم سليم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) انظر كتاب الإيْمَان الكبير ضمن مجموع الفتاوى (٧/٢٥٧-٢٥٨).

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحُجُرَاتِ: ١٠]، فَيُحِبُّ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ وَجَسَدٌ وَاحِدٌ، يَتَأَلَّمُ بَعْضُهُمْ لِأَلَمِ الْبَعْضِ، وَيَفْرَحُ بَعْضُهُمْ لِفَرَحِ الْبَعْضِ، وَيَتَبَادَلُونَ الْمَنَافِعَ بَيْنَهُمْ، وَيَكْفُونَ الْأَذَى عَنْ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ، هَذَا شَأْنُ الْمُسْلِمِينَ.

وَمِنْ لَازِمِ قَوْلِهِ ﷺ: «حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» أَنْ يَكْرَهُ الْمُسْلِمُ لِأَخِيهِ مَا يَكْرَهُهُ لِنَفْسِهِ، فَكَمَا أَنَّكَ تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ الشَّرَّ وَالضَّرَرَ، فَإِنَّكَ تَكْرَهُهُ أَيْضًا لِأَخِيكَ، فَلَا تَتَنَاوَلْهُ بِشَرٍّ، وَلَا تَضُرُّ بِهِ، وَلَا تَغُشُّهُ، وَلَا تَخُونُهُ؛ لِأَنَّكَ تَكْرَهُ هَذِهِ الْأُمُورَ لِنَفْسِكَ، فَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِ الرَّسُولِ ﷺ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ إِيْمَانٍ مَنْ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، وَمَنْ فَقَدَهَا فَإِنَّ إِيْمَانَهُ يَكُونُ نَاقِصًا، فَفِيهِ الْحَثُّ عَلَى الْمُوَاخَاةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَعَلَى تَبَادُلِ النَّفْعِ الْمَعْنَوِيِّ وَالْمَادِّيِّ، النَّفْعِ الْمَعْنَوِيِّ: بِالتَّنَاصُحِ، وَالتَّعْلِيمِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْمَادِّيِّ: بِمُسَاعَدَتِهِ إِذَا أَحْتَاجَ مَالًا، وَلَيْسَ ذَلِكَ الْحَدِيثُ مَقْصُورًا عَلَى أَنْ تُعْطِيَ أَخَاكَ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ، فَهَذَا مَطْلُوبٌ، وَلَكِنْ لَيْسَ هَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ وَحْدَهُ، بَلْ هُنَاكَ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ، أَنَّكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عَلَى مَعْصِيَةٍ تَنْهَاهُ وَتَنْصَحُهُ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ؛ لِأَنَّكَ تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ هَذَا الشَّيْءَ فَتَكْرَهُهُ لِأَخِيكَ، وَتُعَلِّمُهُ إِذَا رَأَيْتَ عَلَيْهِ جَهْلًا فِي أُمُورِ دِينِهِ وَتُبَيِّنُ لَهُ وَتُرْشِدُهُ، هَذَا أَعْظَمُ مِنْ بَذْلِ الْمَالِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَسُودَ هَذَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

الحديث الرابع عشر

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِأَحَدٍ ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمَفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ ^(١).

جَاءَ الْإِسْلَامُ بِالضَّرُورَاتِ الْخَمْسِ، وَهِيَ:

- * حِفْظُ الدِّينِ: بِقَتْلِ الْمُرْتَدِّ الَّذِي يَتَلَاَعَبُ بِالدِّينِ.
- * حِفْظُ الْعَقْلِ: بِحِفْظِهِ مِنْ كُلِّ مَا يَضُرُّهُ مِنَ الْمُسْكِرَاتِ وَالْمُخَدَّرَاتِ.
- * حِفْظُ النَّفْسِ: بِالْقِصَاصِ مِنَ الْقَاتِلِ.
- * حِفْظُ الْمَالِ: بِقَطْعِ يَدِ السَّارِقِ، وَقَاطِعِ الطَّرِيقِ.
- * وَحِفْظُ الْعِرْضِ: بِجَلْدِ الْقَاذِفِ الَّذِي يَقْذِفُ الْمُسْلِمَ بِالزَّانَا، أَوْ فِعْلِ الْفَاحِشَةِ فَإِنَّهُ يُجْلَدُ ثَمَانِينَ جَلْدَةً، إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ بِأَرْبَعَةِ شُهُودٍ يُشْبِتُونَ مَا يَقُولُ، وَإِلَّا فَإِنَّهُ يُجْلَدُ، وَهَذَا حِفْظٌ لِأَعْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ، وَفِيهِ حِفْظُ النَّسْلِ؛ لِأَنَّ الزَّانَا يَخْلِطُ الْأَنْسَابَ، وَيُسَبِّبُ الْأَمْرَاضَ، وَيَذْهَبُ بِالْحَيَاءِ، فَخَطَرُهُ عَظِيمٌ.

فَهَذِهِ الضَّرُورَاتُ جَاءَ الْإِسْلَامُ بِحِفْظِهَا؛ وَلِهَذَا قَالَ صلى الله عليه وسلم فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ» فَمَنْ شَهِدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنَّهُ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ وَحَرَّمَ دَمُهُ وَمَالُهُ، كَمَا قَالَ صلى الله عليه وسلم: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ

وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ» (١) فَمَنْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ قَبْلَنَا، وَاحْتَرَمَنَا دَمَهُ وَعِرْضَهُ وَمَالَهُ، وَصَارَ أَخًا لَنَا، فَلَا يَجُوزُ التَّعَدِّي عَلَيْهِ، إِلَّا إِذَا ارْتَكَبَ أَحَدَ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ، فَإِنَّهُ يَحِلُّ دَمُهُ وَلَوْ كَانَ مُسْلِمًا حِفْظًا لِلضَّرُورَاتِ، وَهَذِهِ الْأُمُورُ هِيَ:

الأوَّلُ: «النَّفْسُ بِالنَّفْسِ» وَالْقِصَاصُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ﴿كُتِبَ﴾ يَعْنِي فُرِضَ، فَالْقِصَاصُ فُرْضٌ إِذَا طَالَبَ بِهِ الْمَجْنِي عَلَيْهِ أَوْ وَلِيُّهُ، وَيَجِبُ عَلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ أَنْ يُنْفِذَ الْقِصَاصَ حِفْظًا لِلدِّمَاءِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْآلِبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

فَإِذَا تُرِكَ الْقِصَاصُ سُفِكَتِ الدِّمَاءُ، وَانْتَشَرَ الْخَوْفُ وَالرُّعْبُ فِي الْمُجْتَمَعِ، أَمَّا إِذَا قُتِلَتْ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ ظَالِمَةٌ ارْتَدَعَ الْجَمِيعُ، وَأَمِنَ الْمُجْتَمَعُ، وَحُقِنَتِ الدِّمَاءُ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْإِسْلَامِ، أَمَّا أَنْظِمَةُ الْكُفْرِ وَالْأَنْظِمَةُ الْبَشَرِيَّةُ فَإِنَّهَا تَمْنَعُ الْقَتْلَ وَتَحْمِي الظَّالِمَ وَالْمُعْتَدِي وَتُسَاعِدُهُ، وَلَا تَرْحَمُ الْمَجْنِيَّ عَلَيْهِ، وَلَا تَرْحَمُ الْمُجْتَمَعِ، وَإِنَّمَا تَرْحَمُ الظَّالِمَ الْمُعْتَدِي وَتَحْمِيهِ، وَغَايَةُ مَا يَعْمَلُونَ مَعَهُ أَنَّهُمْ يَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالسَّجْنِ خَمْسَمِائَةِ سَنَةٍ أَوْ أَرْبَعَمِائَةِ سَنَةٍ أَوْ مَدَى الْحَيَاةِ، ثُمَّ يَعْفُونَ عَنْهُ وَيُخْرِجُونَهُ، فَهُمْ يُشِيعُونَ فَقَطْ أَنَّهُمْ حَكَمُوا عَلَيْهِ بِهَذَا الْحُكْمِ، وَأَمَّا التَّنْفِيزُ فَلَيْسَ هُنَاكَ تَنْفِيزٌ، وَلَوْ نُفِّذَ فَإِنَّهُ لَا يَكْفِي، بَلْ لَا بُدَّ مِنَ الْحِسْمِ، وَالْقِصَاصِ مِنْهُ بِقَتْلِهِ، وَهَذَا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -.

الثاني: «الثيب الزاني» الثيب: الذي وطئ امرأته المسلمة أو الذميمة في نكاح صحيح، فإنه صار مُحْصَنًا بهذا الزواج، فإذا زنى بعد ذلك الزواج صار من المفسدين في الأرض، لأنه أدرك حرمة الأعراض، وجرب الزواج، فليس له عذر في تعديه، وعنده ما يُغنيه بالنكاح الصحيح الشرعي المفيد، فإذا زنى فهذا دليل على خبيثه، وأنه يريد الشر والفساد، فهذا يُستباح دمه، ويُقتل بكيفية خاصة وهي الرجم، بأن يُرجم بالحجارة حتى يموت.

وهذا مُتَوَاتِرٌ في القرآن والسنة وعمل المسلمين، وهو حد من حدود الله عز وجل، ولا يكفي أنه يُقتل بالسيف، بل لابد أن يُرجم، وفي مجمع الناس علانية، من أجل أن يرتدع الباؤون، وهذا من محاسن الإسلام، وحمايته للأعراض، وحفظاً للفروج، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥]، ففيه حماية للنسل، ووقاية المجتمع من الأمراض الفتاكة بسبب الاستمتاع غير الحلال.

وقد اشتهر أمر هذه الأمراض في العصر الحديث، وظهرت إحصائيات عن مرض الإيدز الذي أصاب المجتمعات التي تشيع فيها فاحشة الزنا واللواط، ويموت الملايين الآن من البشر بسبب هذه الجريمة الفظيعة؛ ولهذا يقول -جل وعلا-: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ﴾ ^ط إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿[الإسراء: ٣٢]، قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ﴾ ^ط وَلَمْ يَقُلْ: لَا تَزْنُوا فَقَطْ. وَمَعْنَى ذَلِكَ: اتْرُكُوا الأسباب التي توصل إلى الزنا؛ من النظر، وسفر المرأة بدون محرم، وتبرج النساء وسفورهن واختلاطهن بالرجال، هذه أسباب

لِلزُّنَا، وَكُلُّهَا نَهَى عَنْهَا الشَّارِعُ سَدًّا لِذَرِيعَةِ الْوُقُوعِ فِي الْفَاحِشَةِ.

الثَّالِثُ: «التَّارِكُ لِدِينِهِ» وَهُوَ الْمُرْتَدُّ، قَالَ ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»^(١)؛ لِأَنَّهُ شَهِدَ وَاعْتَرَفَ أَنَّ هَذَا الدِّينَ حَقٌّ، وَدَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ، ثُمَّ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ وَاقْتِنَاعِهِ يَرْتَدُّ، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى فَسَادِهِ، فَهَذَا يُقْتَلُ حَدًّا حِمَايَةً لِلدِّينِ مِنَ التَّلَاعِبِ، وَسَدًّا لِمَطَرِيقِ الْمُفْسِدِينَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ صَرْفَ النَّاسِ عَنِ الدِّينِ؛ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يَدْخُلُ فِي الْإِسْلَامِ ظَاهِرًا، ثُمَّ يَرْتَدُّ؛ لِيَقُولَ النَّاسُ: لَمْ يَرْتَدِّ إِلَّا لِأَنَّهُ رَأَى أَنَّ الدِّينَ لَيْسَ فِيهِ صَلَاحِيَّةٌ؛ لِأَنَّ هَذَا الَّذِي ارْتَدَّ مِنْهُ الْمُفَكِّرِينَ، وَمِنْ الْمُدْرِكِينَ لِلْأُمُورِ، وَلَوْ أَنَّهُ رَأَى فِي هَذَا الدِّينِ خَيْرًا لَمَا ارْتَدَّ. هَكَذَا يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَضِعَافُ الْإِيمَانِ، فَإِذَا قُتِلَ فَإِنَّ النَّاسَ يَحْتَرِمُونَ الدِّينَ، وَيَتَوَقَّفُونَ عَنِ التَّلَاعِبِ بِهِ.

وَقَوْلُهُ: «الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»، قِيلَ: هُوَ الَّذِي يُخْرَجُ عَلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ وَيُفَارِقُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَيُرَادُ بِذَلِكَ الْخَوَارِجُ، وَالْبُغَاةُ، وَمَنْ شَقَّ عَصَا الطَّاعَةِ، وَخَرَجَ عَلَى الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّهُ يُقَاتَلُ دَفْعًا لِسُرِّهِ، وَإِذَا قُتِلَ بِالْقِتَالِ وَالْجِهَادِ فَإِنَّ قَتْلَهُ مَاذُونٌ بِهِ شَرْعًا؛ لِأَنَّهُ صِيَانَةٌ لِلدِّينِ مِنَ التَّلَاعِبِ، وَصِيَانَةٌ لِاجْتِمَاعِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا هُوَ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ.

فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْمُسْلِمَ يَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ، وَلَا يُفَارِقُهُمْ فَإِنْ فَارَقَهُمْ اسْتَحَقَّ الْقَتْلَ، حِمَايَةً لِلْأَمْنِ وَاجْتِمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَحِمَايَةً لِلْكَلِمَةِ

مِنَ التَّلَاعُبِ وَالْفَسَادِ الَّذِي يُسَمُّونَهُ حُرِّيَّةَ الرَّأْيِ، وَقَدْ كَفَلَ الْإِسْلَامُ حُرِّيَّةَ
الرَّأْيِ بِالْحَقِّ، بِأَنْ يَعْمَلَ الْمُسْلِمُ عَلَى إِظْهَارِ الْحَقِّ، وَلَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً
لَّائِمَةً، أَمَّا حُرِّيَّةُ الرَّأْيِ بِنَصْرِ الْبَاطِلِ، وَتَرْكِ الدِّينِ، وَالطَّعْنِ فِيهِ، وَسَبِّ أَهْلِ
الْخَيْرِ، فَهَذِهِ حُرِّيَّةٌ بَاطِلَةٌ وَمُفَارَقَةٌ لِلْجَمَاعَةِ.



الحديث الخامس عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْنَمْتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ». [رواه البخاري ومسلم] ^(١).

هَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ بَيَانٌ بَعْضِ خِصَالِ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ لَهُ خِصَالٌ وَلَهُ شُعَبٌ كَثِيرَةٌ، وَكُلُّ أَعْمَالِ الْخَيْرِ وَكُلُّ الطَّاعَاتِ وَالْقُرْبَاتِ كُلُّهَا مِنَ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَاعْتِقَادٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، فَالْأَعْمَالُ سَوَاءٌ كَانَتْ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ؛ كَالْخَوْفِ وَالْحَشْيَةِ وَالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ، أَوْ مِنْ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ؛ كَالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَالصَّدَقَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، كُلُّهَا مِنْ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ دَاخِلَةٌ فِيهِ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانٌ شَيْءٍ مِنْهَا.

قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» الْأَصْلُ هُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، «وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» الَّذِي هُوَ الْبَعْثُ وَالنُّشُورُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّ مَنْ آمَنَ بِالْبَعْثِ فَإِنَّهُ يَسْتَعِدُّ لَهُ، وَمُجَرَّدُ الْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ دُونَ الْإِسْتِعْدَادِ لَهُ لَا يُفِيدُ شَيْئًا، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَسْتَعِدَّ الْعَبْدُ لِلْبَعْثِ، فَيُكْثِرُ مِنَ الْحَسَنَاتِ، وَيُتَوَبُّ عَنِ السَّيِّئَاتِ، قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ وَيُبْعَثَ.

هَذَا وَجْهُ ذِكْرِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ مَعَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِلَّا فَأَرْكَانُ الْإِيمَانِ سِتَّةٌ - كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ - آخِرُهَا الْإِيمَانُ بِالْبَعْثِ، وَلَكِنَّهُ ذَكَرَهُ

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

مَعَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَأْكِيدًا لَهُ، وَلِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا آمَنَ أَنَّهُ سَيُبْعَثُ وَيُحَاسَبُ وَيُجَازَى، فَإِنَّهُ يَهْتَمُّ وَيَسْتَعِدُّ، وَيُقِيمُ بَقِيَّةَ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، وَغَيْرَهَا مِنْ الْوَاجِبَاتِ، وَيَجْتَنِبُ الْمُحَرَّمَاتِ.

قَالَ: «فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ»؛ فَإِنَّ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالِاسْتِعْدَادِ لَهُ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ خَيْرًا أَوْ يَصُمْتُ، فَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هَذَا اللِّسَانَ فِي هَذَا الْإِنْسَانِ، وَعَلَّمَهُ النُّطْقَ وَالْبَيَانَ نِعْمَةً مِنْهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِنَ الْجَوَامِدِ الَّتِي لَا تَنْطِقُ، أَوْ مِنَ الْبَهَائِمِ، أَوْ مِنَ الصُّمِّ وَالْبُكْمِ الْمُعْطَلِينَ عَنِ الْكَلَامِ، بَلْ مَنْنَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِهَذَا النُّطْقِ، وَهَذَا اللِّسَانِ.

وَهَذَا اللِّسَانُ سِلَاحٌ ذُو حَدَّيْنِ: إِنْ اسْتَعْمَلْتَهُ فِي الْخَيْرِ جَنَى لَكَ خَيْرًا، وَأَثْمَرَ لَكَ خَيْرًا، وَإِنْ اسْتَعْمَلْتَهُ فِي الشَّرِّ جَنَى عَلَيْكَ شَرًّا وَإِثْمًا، وَذَلِكَ بِحَسَبِ مَا تَنْطِقُ بِهِ، وَلِأَهَمِّيَةِ الْكَلَامِ وَكَلَّ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مَلَكَئِنِ عَنْ يَمِينِ الْإِنْسَانِ وَشِمَالِهِ مُلَازِمَيْنِ لَهُ، يَكْتُبَانِ مَا يَقُولُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، يَكْتُبَانِ مَا يَتَلَفَّظُ بِهِ^(١)، سَوَاءٌ كَانَ طَاعَةً أَوْ مَعْصِيَةً أَوْ حَتَّى الْمُبَاحِ، فَالآيَةُ عَامَّةٌ تَشْمَلُ جَمِيعَ مَا يَلْفِظُ بِهِ الْعَبْدُ، فَهَذَا الْكَلَامُ الَّذِي يَصْدُرُ مِنْكَ يُكْتَبُ وَيُحْصَى عَلَيْكَ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا أَثْمَرَ لَكَ خَيْرًا وَبِرًّا، وَإِنْ كَانَ شَرًّا أَثْمَرَ لَكَ شَرًّا وَعُقُوبَةً، فَأَخْطَرُ مَا فِي الْإِنْسَانِ هُوَ لِسَانُهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ ﷺ: «وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - فِي النَّارِ إِلَّا خَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟»^(٢).

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٦ / ١٥٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى (٤٢٨ / ٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد في المسند (٢٣١ / ٥)، وعبدالرزاق في مصنفه (١١ / ١٩٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥ / ٣٢٠)،

قَالَ: «فَلْيَقُلْ خَيْرًا»، وَاللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - يَقُولُ: ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠]، وَالْكَلَامُ الْخَيْرُ مِثْلُ: التَّسْبِيحِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَالدُّكْرِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعْلِيمِ الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، كُلُّ كَلَامٍ فِي رِضَا اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - فَإِنَّهُ خَيْرٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

وَالْكَلَامُ لَا يُكَلِّفُ كَثِيرًا، فَهُوَ لَيْسَ مِثْلَ الصَّلَاةِ، وَلَا الصَّيَّامِ، وَلَا الْجِهَادِ، فَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُولَ خَيْرًا وَأَنْتَ جَالِسٌ، أَوْ مُضْطَجِعٌ، أَوْ رَاكِبٌ، أَوْ مَاشٍ، فَالْبَدَنُ يَتَعَبُ مِنَ الطَّاعَةِ، لَكِنَّ اللِّسَانَ لَا يَتَعَبُ مِنَ الْكَلَامِ، فَاشْغَلْهُ بِمَا يُفِيدُكَ.

قَوْلُهُ ﷺ: «أَوْ لِيَضْمُتْ» إِذَا لَمْ يَقُلْ خَيْرًا فَإِنَّهُ يَضْمُتُ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَسْلَمَ، فَإِذَا سَكَتَ سَلِمَ، وَإِذَا نَطَقَ فَإِنْ كَانَ خَيْرًا غَنِمَ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا هَلَكَ، وَأَكْثَرُ مَا يَصْدُرُ مِنَ الْإِنْسَانِ - خُصُوصًا مَعَ الْغَفْلَةِ وَضَعْفِ الْإِيمَانِ - كَلَامٌ سَيِّئٌ، أَوْ مِنْ فُضُولِ الْكَلَامِ لَا فَائِدَةَ فِيهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ»^(١)، فَإِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَشْتَغَلَ بِقِيلَ كَذَا، وَقَالَ فُلَانٌ كَذَا، فَيُحْصِي أَقْوَالَ النَّاسِ وَيَنْشَغُلُ بِهِمَا، وَالْكَلَامُ الشَّرُّ مِثْلُ: الْغِيْبَةِ، وَالنَّمِيمَةِ، وَالسُّتْمِ، وَقَوْلِ الزُّورِ،

والطبراني في الكبير (١١٦)، والحاكم في المستدرک (٤٤٧/٢)، والبيهقي في شعب الإيمان

(٣/٣٩) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٧)، ومسلم (٥٩٣) من حديث المغيرة بن شعبه رضي الله عنه.

وَشَهَادَةِ الزُّورِ، وَأَعْظَمُ ذَلِكَ الشُّرْكَ بِاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -؛ كَأَن يَدْعُو غَيْرَ اللَّهِ، أَوْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اللَّهِ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ الْمُحَرَّمِ. كُلُّ ذَلِكَ يُخْصِيهِ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْعَبْدِ، وَيُكْتَبُ فِي دِيْوَانِهِ، وَيُحَاسَبُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَكْفَ لِسَانَهُ عَمَّا لَا فَايْدَةَ فِيهِ وَلَا حَاجَةَ إِلَيْهِ؛ لِيَسْتَرِيحَ وَيُرِيحَ.

قَوْلُهُ: «أَوْ لِيَضْمُتْ»؛ لِأَنَّ فِي الصَّمْتِ رَاحَةً وَنَجَاةً، فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِالْكَلامِ السَّيِّئِ لَمْ تَتَمَكَّنْ مِنْ تَدَارُكِهِ وَرَدِّهِ، وَلَكِنْ قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ فَأَنْتَ مُسَيِّطِرٌ عَلَى لِسَانِكَ، فَيَكُونُ السُّكُوتُ أَفْضَلَ مِنَ الْكَلَامِ غَيْرِ الْمَحْمُودِ، وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ اجْعَلْهَا مَعَكَ دَائِمًا، إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَتَكَلَّمَ انْظُرْ فِي الْكَلَامِ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ خَيْرٌ، تَكَلَّمْ بِهِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ شَرٌّ أَمْسِكْ لِسَانَكَ عَنْهُ لِتَسْلَمَ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ» وَالْجَارُ: هُوَ مَنْ يُجَاوِرُكَ فِي الْمَسْكَنِ وَالْمَزْرَعَةِ وَالْمَصْنَعِ وَالْمَتَجَرِّ، وَلَهُ حَقٌّ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ [النِّسَاء: ٣٦]، فَالْجَارُ لَهُ حَقٌّ مِنَ الْحُقُوقِ الْعَشْرَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ.

ثُمَّ إِنَّ جَارَكَ اتَّيَمَّنَكَ وَجَاوَرَكَ، فَلَا يَصْدُرُ مِنْكَ فِي حَقِّهِ أَذَى لَا بِالْقَوْلِ وَلَا بِالْفِعْلِ، وَالْقَوْلُ أَشَدُّ وَأَنْكَى، فَإِنَّكَ لَوْ أَعْطَيْتَ جَارَكَ أَوْ غَيْرَهُ مَالًا كَثِيرًا وَلَكِنَّكَ تَكَلَّمْتَ فِي حَقِّهِ بِكَلِمَةٍ سَيِّئَةٍ، فَإِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ السَّيِّئَةَ تَجْرَحُهُ، وَلَوْ أَعْطَيْتَهُ مَا أَعْطَيْتَهُ مِنَ الْمَالِ، أَمَّا الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ فَإِنَّهَا تُؤَثِّرُ فِيهِ خَيْرًا وَمَحَبَّةً لَكَ، وَلَوْ مَا أَعْطَيْتَهُ مَالًا، فَالْكَلَامُ الطَّيِّبُ لَهُ تَأْثِيرٌ وَلَهُ فَايْدَةٌ، أَكْثَرُ مِنْ تَأْثِيرِ

المَالِ، وَقَوْلُهُ: «فَلْيُكْرِمَ جَارَهُ» يَشْمَلُ الْإِكْرَامَ بِالْقَوْلِ، وَهَذَا هُوَ الْأَسْهَلُ وَالْأَنْفَعُ، أَنْ تَقُولَ لَهُ الْكَلَامَ الطَّيِّبَ، وَتُسَلِّمَ عَلَيْهِ، وَتَرُدَّ عَلَيْهِ سَلَامَهُ إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكَ.. وَهَكَذَا، وَيَشْمَلُ الْإِكْرَامَ بِالْفِعْلِ بِأَنْ تَهْدِيَ إِلَيْهِ، وَتَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا، وَتَقْضِيَ حَوَائِجَهُ إِذَا كَانَ عَاجِزًا، وَتَغُضَّ بَصْرَكَ عَنْ عَوْرَاتِهِ، وَعَنْ الْإِطْلَاعِ عَلَى أَسْرَارِهِ، وَأَيْضًا تَمْسِكُ سَمْعَكَ عَنِ التَّجَسُّسِ عَلَيْهِ، وَلَا تُتْلِقِيَ الْأَذَى عِنْدَ بَابِهِ أَوْ فِي طَرِيقِهِ، وَتَكْفُ أَوْلَادَكَ عَنْ أَذِيَّةِ أَوْلَادِهِ.. وَهَكَذَا.

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَّثُهُ»^(١) ذَلِكَ لِعِظَمِ حَقِّ الْجَارِ، فَالْجَوَارُ لَهُ أَحْكَامٌ وَأَهْمِيَّةٌ بَيْنَ النَّاسِ، وَإِذَا كَانَ إِكْرَامُ الْجَارِ مِنْ كَمَالِ الْإِيمَانِ، فَإِنَّ فِي أَذِيَّةِ الْجَارِ نَقْصًا لِلإِيمَانِ. ثُمَّ قَالَ ﷺ: «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»، وَالضَّيْفُ: هُوَ الَّذِي يَنْزِلُ بِكَ، وَإِكْرَامُ الضَّيْفِ يَجِبُ فِي الْقُرَى وَالْبَوَادِي الَّتِي لَيْسَ فِيهَا مَطَاعِمٌ، وَلَيْسَ فِيهَا مَحَلَّاتٌ تَبِيعُ الْأَكْلَ وَالشُّرْبَ، وَلَيْسَ فِيهَا فَنَادِقُ تَأْوِي الْغَرِيبَ وَالْمُسَافِرَ وَعَابِرَ السَّبِيلِ، فَالْقَرْيَةُ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ، وَكَذَلِكَ الْبَادِيَةُ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، فَالْإِنْسَانُ - وَلَوْ كَانَ غَنِيًّا - إِذَا كَانَ مَارًّا فِي بَلَدٍ وَلَيْسَ فِيهِ مَا يُبَاعُ أَوْ يُوجَرُ مِنْ حَقِّهِ عَلَى مَنْ نَزَلَ عِنْدَهُ أَنَّهُ يُكْرِمُهُ، أَمَّا فِي الْمُدُنِ فَلَيْسَ هُنَاكَ حَاجَةٌ؛ لِوُجُودِ الْمَطَاعِمِ وَالْفَنَادِقِ، فَإِذَا كَانَ غَنِيًّا فَهُوَ لَيْسَ مُحْتَاجًا، أَمَّا إِذَا كَانَ فَقِيرًا فَأَنْتَ تَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ لِفَقْرِهِ وَحَاجَتِهِ، وَلَيْسَ لِأَنَّهُ ضَيْفٌ.

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٤)، (٦٠١٥)، ومسلم (٢٦٢٤)، (٢٦٢٥) من حديث عائشة وابن

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي الضَّيْفِ: «جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَتَمَامُ الضِّيَافَةِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ بِلَيَالِيهَا»^(١)، قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: الْوَاجِبُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَتَمَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ بِلَيَالِيهَا مُسْتَحَبٌّ^(٢). وَقَدْ كَانَ إِكْرَامُ الْجَارِ، وَإِكْرَامُ الضَّيْفِ مِنَ الْخِصَالِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، وَكَانُوا يَتَفَاخَرُونَ بِذَلِكَ، وَأَشْعَارُهُمْ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ، فَجَاءَ الْإِسْلَامُ وَأَقَرَّ ذَلِكَ، وَحَثَّ عَلَيْهِ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ.



(١) أخرجه البخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٨) من حديث أبي شريح العدوي رضي الله عنه.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم (ص ١٤٢)، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٢ / ٣٠، ٣١)،

وفتح الباري (١٠ / ٥٣٣)، وعمدة القاري (٢٢ / ١١١)، وتحفة الأحوذى (٦ / ٨٧).

الحديث السادس عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي، قَالَ: «لَا تَغْضَبُ»، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «لَا تَغْضَبُ» [رواه البخاري] ^(١).

الغَضَبُ وَالرِّضَا خَصْلَتَانِ وَسَجِيَّتَانِ طُبِعَ عَلَيْهِمَا الْإِنْسَانُ لِفَائِدَةٍ وَمَصْلَحَةٍ، فَالَّذِي لَا يَغْضَبُ يَكُونُ نَاقِصًا، لَكِنْ لَا بُدَّ أَنْ يُسْتَعْمَلَ الْغَضَبُ فِي مَحَلِّهِ، فَإِنْ تَجَاوَزَ مَحَلَّهُ ضَرَّ ^(٢)، فَالْغَضَبُ نَقِیْضُ الرِّضَا ^(٣)، وَهُوَ سَجِيَّةٌ وَخَصْلَةٌ مَطْبُوعٌ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ يَنْتُجُ عَنْهَا فِي الْإِنْسَانِ غَلِيَانُ الدَّمِ فِي الْقَلْبِ وَانْتِفَاحُ الْأَوْدَاجِ، مِمَّا يُوَدِّي بِصَاحِبِهِ إِلَى إِرَادَةِ الْإِنْتِقَامِ مِمَّنْ غَضِبَ عَلَيْهِ. وَمَا مِنَّا أَحَدٌ لَا يَغْضَبُ، لَكِنَّ الْعَاقِلَ وَالْمُؤْمِنَ يَتَصَرَّفُ فِي غَضَبِهِ وَلَا يُنْفِذُهُ، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ وَالْجَاهِلُ فَقَدْ يَحْمِلُهُ الْغَضَبُ عَلَى أَشْيَاءَ مَذْمُومَةٍ؛ كَالْقَتْلِ، وَالْجَرْحِ، أَوْ الْكَلَامِ السَّيِّئِ، أَوْ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ، فَالْغَضَبُ يَحْمِلُ الْإِنْسَانَ عَلَى مَهَالِكٍ إِلَّا إِذَا اسْتَعْمَلَهُ اسْتِعْمَالًا حَسَنًا فِي مَحَلِّهِ فَإِنَّهُ يَسْلَمُ مِنْ شَرِّهِ.

وَهَذَا الرَّجُلُ طَلَبَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُوصِيَهُ بِوَصِيَّةٍ تَنْفَعُهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَغْضَبُ». كَأَنَّ الرَّجُلَ اسْتَقَلَّ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ؛ لِذَلِكَ كَرَّرَ عَلَى

(١) أخرجه البخاري (٦١١٦).

(٢) قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث (٤ / ٣٧٠): (الغضب من المخلوقين منه: محمود ومذموم، فالمحمود: ما كان في جانب الدين والحق، والمذموم: ما كان في خلافه).

(٣) انظر: لسان العرب (١ / ٦٤٨).

النَّبِيِّ ﷺ، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَقُولُ لَهُ: «لَا تَغْضَبْ» وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ، فَمَا الْحِكْمَةُ؟

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: لَعَلَّ هَذَا الرَّجُلَ كَانَ مَعْرُوفًا بِالْغَضَبِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يُجِيبُ كُلَّ إِنْسَانٍ بِحَسَبِ حَاجَتِهِ، فَأَوْصَاهُ الرَّسُولُ ﷺ وَخَصَّهُ بِهَذِهِ الْوَصِيَّةِ لِعِلْمِهِ بِحَالِهِ^(١)، وَهِيَ وَصِيَّةٌ لَهُ وَلِغَيْرِهِ، فَكُلُّ إِنْسَانٍ مَطْلُوبٌ مِنْهُ أَلَّا يَغْضَبَ؛ لِمَا يَتَرْتَّبُ عَلَى الْغَضَبِ مِنَ الْأَضْرَارِ، مَا مِنْ أَحَدٍ لَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا مِنَ الْغَضَبِ، وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ الْمُؤْمِنَ الْعَاقِلَ يَأْخُذُ بِالْحِلْمِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - يَقُولُ فِي صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشُّورَى: ٣٧]، لَمْ يَقُلْ: لَا يَغْضَبُونَ، بَلْ قَالَ: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ فَيَغْفِرُ الْإِنْسَانُ وَيَحْلُمُ، هَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ.

وَلِهَذَا قَالَ ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ» يَعْنِي: الْقَوِيُّ الَّذِي يَصْرَعُ النَّاسَ هَذَا لَيْسَ شَدِيدًا، «الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»^(٢)، هَذَا هُوَ الشَّدِيدُ الْقَوِيُّ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ يَغْضَبُ لَكِنَّهُ لَا يُنْفِذُ، إِلَّا إِذَا كَانَ الْغَضَبُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَكَانَ ﷺ حَلِيمًا لَا يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ أَبَدًا، رَغِمَ مَا لَاقَى مِنَ الْأَذَى مِنَ النَّاسِ، أَمَّا إِذَا انْتَهَكَتْ مُحَارِمُ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - فَإِنَّهُ يَغْضَبُ لِلَّهِ لَا لِنَفْسِهِ؛ وَهَكَذَا الْمُؤْمِنُ يَقْتَدِي بِالرَّسُولِ ﷺ لَا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ، بَلْ يَحْلُمُ وَيَغْفِرُ وَيُحْسِنُ إِلَى مَنْ أَغْضَبَهُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

(١) انظر: فتح الباري (١٠/ ٥٢٠، ٥٢١)، وعمدة القاري (٢٢/ ١٦٤)، وتحفة الأحوذى (١٣٨/ ٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، فهذا هو علاج الغضب:

أولاً: مهما أمكن أنك لا تغضب.

ثانياً: إذا غضبت فلا تنفذ، بل عليك بالصبر والتحمل والحلم.



الحديث السابع عشر

عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلِيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلِيُرِحَ ذَبِيحَتَهُ» [رواه مُسْلِمٌ (١)].

قَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ» كَتَبَ يَعْنِي أَوْجَبَ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَوْجَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَمِنْهُ هَذِهِ الْمَسَائِلُ: «فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ». وَالْإِحْسَانُ يُكُونُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ، وَبَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَبَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْبَهَائِمِ.

أَمَّا الْإِحْسَانُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ فَهُوَ أَعْلَى مَرَاتِبِ الدِّينِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ كَأَنَّهُ يُشَاهِدُهُ، وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَيَخَافُهُ وَيَرْجُوهُ، وَقَدْ سَبَقَ فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْإِحْسَانِ فَقَالَ لَهُ: «الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» (٢) هَذَا إِحْسَانُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ، وَمَعْنَاهُ إِتْقَانُ الْعِبَادَةِ، يُقَالُ: أَحْسَنَ الشَّيْءَ إِذَا أَتَقَنَهُ، أَحْسَنَ الصَّنْعَةَ إِذَا أَتَقَنَهَا، فَأَنْتَ تُتَقِنُ الْعِبَادَةَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، وَالْمُتَابَعَةِ لِلرَّسُولِ ﷺ.

(١) أخرجه مسلم (١٩٥٥).

(٢) سبق تخريجه (ص ٣٠).

أَمَّا الْإِحْسَانُ فِيمَا بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ النَّاسِ فَيَكُونُ بِمُكَافَأَتِهِ مُحْسِنَهُمْ، وَتَجَاوُزِهِ عَنِ مُسِيئَتِهِمْ، وَتَصَدُّقِهِ عَلَى مُحْتَاجِهِمْ، فَيُحْسِنُ إِلَيْهِمْ بِالْقَوْلِ وَبِالْفِعْلِ، وَيَتَعَامَلُ مَعَهُمُ التَّعَامُلَ الْحَسَنَ، وَيُتَقِنُ الْمُعَامَلَةَ مَعَهُمْ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ.

وَكَذَلِكَ الْإِحْسَانُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ الْبَهَائِمِ، بِأَنْ يُطْعِمَ جَائِعَهَا، وَيَسْقِي الْعَطْشَانَ مِنْهَا، وَيُخَفِّفَ عَنْهَا الْأَلَمَ، وَإِذَا أَصَابَهَا أَلَمٌ يُعَالِجُهَا، هَذَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْبَهَائِمِ الَّتِي لَا تُؤْذِي، حَتَّى الْكِلَابِ، قَالَ ﷺ: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَزَعَتْ مُوقَهَا، فَسَقَتْهُ، فَغَفَرَ لَهَا بِهِ» (١). وَالبَغِيُّ: الزَّانِيَةُ، وَالزَّانَا أَعْظَمُ وَأَقْبَحُ الْجَرَائِمِ بَعْدَ الشُّرْكِ.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلَ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيْهِ، ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ» (٢).

فَالْوَاجِبُ أَنْ تُحْسِنَ إِلَى الْبَهَائِمِ كَمَا تُحْسِنُ إِلَى النَّاسِ. قَوْلُهُ: «إِذَا قَتَلْتُمْ» بِقِصَاصٍ أَوْ بِحَدٍّ «فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ» فَإِذَا اسْتَحَقَّ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ الْقَتْلَ بِقِصَاصٍ أَوْ بِحَدٍّ، فَإِنَّهُ يُحْسِنُ إِلَيْهِ فِي قَتْلِهِ وَلَا يُعَذِّبُ قَبْلَ

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٦٣)، ومسلم (٢٢٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الْقَتْلُ، وَلَا يُقْتَلُ بِآلَةٍ كَالَّةٍ، أَوْ آلَةٍ تُعَذِّبُهُ، بَلْ يُسْرِعُ الْقَاتِلُ بِقَتْلِهِ، وَيُجْهَزُ عَلَيْهِ بِالْقَتْلِ دُونَ أَنْ يَشُقَّ عَلَيْهِ، أَوْ يُعَذَّبَ فِي الْقَتْلِ؛ لِأَنَّ تَعْذِيبَهُ ظُلْمٌ لَا يَجُوزُ، أَمَّا قَتْلُهُ فَهُوَ مَشْرُوعٌ، فَيُنْفَذُ بِأَسْهَلِ مَا يُمْكِنُ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ كَافِرًا يَسْتَحِقُّ الْقَتْلَ لِكُفْرِهِ، فَلَا يُعَذَّبُ عِنْدَ قَتْلِهِ، بَلْ يُجْهَزُ عَلَيْهِ وَيُقْتَلُ بِسُرْعَةٍ، فَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ» هَذَا عَامٌّ لِلْكَافِرِ وَغَيْرِهِ.

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِذَا ذَبَحْتُمْ» الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي يُشْرَعُ ذَبْحُهَا، أَوْ يُبَاحُ ذَبْحُهَا، إِذَا ذَبَحْتُمُوهَا لِلْعِبَادَةِ أَوْ لِلْأَكْلِ، أَوْ ذَبَحْتُمُوهَا لِدَفْعِ أَذَاهَا؛ كَالسَّبَاعِ، وَالْكَلْبِ الْعَقُورِ، «فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ» فَلَا تُعَذَّبُ الْمَذْبُوحُ بِأَنْ تَجْرَهُ إِلَى الْقَتْلِ جَرًّا، أَوْ تَجْرَ الذَّبِيحَةُ مِنْ أَذَانِهَا، أَوْ تَذَبَحَهَا بِآلَةٍ كَالَّةٍ، أَوْ تَطْرَحَهَا عَلَى الْأَرْضِ ثُمَّ تُؤَخَّرَ ذَبْحُهَا وَتَتَشَاغَلَ عَنْهَا وَأَنْتَ مُمَسِكُهَا، فَهَذَا لَا يَجُوزُ لِأَنَّهُ تَعْذِيبٌ لَهَا.

وَالْوَاجِبُ أَنْ تَذَبَحَهَا بِأَسْهَلِ مَا يَكُونُ، وَإِذَا ذَبَحْتَهَا لَا تُسْرِعْ بِتَقْطِيعِهَا قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ، اصْبِرْ إِلَى أَنْ تَمُوتَ وَتَبْرَدَ، فَمَا دَامَ فِيهَا حَرَكَةٌ وَفِيهَا رُوحٌ لَا تَجْمَعُ عَلَيْهَا الْعَذَابُ - عَذَابُ الْمَوْتِ وَعَذَابُ التَّقْطِيعِ - بَلْ تَتْرُكُهَا إِلَى أَنْ تَمُوتَ.

وَكَذَلِكَ مِنْ إِحْسَانِ الذَّبْحِ أَنْ تَكُونَ عَارِفًا بِكَيْفِيَّةِ الذَّبْحِ، فَلَا يَأْتِي جَاهِلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَعَلَّمَ بِالْحَيَوَانِ وَيُعَذِّبُهُ، فَلَا يَذْبَحُ إِلَّا مَنْ يُثِقِنُ الذَّبْحَ، وَيَعْرِفُ كَيْفِيَّتَهُ.

ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ» الشَّفْرَةُ سَوَاءٌ كَانَتْ لِلْقَتْلِ كَالسَّيْفِ، أَوْ كَانَتْ لِلذَّبْحِ كَالسَّكِينِ، يَجِبُ أَنْ تَكُونَ حَادَّةً حَتَّى تَقْطَعَ بِسُرْعَةٍ.

Таисия, 60102006

قَالَ: «وَلْيُرْخْ ذَبِيحَتَهُ» يَعْنِي: يَذْبَحُهَا عَلَى صِفَةِ مُرِيحَةٍ لَا يَجْرُهَا جَرًّا، وَلَا يَضْرِبُهَا قَبْلَ الذَّبْحِ، وَلَا يُطْلُ فِي إِمْسَاكِهَا، بَلْ يُبَادِرُ بِذَبْحِهَا حَتَّى تَسْتَرِيحَ، فَهَذَا مِمَّا أَوْجَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَهَذَا مِنْ مَحَاسِنِ هَذَا الدِّينِ أَنَّهُ دِينُ الْإِحْسَانِ، وَلَيْسَ هُوَ دِينُ الْإِسَاءَةِ أَوْ الْإِنْتِقَامِ بِدُونِ حَقٍّ.



الحديث الثامن عشر

عَنْ أَبِي ذَرٍّ جُنْدُبِ بْنِ جُنَادَةَ، وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ». [رواهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ»، وَفِي بَعْضِ النُّسخ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»^(١).

الْفَرْقُ بَيْنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ وَالْحَدِيثِ الْحَسَنِ: أَنَّ الصَّحِيحَ أَقْوَى مِنَ الْحَسَنِ، فَالصَّحِيحُ: هُوَ مَا رَوَاهُ عَدْلٌ تَامٌ الضَّبْطُ مِنْ بَدَايَةِ السَّنَدِ إِلَى نَهَائِهِ، مَعَ السَّلَامَةِ مِنَ الشُّذُوزِ وَالْعِلَلِ^(٢)، وَالْحَسَنُ: هُوَ مَا رَوَاهُ عَدْلٌ خَفِيفُ الضَّبْطِ^(٣)، فَيُخْتَلَفُ مِنْ جِهَةِ الضَّبْطِ فَقَطْ، وَإِلَّا فَالْحَسَنُ مِنْ قِسْمِ الصَّحِيحِ، إِلَّا أَنَّهُ أَقَلُّ دَرَجَةً مِنَ الصَّحِيحِ لِمَا فِيهِ مِنْ خِفَّةِ ضَبْطِ بَعْضِ رُوَاتِهِ.

وَقَوْلُهُ: «حَسَنٌ صَحِيحٌ» يَعْنِي: إِنَّهُ يَرَوِيهِ مِنْ طَرِيقَيْنِ: طَرِيقٍ صَحِيحٍ، وَطَرِيقٍ حَسَنِ، هَذَا أَقْرَبُ مَا قِيلَ فِي شَرْحِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ^(٤). وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ ثَلَاثُ كَلِمَاتٍ، كُلُّ كَلِمَةٍ وَصِيَّةٌ مُسْتَقِلَّةٌ، وَهُوَ مَنْهَجٌ

(١) أخرجه الترمذي (١٩٨٧).

(٢) انظر: المنهل الروي لابن جماعة (ص ٣٣).

(٣) راجع (ص ١٤١).

(٤) قال ابن جماعة في المنهل الروي (ص ٣٧): (وقول الترمذي وغيره: حديث حسن صحيح، أي: روي بإسنادين: أحدهما يقتضي الصحة، والآخر يقتضي الحسن، أو المراد الحسن اللغوي، وهو ما تميل إليه النفس وتستحسنه). وانظر: شرح نخبة الفكر لابن حجر (ص ٢٢٩).

لِلْمُسْلِمِ يَسِيرُ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ وَتَعَامُلِهِ مَعَ اللَّهِ، وَتَعَامُلِهِ مَعَ نَفْسِهِ، وَتَعَامُلِهِ مَعَ النَّاسِ.

أَوَّلًا فِي تَعَامُلِهِ مَعَ اللَّهِ: يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ بِطَاعَتِهِ، وَتَرْكِ مَعْصِيَتِهِ، فَالتَّقْوَى: هِيَ فِعْلُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَتَرْكُ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ؛ لِأَنَّ هَذَا يَقِيهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ. وَتَقْوَى اللَّهِ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ تَجْمَعُ كُلَّ خِصَالِ الْخَيْرِ، وَهِيَ وَصِيَّةُ اللَّهِ لَجَمِيعِ خَلْقِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النِّسَاءُ: ١٣١]، فَهِيَ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ عَظِيمَةٌ.

قَالَ ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ» فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ فِي أَيِّ مَكَانٍ، حِينَمَا يَظْهَرُ مَعَ النَّاسِ، وَحِينَمَا يَكُونُ وَحْدَهُ لَا يَتَغَيَّرُ تَعَامُلُهُ مَعَ اللَّهِ، أَمَّا إِذَا كَانَ مَعَ النَّاسِ أَظْهَرَ التَّقْوَى وَالتَّنَسُّكِ، وَإِذَا اخْتَفَى عَنِ النَّاسِ بَارَزَ اللَّهُ بِالْمَعَاصِي وَالْمُخَالَفَاتِ، فَهَذَا مُنَافِقٌ.

وَقَوْلُهُ: «حَيْثُمَا كُنْتَ» يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَلَّا يَنْظُرَ إِلَى النَّاسِ، وَلَا يَخْشَى النَّاسَ، وَإِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، سَوَاءً كَانَ مَعَ النَّاسِ أَوْ كَانَ خَالِيًا بِنَفْسِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ حَالَهُ، حَتَّى لَوْ تَوَارَى عَنِ النَّاسِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٥]، وَقَالَ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾

﴿[النِّسَاءُ: ١٠٨]، أَمَّا النَّاسُ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ عَنْ بَاطِنِكَ وَلَوْ كُنْتَ جَالِسًا بَيْنَهُمْ، وَمِنْ بَابِ أَوَّلَى أَلَّا يَعْلَمُوا عَنْكَ شَيْئًا إِذَا اخْتَفَيْتَ عَنْهُمْ، لَكِنَّ اللَّهَ

تَعَالَى يَعْلَمُ؛ وَلِهَذَا قَالَ ﷺ: «الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» (١).

ثُمَّ إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ إِذَا كَانَ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ، فَإِذَا ذَهَبَ إِلَى بِلَادِ الْكُفْرِ تَنَكَّرَ، وَوَافَقَ الْكُفَّارَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ، فَيَتَلَوْنَ كَمَا تَتَلَوْنَ الْحَرْبَاءُ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَجُوزُ، وَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَخَافَ اللَّهَ وَيُرَاقِبَهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فِي أَيِّ مَكَانٍ، وَفِي أَيِّ بَلَدٍ.

ثَانِيًا: بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ: قَالَ ﷺ: «وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا»، فَإِذَا صَدَرَتْ مِنَ الْعَبْدِ سَيِّئَةٌ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتُوبَ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَيُتْبِعَهَا بِحَسَنَاتٍ، فَإِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هُود: ١١٤]، قَالَ ﷺ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنِبْتَ الْكَبَائِرُ» (٢).

قَوْلُهُ: «تَمَحُّهَا» أَيُّ تُزِيلُهَا وَتُكَفِّرُهَا، هَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ الْأُمُورِ الَّتِي يُكَفِّرُ اللَّهُ بِهَا الذُّنُوبَ، وَكَذَلِكَ مَنْ حَافِظٌ عَلَى الْفَرَائِضِ فَإِنَّ اللَّهَ يُكَفِّرُ عَنْهُ الذُّنُوبَ الصَّغَائِرَ، فَلَا تَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، بَلْ بَادِرْ إِلَى التَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ

(١) سبق تخريجه (ص ٣٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴿[الزُّمَرُ:]

٥٣]، فَالتَّوْبَةُ تَجِبُ مَا قَبْلَهَا، بَلِ الْمُشْرِكُ وَالْكَافِرُ إِذَا تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، قَالَ

تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال:]

٣٨]، فَكَيْفَ بِالذَّنْبِ الَّذِي هُوَ دُونَ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ؟ فَلَا تَتَعَاطَمِ الذُّنُوبَ،

وَتَيَأْسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَتَيَأْسَ مِنَ التَّوْبَةِ، تُبْ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَلَا

يَكْفِي التَّوْبَةُ بِاللِّسَانِ، بَلْ أَتَّبِعْ تَوْبَتَكَ بِعَمَلِ الصَّالِحَاتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ

تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

[الفرقان: ٧٠]، فَتَعَامَلْ مَعَ نَفْسِكَ بِهَذَا الْمِقْيَاسِ، وَأَكْثِرْ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَتُبْ عَنِ

السَّيِّئَاتِ، وَاللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - يَغْفُو وَيَغْفِرُ إِذَا فَعَلْتَ أَسْبَابَ الْمَغْفِرَةِ.

ثَالِثًا: بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ: قَالَ ﷺ: «وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» أَي:

تَعَامَلْ مَعَهُمْ بِالْمَعَامَلَةِ الطَّيِّبَةِ، وَبِالْخُلُقِ الْحَسَنِ، وَبِالْكَلَامِ الطَّيِّبِ،

وَبِالْبَشَاشَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَزْرَعُ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُلُوبِ، وَيُؤَلِّفُ بَيْنَ النَّاسِ.

وَالْخُلُقُ الْحَسَنُ: صِفَةُ حَمِيدَةٌ تَكُونُ فِي الْإِنْسَانِ، يَمْنَحُهَا اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ

عِبَادِهِ، وَالْإِنْسَانُ يَتَخَلَّقُ بِالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ، وَاللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - قَالَ فِي نَبِيِّهِ

مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، شَهِدَ اللَّهُ لَهُ بِالْخُلُقِ الْعَظِيمِ؛

وَلِهَذَا تَحَوَّلَ أَعْدَاؤُهُ إِلَى أَصْدِقَاءَ، وَصَارُوا مِنْ خَوَاصِّ أَصْحَابِهِ بِسَبَبِ

خُلُقِهِ ﷺ، وَصَارُوا يُدَافِعُونَ وَيُنَافِحُونَ وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ ﷺ، وَهُمْ بِالْأَمْسِ

كَانُوا مِنْ أَلَدِّ الْأَعْدَاءِ، لَكِنْ بِتَعَامُلِهِ وَخُلُقِهِ ﷺ مَعَ النَّاسِ اسْتَجَلَبَهُمْ إِلَى

الْإِسْلَامِ، وَهَكَذَا يَكُونُ الَّذِي يَدْعُو إِلَى اللَّهِ بِالْخُصُوصِ، يَكُونُ ذَا خُلُقٍ

حَسَنٍ، فَيَتَعَامَلُ مَعَ النَّاسِ بِالْحُسْنَى وَاللَّطَافَةِ وَاللِّينِ، حَتَّى يَسْتَجْلِبَهُمْ إِلَى
فِعْلِ الْخَيْرِ، وَإِلَى التَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى قَبُولِ الدَّعْوَةِ، فَهَذِهِ الْكَلِمَاتُ الْعَظِيمَةُ
مَنْهَجٌ يَسِيرٌ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُ، وَهُوَ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ الَّتِي أُوتِيَهَا النَّبِيُّ ﷺ، يَجْمَعُ
فِيهَا بَيْنَ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.



الحديث التاسع عشر

عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدَهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجُفِتِ الصُّحُفُ» [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ]، وَقَالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ» (١).

وَفِي رِوَايَةٍ غَيْرِ التِّرْمِذِيِّ: «أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدَهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرِّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكُرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» (٢).

هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - ابْنِ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو لَهُ، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ» (٣).

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٠٧/١)، وهناد في الزهد (٣٠٤/١)، وعبد بن حميد في مسنده (ص ٢١٤)، والطبراني في الكبير (١١٢٤٣)، والحاكم في المستدرک (٦٢٣/٣)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٦١٤/٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٧/٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٦٦/١)، وابن حبان في صحيحه (٥٣١/١٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٨٣/٦)، والحاكم في المستدرک وصححه (٦١٥/٣)، والطبراني في الكبير (١٠٥٨٧) من حديث ابن عباس رضيهما، وأخرج شطره الأول البخاري (١٤٣)، ومسلم

يَعْنِي: التَّفْسِيرَ، فَكَانَ آيَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فِي الْعِلْمِ، وَفِي الْفِقْهِ، وَفِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، حَتَّى لُقِّبَ بِرُجْمَانِ الْقُرْآنِ وَحَبْرِ الْأُمَّةِ ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ}، وَكَانَ طِفْلاً صَغِيراً فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ}، تُوَفِّيَ الرَّسُولُ ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} وَهُوَ لَمْ يَبْلُغِ الْحُلُمَ، وَمَعَ هَذَا أَعْطَاهُ اللَّهُ هَذَا الْعِلْمَ الْغَزِيرَ، وَهَذَا الْفَهْمَ الْعَظِيمَ بِبَرَكَاتِ دَعْوَةِ الرَّسُولِ ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ}.

قَالَ ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ}: «يَا غُلَامُ» الْغُلَامُ هُوَ الصَّغِيرُ، وَهَذَا فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى الْعِنَايَةِ بِالصَّغَارِ، وَتَوْجِيهِهِمْ، «إِنِّي أَعَلَّمْتُكَ كَلِمَاتٍ» كَلِمَاتٍ: يَعْنِي يَسِيرَةً، لَكِنَّهَا كَلِمَاتٌ جَوَامِعُ؛ لِأَنَّ كَلِمَاتِ الرَّسُولِ ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} لَيْسَتْ كَكَلِمَاتِ غَيْرِهِ، وَهَذَا فِيهِ أَنَّ الْعِلْمَ يُؤْخَذُ شَيْئًا فَشَيْئًا، يُؤْخَذُ كَلِمَاتٌ يَسِيرَةٌ أَوَّلَ شَيْءٍ، ثُمَّ يَنْمُو وَيَزْدَادُ، وَلَيْسَ يُؤْخَذُ الْعِلْمُ دَفْعَةً وَاحِدَةً.

قَالَ: «أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظُكَ» أَحْفَظِ اللَّهَ: يَعْنِي أَحْفَظْ دِينَهُ؛ أَحْفَظِ اللَّهَ بِفِعْلِ أَوَامِرِهِ وَتَرْكِ نَوَاهِيهِ، وَأَحْفَظْ مُحَارِمَ اللَّهِ بِاجْتِنَابِهَا، هَذَا حِفْظُ اللَّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - لَا يَحْتَاجُ إِلَى حِفْظٍ هُوَ الَّذِي يَحْفَظُ النَّاسَ، وَيَحْفَظُ الْخَلْقَ وَالْكُونَ، إِنَّمَا الْمُرَادُ أَنَّهُ يَحْفَظُ دِينَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

قَوْلُهُ: «أَحْفَظِ اللَّهَ» هَذَا مِنْ قِبَلِ الْعَبْدِ «يَحْفَظُكَ» هَذَا مِنْ قِبَلِ اللَّهِ، فَهُوَ جَزَاءٌ، وَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَإِذَا حَفِظْتَ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ يَحْفَظُكَ بِمَا تَكْرَهُ فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ، فَهَذِهِ ثَمَرَةُ حِفْظِ اللَّهِ وَحِفْظِ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ.

ثُمَّ قَالَ ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ}: «أَحْفَظِ اللَّهَ» هَذَا تَأْكِيدٌ، «تَجِدُهُ تُجَاهَكَ» الْأُولَى، «يَحْفَظُكَ»، وَهَذِهِ «تَجِدُهُ تُجَاهَكَ»، يَعْنِي: أَمَامَكَ، وَفِي رِوَايَةٍ: «تَجِدُهُ أَمَامَكَ» بِمَعْنَى أَنَّ

أَمَامَكَ

(٢٤٧٧). وفي رواية للبخاري (٧٥) أن رسول الله ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} دعا له فقال: «اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ»، وفي رواية (٣٧٥٦): «اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْحِكْمَةَ».

الله - جَلَّ وَعَلَا - قَرِيبٌ مِنْ عِبَادِهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وَأَيْضًا هُوَ - جَلَّ
وَعَلَا - يُبَادِرُ إِلَى مَثُوبَةٍ عِبَادِهِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ
إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلًا»^(١)، بِمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ يُبَادِرُ سُبْحَانَهُ،
يُبَادِرُ بِالْإِثَابَةِ لِمَنْ أَطَاعَهُ، فَحِفْظُ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - لَهُ فَائِدَتَانِ:

الأولى: أَنَّ اللَّهَ يَحْفَظُكَ.

الثانية: أَنَّكَ تَجِدُ اللَّهَ قَرِيبًا مِنْكَ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ» إِذَا طَلَبْتَ شَيْئًا فَاطْلُبْهُ مِنَ الْكَرِيمِ
الْمَنَّانِ سُبْحَانَهُ الَّذِي عِنْدَهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَا تَسْأَلِ النَّاسَ،
وَسُؤَالُ غَيْرِ اللَّهِ عَلَى نَوْعَيْنِ:

الأول: سُؤَالٌ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ، فَهَذَا شِرْكٌ أَكْبَرُ، كَالَّذِينَ
يَدْعُونَ الْأُمُوتَ وَيَسْتَجِدُّونَ بِالْمُوتَى، وَيَسْتَغِيثُونَ بِهِمْ، وَيَطْلُبُونَ مِنْهُمْ
الْحَوَائِجَ، فَيَأْتِي أَحَدُهُمْ عِنْدَ الْقَبْرِ، وَيَقُولُ: يَا فُلَانُ أَغْنِنِي، وَيَا فُلَانُ كَذَا
وَكَذَا، يَا وَلِيَّ اللَّهِ أَعْطِنِي كَذَا، وَهَذَا شِرْكٌ أَكْبَرُ.

الثاني: سُؤَالُ النَّاسِ فِيمَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، وَهَذَا جَائِزٌ، فَيَجُوزُ لَكَ أَنْ
تَسْأَلَ إِذَا اخْتَجْتَ، لَكِنَّ الْأَوَّلَى بِالْعَبْدِ أَنْ يَتَعَفَّفَ عَنْ سُؤَالِ النَّاسِ؛ لِأَنَّ فِي
السُّؤَالِ مَذَلَّةً، وَنَقْصًا فِي التَّوْحِيدِ، فَاسْأَلِ اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - الْغَنِيَّ الْكَرِيمَ،
فَهُوَ سُبْحَانَهُ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ،

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

فَيَقُولُ: «مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ»^(١)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

قَالَ ﷺ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ» الاستِعانةُ طَلَبُ الْعَوْنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، فَهِيَ نَوْعٌ مِنَ الْعِبَادَةِ، وَعَطْفُهَا عَلَى الْعِبَادَةِ مِنْ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ لِلْاهْتِمَامِ بِهَا، وَإِلَّا فَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْعِبَادَةِ.

وَالِاسْتِعَانَةُ مِثْلُ السُّؤَالِ: إِذَا كَانَتْ الْاسْتِعَانَةُ بِالْمَخْلُوقِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ فَهِيَ شِرْكٌ أَكْبَرُ، وَإِنْ كَانَتْ الْاسْتِعَانَةُ بِالْمَخْلُوقِ فِي شَيْءٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ فَهَذَا يَجُوزُ، لَكِنْ تَرْكُهُ أَحْسَنُ؛ لِأَنَّ فِيهِ ذِلَّةً، وَحَاجَةً إِلَى النَّاسِ، وَكَوْنُكَ تَسْتَغْنِي بِاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - هَذَا أَفْضَلُ لَكَ.

قَالَ ﷺ: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ لَوِ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ «عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ» أَيُّ: قَدَرُهُ وَكَتَبَهُ لَكَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، «وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ» فَهَذَا فِيهِ الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَأَنَّ النَّاسَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ أَوْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِمَا كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ نَفْعٍ أَوْ ضَرٍّ، فَهُمْ سَبَبٌ فَقَطْ، وَأَمَّا النَّافِعُ الضَّارُّ فَهُوَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - إِذَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ نَفْعُوكَ، وَإِذَا لَمْ يَأْمُرْهُمْ اللَّهُ لَمْ يَنْفَعُوكَ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ضَرُّوكَ، فَعَلَيْكَ بِالْإِيمَانِ

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» مَعْنَاهُ أَنَّ قَضَاءَ اللَّهِ قُدِّرَ وَانْتَهَى وَلَنْ يُغَيَّرَ، فَإِنَّ الْقَضَاءَ الَّذِي قَدَرَهُ اللَّهُ لَا يُغَيَّرُ، قَوْلُهُ: «رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ» أَيُّ: أَقْلَامُ كِتَابَةِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ^(١)، «وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» الصُّحُفُ الَّتِي كُتِبَتْ فِيهَا الْمَقَادِيرُ، فَهَذَا فِيهِ الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَهُوَ وَصِيَّةٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ أَنَّهُ يُؤْمِنُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، فَإِذَا آمَنَ الْعَبْدُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ فَإِنَّهُ يَسْتَغْنِي بِاللَّهِ عَنْ سُؤَالِ النَّاسِ، وَعَنْ الْاسْتِعَانَةِ بِالنَّاسِ فِي الْغَالِبِ.

وَفِي الرَّوَايَةِ الثَّانِيَةِ قَالَ ﷺ: «تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ» أَيُّ: كُنْ قَرِيبًا مِنَ اللَّهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكَ، فِي حَالِ رَخَائِكَ وَعَدَمِ حَاجَتِكَ، لَا تَلْتَفِتْ عَنِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، كُنْ قَرِيبًا مِنَ اللَّهِ بِطَاعَتِهِ وَتَرْكِ مَعْصِيَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ۚ﴾ [العلق: ٦، ٧]، فَإِذَا اسْتَغْنَى الْإِنْسَانُ نَسِيَ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - وَظَنَّ أَنَّهُ لَيْسَ بِحَاجَةٍ إِلَى اللَّهِ، فَإِذَا مَرَضَ لَجَأَ إِلَى اللَّهِ، وَإِذَا صَحَّ وَشَفِيَ نَسِيَ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ -، فَهَذِهِ حَالَةُ سَيِّئَةٍ تَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ الْإِيمَانِ.

فَقَوْلُهُ: «يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ» يَعْنِي: إِذَا وَقَعْتَ فِي خَطَرٍ وَفِي شِدَّةٍ وَأَنْتَ مُطِيعٌ لِلَّهِ فِي حَالَةِ الرَّخَاءِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُنْقِذُكَ بِأَعْمَالِكَ الصَّالِحَةِ، مِثْلَ حَدِيثِ أَصْحَابِ الصَّخْرَةِ^(٢)، الَّذِينَ انْطَبَقَتْ عَلَيْهِمُ الصَّخْرَةُ فِي الْغَارِ، وَلَمْ

(١) انظر: أنواع الأقسام في شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٢٦٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢١٥، ٢٢٧٢، ٢٣٣٣، ٣٤٦٥، ٥٩٧٤)، ومسلم (٢٧٤٣).

يَسْتَطِيعُوا الْخُرُوجَ، لَمَا كَانَتْ لَهُمْ أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ سَابِقَةٌ فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَهَذَا تَوَسَّلَ إِلَى اللَّهِ بِبِرِّهِ بَوَالِدِيهِ، وَهَذَا تَوَسَّلَ إِلَى اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - بِتَرْكِه الزَّنا خَوْفًا مِنَ اللَّهِ، وَهَذَا تَوَسَّلَ إِلَى اللَّهِ بِأَمَانَتِهِ وَحِفْظِهِ لِأُجْرَةِ الْأَجِيرِ الَّذِي تَرَكَ أُجْرَتَهُ عِنْدَهُ وَذَهَبَ، حَفِظَهَا لَهُ وَنَتَاهَا، فَلَمَّا جَاءَ أُعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَاللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - يَقُولُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ * أَيِّ فِي الدُّنْيَا ﴿مُحْسِنِينَ﴾ ١٦ ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ ١٧ ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ١٨ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * [الذَّارِيَّات: ١٦-١٩]، قَبْلَ ذَلِكَ وَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَقَالَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - فِي يُونُسَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - صَاحِبِ الْحُوتِ: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ * [الصَّافَّات: ١٤٣]، يَعْنِي: كَانَ مِنَ الْمُصَلِّينَ فِي حَالَةِ الرَّخَاءِ، ﴿لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ * [الصَّافَّات: ١٤٤]، أَنْجَاهُ اللَّهُ بِسَبَبِ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ الَّتِي أَسْبَقَهَا، فَالْمُسْلِمُ يَعْرِفُ اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - فِي الشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، أَمَّا الْكَافِرُ فَلَا يَعْرِفُ اللَّهَ إِلَّا فِي حَالَةِ الشَّدَّةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ ٦٧ [الإِسْرَاءُ: ٦٧]، إِذَا وَقَعَ الْكُفَّارُ فِي الْخَطَرِ أَخْلَصُوا الدُّعَاءَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَهُوَ يَعْرِفُ اللَّهَ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ، فِي حَالِ رَخَائِهِ وَفِي حَالِ شِدَّتِهِ.

قَالَ ﷺ: «وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ» الْإِنْسَانُ يُبْتَلَى فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، فَتَعْرِضُ لَهُ آَلَامٌ وَمَشَاقٌّ وَمَكَارِهِ، لَكِنْ عَلَيْهِ بِالصَّبْرِ؛ لِأَنَّ الشَّدَائِدَ تَزُولُ وَلَا تَدُومُ، فَيُقَابِلُ الشَّدَائِدَ بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا حَتَّى يُزِيلَهَا اللَّهُ عَنْهُ، وَلَا يَجْزَعُ وَلَا

يَسْخَطُ، أَمَّا إِذَا جَزَعَ الْإِنْسَانُ وَسَخِطَ فَإِنَّ اللَّهَ يَخْذُلُهُ.

قَالَ ﷺ: «وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ» كُلَّمَا اشْتَدَّ الْكَرْبُ تَطَلَّعَ إِلَى الْفَرْجِ،

ذَلِكَ أَنَّ فَرْجَ اللَّهِ قَرِيبٌ، وَاللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - يَقُولُ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ

الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشَّرْح: ٥، ٦]، وَقَالَ: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ

اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البَقَرَةُ: ٢١٤]، فَإِذَا اشْتَدَّ الْأَمْرُ فَاعْلَمْ أَنَّ فَرْجَ اللَّهِ

قَرِيبٌ، وَلَا تَيَاسُ وَلَا تَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَقَدْ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ

مَسْرُورًا فَرِحًا وَهُوَ يَضْحَكُ وَيَقُولُ: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرُ يُسْرَيْنِ، لَنْ يَغْلِبَ

عُسْرُ يُسْرَيْنِ﴾ ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (١) الْعُسْرُ مَرَّةٌ وَاحِدَةٌ؛ لِأَنَّهُ

مُعَرَّفٌ بِالْأَلِفِ وَاللَّامِ، فَهُوَ عُسْرٌ وَاحِدٌ، وَالْيُسْرُ مُنْكَرٌ مُكْرَّرٌ مَرَّتَيْنِ يَقْتَضِي

التَّكْرَارَ، فَكُلُّ عُسْرٍ مَعَهُ يُسْرَانِ، وَهَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - .

فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَلَّا يَضِيقَ بِهِ الْأَمْرُ أَبَدًا، وَلَا يَقْنَطَ

مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَأَنْ يَتَوَقَّعَ الْخَيْرَ مِنَ اللَّهِ دَائِمًا وَأَبَدًا، وَلَيْسَ هُنَاكَ أَحَدٌ فِي

هَذِهِ الدُّنْيَا سَالِمٌ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَحْصُلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْبَلَاءِ، فَإِنَّ «أَشَدَّ النَّاسِ

بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ» (٢)، فَعَلَيْهِ أَنْ يُقَابِلَ هَذِهِ الْأُمُورَ بِالصَّبْرِ؛

(١) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٣/ ٣٨٠)، والحاكم في المستدرک (٢/ ٥٧٥)، والبيهقي في

شعب الإيمان (٧/ ٢٠٦) من حديث الحسن رضي الله عنه، وروى موقوفاً على ابن مسعود، وابن

عباس، وعمر، رضي الله عنهم. انظر: تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي (٤/ ٢٣٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)، والنسائي في الكبرى (٤/ ٣٥٢)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، والدارمي

في سننه (٢٧٨٣)، وأحمد في المسند (١/ ١٧٢)، وابن حبان في صحيحه (٧/ ١٦٠)، والبزار في

مسنده (٣/ ٢٤٩)، والحاكم في المستدرک (١/ ٩٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٤٢) من

فَإِنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَالْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَالْعُسْرُ يُصْبِرُ عَلَيْهِ بِانْتِظَارِ الْيُسْرِ
 مِنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، فَهُوَ - سُبْحَانَهُ - لَا يَتْرُكُ عَبْدَهُ أَبَدًا، وَلَكِنَّهُ
 يَبْتَلِيهِ لِيُظْهِرَ صَبْرَهُ وَتَحَمُّلَهُ وَإِيْمَانَهُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَهَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ
 وَوَصَايَا عَظِيمَةٌ وَصَّى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْأُمَّةَ بِوَاسِطَةِ هَذَا الْغُلَامِ الْمُبَارَكِ.



حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وترجم البخاري في صحيحه (١٠ / ١١١ مع الفتح) قال:
 (بَابُ: أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَاَلْأَمْثَلُ).

الحديث العشرون

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيِّ الْبَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيَ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» [رواه البخاري] ^(١).

وَهَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ - أَيْضًا - قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا لَمْ تَسْتَحْيَ» وَالْحَيَاءُ خَصْلَةٌ عَظِيمَةٌ تَمْنَعُ الْإِنْسَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا تَلِيْقُ بِهِ مِنَ السَّفَاسِفِ وَالرَّذَائِلِ، وَسَيِّئِ الْأَخْلَاقِ، فَالَّذِي يَسْتَحْيِي يَمْتَنِعُ مِمَّا لَا يَلِيْقُ؛ لِأَنَّ الْحَيَاءَ يَمْنَعُهُ، وَلِذَلِكَ صَارَ الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، قَالَ ﷺ: «وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» فَالَّذِي لَا يَسْتَحْيِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى ضَعْفِ إِيْمَانِهِ، وَالَّذِي يَسْتَحْيِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ إِيْمَانِهِ.

وَقَوْلُهُ: «إِذَا لَمْ تَسْتَحْيَ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» هَذَا مِنْ بَابِ التَّهْدِيدِ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، فَلَيْسَ تَخْيِيرًا لَهُ أَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَإِنَّمَا هُوَ تَهْدِيدٌ، فَالْحَيَاءُ خَصْلَةٌ عَظِيمَةٌ يَمْنَعُ الْإِنْسَانَ مِنْ كُلِّ رَذِيلَةٍ، وَيَصُونُهُ مِنْ كُلِّ مَذْمَةٍ، وَأَمَّا إِذَا فَقَدَ الْحَيَاءَ فَهُوَ مُصِيبَةٌ عَظِيمَةٌ، فَالرَّجُلُ الَّذِي لَا يَسْتَحْيِي لَا يَتَحَاشَى الْكَذِبَ، وَلَا يَتَحَاشَى سَيِّئِ الْأُمُورِ وَالسَّفَاسِفِ وَالرَّذَائِلِ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ، وَالزُّنَا، وَالسَّرِقَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. فَهَذَا فِيهِ الْحَثُّ عَلَى الْأَدَبِ وَالتَّخَلُّقِ بِالْحَيَاءِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى فَضْلِ الْحَيَاءِ، وَأَنَّهُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ، وَأَنَّ الَّذِي لَا يَسْتَحْيِي مُحْرَمٌ مِنْ هَذِهِ الْخَصْلَةِ

العَظِيمَةِ، فَلَا يُبَالِي بِمَا يَضُرُّهُ، وَيَقْدَحُ فِي دِينِهِ، وَيَقْدَحُ فِي مُرُوءَتِهِ، وَيَقْدَحُ فِي رُجُولَتِهِ. وَهُنَاكَ احْتِمَالٌ أَنَّ الْمُرَادَ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ لَا يُسْتَحْيَى مِنْ فِعْلِهِ فَافْعَلْهُ
إِنْ شِئْتَ، فَهُوَ مِنْ بَابِ الْإِذْنِ، لَا مِنْ بَابِ التَّهْدِيدِ.



الحديث الحادي والعشرون

عَنْ أَبِي عَمْرٍو - وَقِيلَ أَبِي عَمْرَةَ - سُفْيَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ. قَالَ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِم» [رواه مسلم^(١)].

هَذَا الْحَدِيثُ أَنَّ سُفْيَانَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَقُولَ لَهُ كَلَامًا جَامِعًا لِلْخَيْرِ، وَاضِحًا فِي أَسْلُوبِهِ، بِحَيْثُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَرْحٍ، وَإِلَى مَنْ يَوْضُحُهُ وَيُبَيِّنُهُ، وَيَكُونُ وَاضِحًا فِي نَفْسِهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَفُضِّلَ الْخِطَابُ، وَاللَّهُ أَقْدَرُهُ عَلَى ذَلِكَ، فَأَجَابَ هَذَا الرَّجُلَ بِكَلِمَتَيْنِ تَجْمَعَانِ لَهُ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَقُولَ: «آمَنْتُ بِاللَّهِ» ثُمَّ يَسْتَقِيمَ عَلَى ذَلِكَ، وَهَذَا كَمَا فِي الْقُرْآنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٠]، وَفِي الْآيَةِ الْآخَرَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ١٣ ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الْأَخْقَاف: ١٣، ١٤]، فَاللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - أَمَرَ نَبِيَّهُ بِذَلِكَ، وَأَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ [هُود: ١١٢]، وَقَالَ تَعَالَى لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فُصِّلَتْ: ٦].

(١) أخرجه مسلم (٣٨) وفيه: «فَاسْتَقِم»

وَقَوْلُهُ ﷺ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ» الْإِيْمَانُ - كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ وَتَكَرَّرَ بَيَانُهُ - أَنَّهُ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَاعْتِقَادٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، وَهَذَا الْحَدِيثُ يُبَيِّنُ هَذَا، «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ» هَذَا قَوْلٌ، فَيَقُولُ الْإِنْسَانُ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، وَيَكُونُ مُسْتَقِيمًا عَلَى ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ، وَيَقِينُهُ، وَمُسْتَقِيمًا عَلَيْهِ فِي أَعْمَالِهِ؛ لِأَنَّ اسْتِقَامَةَ تَعْنِي اسْتِقَامَةَ الْقَلْبِ، وَاسْتِقَامَةَ الْأَعْمَالِ، فَجَمَعَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ الْخَيْرَ كُلَّهُ فِي هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ»، فَلَا يَكْفِي أَنَّ الْإِنْسَانَ يُؤْمِنُ بِقَلْبِهِ، وَلَا يَقُولُ بِلِسَانِهِ، وَلَا يَكْفِي أَنْ يَقُولَ بِلِسَانِهِ، وَلَا يَسْتَقِمَ فِي قَلْبِهِ، وَأَعْمَالِهِ، بَلْ لَا بُدَّ مِنَ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ:

* النُّطْقُ بِاللِّسَانِ.

* وَالْإِعْتِقَادُ بِالْقَلْبِ.

* وَالْعَمَلُ بِالْجَوَارِحِ.

وَالْإِسْتِقَامَةُ مَعْنَاهَا أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مُعْتَدِلًا مُسْتَقِيمًا بَيْنَ الْغُلُوِّ وَبَيْنَ التَّسَاهُلِ، فَلَا يَكُونُ غَالِيًا وَزَائِدًا وَطَائِشًا، وَلَا يَكُونُ مُتْسَاهِلًا مُنْحَلًّا، بَلْ يَكُونُ مُعْتَدِلًا؛ وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - لِرَسُولِهِ ﷺ: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ﴾ [هُود: ١١٢]، فَالْإِسْتِقَامَةُ تَكُونُ بِحَسَبِ الْأَوَامِرِ لَا يَزِيدُ عَلَيْهَا، ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ﴾ أَيُّ: كَمَا شَرَعْنَا لَكَ، ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾ أَيُّ لَا تَزِيدُوا وَتَغْلُوا فِي الْإِسْتِقَامَةِ؛ لِأَنَّ الْخُرُوجَ عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ يَكُونُ بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ: إِمَّا بِالزِّيَادَةِ عَلَيْهَا، وَإِمَّا بِالنَّقْصِ مِنْهَا، فَالزِّيَادَةُ يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ تَرْكُهَا، أَمَّا النَّقْصُ فَالْإِنْسَانُ عُرْضَةٌ لِلنَّقْصِ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ يَسْلَمُ مِنَ النَّقْصِ، لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لَهُ الْإِسْتِغْفَارَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ

وَأَسْتَغْفِرُوهُ ﴿فُصِّلَتْ: ٦﴾، وَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا،
 وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ»^(١).
 فَقَوْلُهُ: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا» أَي: مَهْمَا عَمِلْتَ لَنْ تُحْصِيَ الدِّينَ،
 فَالِدِّينُ كَثِيرٌ وَالْأَمْرُ كَثِيرٌ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَحْصُلَ مِنْكَ تَقْصِيرٌ؛ لِأَنَّكَ عَبْدٌ
 ضَعِيفٌ، فَعَلَيْكَ بِالْإِسْتِغْفَارِ؛ لِأَنَّ الْإِسْتِغْفَارَ يَمْحُو مَا يَحْصُلُ مِنْكَ، وَيَجْبُرُ
 مَا يَحْصُلُ مِنْكَ مِنَ النِّقْصِ، فَالْإِسْتِغْفَامَةُ أَمْرٌ هَآ عَظِيمٌ، فَالْإِنْسَانُ لَا يَغْلُو وَلَا
 يَجْفُو، فَقَوْلُهُ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ» مِنْ جَوَامِعِ
 الْكَلِمِ الَّتِي أُعْطِيَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.



(١) أخرجه ابن ماجه (٢٧٧، ٢٧٨)، والدارمي في سننه (٦٥٥)، وأحمد في المسند (٢٧٦ / ٥)، ومالك في

الموطأ (٣٤ / ١)، والحاكم في المستدرک وصححه (٢٢٠ / ١) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

الحديث الثاني والعشرون

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَحَلَلْتُ الْحَلَالَ وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا. [رواه مسلم] (١).

وَمَعْنَى حَرَّمْتُ الْحَرَامَ: اجْتَنَبْتُهُ، وَمَعْنَى أَحَلَلْتُ الْحَلَالَ: فَعَلَّيْتُهِ مُعْتَقِدًا حِلَّهُ.

هَذَا الرَّجُلُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُهُ: «أَرَأَيْتَ» أَيُّ: أَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، «إِذَا صَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ» يَعْنِي: اقْتَصَرْتُ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَلَمْ أَتَنَفَّلْ، «وَصُمْتُ رَمَضَانَ» يَعْنِي: اقْتَصَرْتُ عَلَى الْفَرَضِ وَلَمْ أَصُمْ تَطَوُّعًا، «وَأَحَلَلْتُ الْحَلَالَ» أَيُّ: اعْتَقَدْتُ حِلَّهُ وَفَعَلَّيْتُهِ، وَتَنَاوَلْتُ الْحَلَالَ وَتَمَتَّعْتُ بِهِ، «وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ» أَيُّ: اعْتَقَدْتُ تَحْرِيمَهُ وَاجْتَنَبْتُهُ «أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟» قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «نَعَمْ» أَيُّ: تَدْخُلُ الْجَنَّةَ.

فَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ أَنَّ مَنْ أَدَّى الْوَاجِبَاتِ وَالْفَرَائِضَ، وَتَرَكَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَاكْتَفَى بِالْحَلَالِ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ الْمُحَرَّمَةِ، فَإِنَّهُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ. وَاللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - قَسَمَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

الْأَوَّلُ: ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ: وَهُوَ الَّذِي يَقَعُ فِي الْمَعَاصِي دُونَ الشَّرِكِ، فَهَذَا تَحْتَ مَشِيئَةِ اللَّهِ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَلَكِنْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَلَوْ

عُذِّبَ فَإِنْ مَالَهُ إِلَى الْجَنَّةِ.

وَالثَّانِي - وَهُوَ الْمَقْصُودُ بِهَذَا الْحَدِيثِ - : الْمُقْتَصِدُ الَّذِي اقْتَصَرَ عَلَى الْفَرَائِضِ، وَلَمْ يَأْتِ بِالنَّوَافِلِ، وَتَرَكَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَاكْتَفَى بِالْمُبَاحَاتِ.

الثَّالِثُ: السَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ، وَهُوَ الَّذِي أَدَّى الْوَاجِبَاتِ وَالْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ، وَتَجَنَّبَ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ وَبَعْضَ الْمُبَاحَاتِ اخْتِيَاظًا، فَهَذَا فِي أَعْلَى دَرَجَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فَاطِر: ٣٢].

فَالْمُؤْمِنُونَ لَا يَخْرُجُونَ عَنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ، وَكُلُّهُمْ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فَاطِر: ٣٣]، حَتَّى الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ فِي الْجَنَّةِ، مَا دَامَ لَيْسَ عِنْدَهُ شِرْكٌ وَلَا كُفْرٌ، وَغَايَةُ مَا هُنَالِكَ أَنَّهُ عِنْدَهُ مَعَاصٍ وَكِبَائِرٌ دُونَ الشَّرِّكَ، فَهَذَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِمَّا أَنْ يَدْخُلَهَا بِعَفْوِ اللَّهِ وَمَغْفِرَتِهِ، وَإِمَّا أَنْ يُعَذَّبَ فِي النَّارِ بِقَدْرِ مَا يُطَهِّرُهُ مِنْ ذُنُوبِهِ، ثُمَّ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ.



الحديث الثالث والعشرون

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْحَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا» [رواه مسلم] (١).

هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ فِيهِ بَيَانٌ كَثْرَةَ خِصَالِ الْخَيْرِ، وَأَعْمَالِ الْبِرِّ.
قَوْلُهُ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ» الطُّهُورُ: بِضَمِّ الطَّاءِ، أَيِ التَّطَهُّرِ، مَصْدَرٌ مِنْ طَهَرَ يَتَطَهَّرُ، وَمَعْنَاهُ التَّطَهُّرُ مِنَ الْحَدَثِ وَالنَّجَسِ، وَأَمَّا الطُّهُورُ بِالْفَتْحِ فَهُوَ مَادَّةُ التَّطْهِيرِ، وَهِيَ الْمَاءُ، أَوِ التُّرَابُ عِنْدَ فَقْدِ الْمَاءِ، هَذَا يُسَمَّى الطُّهُورَ.

والتَّطَهَّرَ نَوْعَانِ:

* تَطَهَّرَ حِسِّيٌّ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْأَنْجَاسِ بِالْمَاءِ.

* وَتَطَهَّرَ مَعْنَوِيٌّ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ.

قَوْلُهُ ﷺ: «شَطْرُ الْإِيمَانِ» يَعْنِي: نَصْفَ الْإِيمَانِ، قِيلَ: الْمُرَادُ بِالطُّهُورِ هُنَا الطُّهُورُ الْحِسِّيُّ، وَهُوَ الطَّهَارَةُ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْأَنْجَاسِ، فَإِذَا تَطَهَّرَ الطَّهَارَةَ الْحِسِّيَّةَ حَصَلَ عَلَى نَصْفِ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ الطَّهَارَةَ الْحِسِّيَّةَ شَرْطٌ لِصِحَّةِ الصَّلَاةِ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالطُّهُورِ الطُّهُورُ الْمَعْنَوِيُّ.
وَالظَّاهِرُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّهُ شَامِلٌ لِلطُّهُورَيْنِ، فَلَا يَكْفِي الطُّهُورُ الْحِسِّيُّ،
وَلَا يَكْفِي الطُّهُورُ الْمَعْنَوِيُّ، فَالَّذِي يَتَطَهَّرُ الطَّهَارَةَ الْحِسِّيَّةَ الْمَأْمُورَ بِهَا شَرْعًا،
وَالطَّهَارَةَ الْمَعْنَوِيَّةَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، حَصَلَ عَلَى نَصْفِ الْإِيمَانِ، وَبَقِيَ
فِي حَقِّهِ النِّصْفُ الثَّانِي وَهُوَ الْعَمَلُ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ - كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ - قَوْلٌ
وَعَمَلٌ وَاعْتِقَادٌ.

قَوْلُهُ ﷺ: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ» الْحَمْدُ: الثَّنَاءُ عَلَى الْمُنْعِمِ، وَهِيَ
كَلِمَةٌ إِذَا قَالَهَا الْإِنْسَانُ فَإِنَّهَا تَمْلَأُ مِيزَانَ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّ الْحَسَنَاتِ
وَالسَّيِّئَاتِ تُوزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْمَوَازِينِ، وَهِيَ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ يَنْبَغِي عَلَى الْعَبْدِ
أَنْ يَقُولَهَا بِصِدْقٍ، وَيُثْنِيَ عَلَى اللَّهِ بِصِدْقٍ، وَيُقَيِّدَ النِّعَمَ بِالشُّكْرِ، وَيَصْرِفَهَا
فِي طَاعَةِ اللَّهِ، فَلَيْسَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بِاللِّسَانِ فَقَطْ، بَلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بِاللِّسَانِ
وَالْعَمَلِ أَيْضًا.

قَالَ ﷺ: «وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ» كَلِمَتَانِ، «سُبْحَانَ اللَّهِ» مَعْنَاهَا تَنْزِيهُهُ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - عَمَّا لَا
يَلِيقُ بِهِ؛ تَنْزِيهُهُ عَنِ الشُّرَكَاءِ، وَتَنْزِيهُهُ عَنِ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ، «وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ» - كَمَا سَبَقَ - ثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا. «تَمْلَأَانِ - أَوْ تَمْلَأُ» الْكَلِمَةُ
الْوَاحِدَةُ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَمَعْلُومٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِنَ
الْفَضَاءِ الْوَاسِعِ، وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ
ﷺ سَأَلَهُمْ فَقَالَ: «هَلْ تَذَرُونَ كَمَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟» قَالَ: قُلْنَا اللَّهُ
وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ

مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَكَثِفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ^(١)، فَهَاتَانِ الْكَلِمَتَانِ إِذَا قَاهُمَا الْإِنْسَانُ بِصِدْقٍ وَنِيَّةٍ خَالِصَةٍ يَمْلَأَنِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ عَلَى سِعَةِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؛ لِعِظَمِ هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ، لَا لِلْفُظْهِمَا، وَلَكِنْ لِمَعْنَاهُمَا وَالْعَمَلِ بِهِمَا، فَلَيْسَ الْمُقْصُودُ التَّلَفُّظُ بِاللِّسَانِ فَقَطُّ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِمَا.

قَالَ: «وَالصَّلَاةُ نُورٌ» الصَّلَاةُ الْمَفْرُوضَةُ وَالنَّافِلَةُ نُورٌ فِي الْوَجْهِ، فَتَجِدُ الْمُضِيِّعِينَ لِلصَّلَاةِ عَلَى وُجُوهِهِمُ الظُّلْمَةُ وَالْكُدْرَةُ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - وَتَجِدُ الْمُحَافِظِينَ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالْمُتَهَجِّدِينَ فِي اللَّيْلِ عَلَى وُجُوهِهِمُ الضِّيَاءُ وَالنُّورُ وَالْبَشَاشَةُ، هَذَا شَيْءٌ وَاضِحٌ لِلنَّاسِ إِذَا تَأَمَّلْتَهُ، فَالصَّلَاةُ نُورٌ لَكَ فِي وَجْهِكَ، وَنُورٌ لَكَ عَلَى الصَّرَاطِ، وَنُورٌ لَكَ فِي سُلُوكِكَ وَحَيَاتِكَ، قَالَ تَعَالَى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وَقَالَ:

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، فَالصَّلَاةُ أَمْرُهَا عَظِيمٌ.

قَالَ: «وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ» الصَّدَقَةُ: هِيَ إِخْرَاجُ الْمَالِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَقَوْلُهُ: «بُرْهَانٌ» أَيُّ: دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُودُ بِالْمَالِ مَعَ حُبِّهِ لَهُ إِلَّا مَنْ فِي قَلْبِهِ إِيمَانٌ، وَإِلَّا فَالْمَالُ مُحَبَّبٌ إِلَى النَّفْسِ، وَالنَّفْسُ شَحِيحَةٌ، فَإِذَا قَدَّمَ الْإِنْسَانُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَهَذَا بُرْهَانٌ عَلَى إِيْمَانِهِ، حَيْثُ رَخِصَ عِنْدَهُ الْمَالُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -.

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٠٦/١، ٢٠٧)، والحاكم في المستدرک (٣١٦/٢، ٤١٠)،

وقال: (حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

أَمَّا الْمُنَافِقُ فَهُوَ لَا يَتَصَدَّقُ، بَلْ يَقْبِضُ يَدَيْهِ عَنِ الصَّدَقَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ [التَّوْبَةُ: ٥٤]، وَقَالَ: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التَّوْبَةُ: ٦٧]، فَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ عَلَى الْإِيمَانِ، وَقِلَّةُ الصَّدَقَةِ أَوْ عَدَمُهَا دَلِيلٌ عَلَى النِّفَاقِ، كَمَا وَصَفَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ بِذَلِكَ.

قَالَ: «وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ» الصَّبْرُ: وَهُوَ حَبْسُ النَّفْسِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ^(١):

الْأَوَّلُ: صَبْرٌ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعَبْدِ مُلَازِمَةُ الطَّاعَةِ وَلَوْ شَقَّتْ عَلَى نَفْسِهِ؛ لِأَنَّ الطَّاعَةَ لَيْسَتْ سَهْلَةً، فَالَّذِي يُصَلِّي كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ وَيَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ، يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ، وَالَّذِي يُنْفِقُ الْأَمْوَالَ، وَيُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَدْعُو إِلَى اللَّهِ، يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَالَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ صَبْرٌ لَا يُوَاصِلُ الطَّاعَةَ، فَيَنْشَطُ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ وَثَانِي يَوْمٍ ثُمَّ يَتَعَبُ وَيَتْرُكُ الطَّاعَةَ، وَلَوْ كَانَ عِنْدَهُ صَبْرٌ لاسْتَمَرَ عَلَيْهَا.

الثَّانِي: صَبْرٌ عَنْ مُحَارِمِ اللَّهِ، لَا شَكَّ أَنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ - إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ - تُرِيدُ الشَّهَوَاتِ وَالْمُحَرَّمَاتِ، وَتُرِيدُ أَنْ تُصْبِحَ مِثْلَ النَّاسِ وَتُسَائِرَهُمْ، فَالْمُؤْمِنُ يَصْبِرُ وَيَحْبِسُ نَفْسَهُ عَنِ الْحَرَامِ، وَلَا يَغْتَرُّ بِكَثْرَةِ الْوَاقِعِينَ فِي الْحَرَامِ.

الثَّالِثُ: صَبْرٌ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ الْمُؤَلِّمَةِ، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَصْبِرَ إِذَا أَصَابَتْهُ

(١) انظر تفصيل الكلام على مراتب الصبر ومنازله في: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص ١٣ وما بعدها)، ومدارج السالكين (٢/ ١٥٢ - ١٧٠)، وتيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (ص ٤٥١) باب: من الإيثار بالله الصبر على أقدار الله.

مُصِيبَةٍ فِي مَالِهِ، أَوْ فِي نَفْسِهِ، أَوْ فِي أَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ، وَلَا يَجْزَعُ، وَلَا يَتَسَخَّطُ، وَيَرْضَى بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ وَيُسَلِّمُ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَا مِنْ شَيْءٍ يَحْدُثُ لَهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ إِلَّا بِتَقْدِيرِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا -، فَلَيْسَ لَهُ حِيلَةٌ، فَإِذَا صَبَرَ فَلَهُ أَجْرٌ، وَإِنْ لَمْ يَصْبِرْ فَالْمُصِيبَةُ مَاضِيَةٌ وَيُحْرَمُ الْأَجْرُ، فَكَمَا أَنَّهُ يَشْكُرُ اللَّهَ عَلَى نِعَمِهِ، عَلَيْهِ أَنْ يَصْبِرَ عِنْدَ الْمَصَائِبِ.

وَفِي قَوْلِهِ ﷺ: «وَالصَّلَاةُ نُورٌ... وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ» النُّورُ وَالضِّيَاءُ سَوَاءٌ لَكِنَّ الضِّيَاءَ أَشَدُّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يُونُس: ٥]، لَا شَكَّ أَنَّ الشَّمْسَ بِحَرَارَتِهَا الشَّدِيدَةِ أَشَدُّ مِنَ الْقَمَرِ، فَالصَّبْرُ يَحْمِلُ الْإِنْسَانَ عَلَى الْاسْتِمْرَارِ فِي الطَّاعَةِ حَيْثُ يُضِيءُ لَهُ الطَّرِيقَ، وَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ مَشَاقُّ أَوْ مَكَارِهِ فَإِنَّ الطَّرِيقَ يَكُونُ أَمَامَهُ وَاضِحًا وَلَا يَلْتَبِسُ عَلَيْهِ.

قَالَ: «وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ» الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ؛ لِهِدَايَةِ النَّاسِ وَبَيَانِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، إِنْ عَمِلْتَ بِهِ صَارَ حُجَّةً لَكَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ صَارَ حُجَّةً عَلَيْكَ، وَلَيْسَ لَكَ عُذْرٌ فِي عَدَمِ الْعَمَلِ بِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ جَاءَكَ، فَهُوَ يُتْلَى فِي الْمَسَاجِدِ، وَفِي الْمَجَالِسِ، وَفِي الْإِذَاعَاتِ، وَأَيْضًا الْقُرْآنُ مُيسَّرٌ لِكُلِّ مَنْ يُرِيدُ تَعَلُّمَهُ، وَهَذَا مِنْ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى النَّاسِ، فَلَا تَزَالُ تَرَى الْمُصْحَفَ، وَلَا تَزَالُ تَسْمَعُ الْقَارِئَ، وَلَا تَزَالُ تَقْرَأُ أَنْتَ، فَقَدْ بَلَغَكَ الْقُرْآنُ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ عُذْرٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَقُولَ: مَا عَلِمْتُ وَمَا بَلَغَنِي شَيْءٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ٦٦]، فَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ إِنْ عَمِلْتَ بِهِ، أَوْ حُجَّةٌ عَلَيْكَ إِنْ تَرَكْتَهُ وَلَمْ تَعْمَلْ بِهِ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو» الْغُدُوُّ: هُوَ الذَّهَابُ صَبَاحًا مِنْ

البيوت، فالنَّاسُ يَخْرُجُونَ مِنَ الْبُيُوتِ أَوَّلَ النَّهَارِ، أَيَّنَ يَذْهَبُونَ؟ يَذْهَبُونَ إِلَى أَعْمَالِهِمْ، إِمَّا بَيْعًا، وَإِمَّا شِرَاءً، وَإِمَّا وَظِيفَةً، لَيْسَ هُنَاكَ أَحَدٌ يَجْلِسُ فِي الْبَيْتِ إِلَّا مَرِيضٌ أَوْ النِّسَاءُ، أَمَّا الرَّجُلُ فَإِنَّهُ يَخْرُجُ وَلَا يَبْقَى فِي الْبَيْتِ إِلَّا إِذَا صَارَ مَرِيضًا أَوْ هَرِمًا.

وَخُرُوجُ الْعَبْدِ مِنْ بَيْتِهِ إِمَّا أَنْ يُوقِعَهُ فِي الشَّرِّ، وَإِمَّا أَنْ يُوقِعَهُ فِي الْخَيْرِ، فَإِنْ ذَهَبَ إِلَى طَلَبِ الْعِلْمِ وَإِلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ فَإِنَّهُ يَكْسِبُ خَيْرًا، وَإِنْ ذَهَبَ إِلَى الْمَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ وَالشُّرُورِ وَالْفِتَنِ فَإِنَّهُ يَكْسِبُ شَرًّا، فَهُوَ بَعْدُوه وَذَهَابِهِ مِنْ بَيْتِهِ إِمَّا أَنْ يَذْهَبَ إِلَى خَيْرٍ، وَإِمَّا أَنْ يَذْهَبَ إِلَى شَرٍّ.

قَالَ: «فَبَائِعُ نَفْسِهِ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا» فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُوقِّعُهُ اللَّهُ فَيُعْتِقُ نَفْسَهُ بِالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ وَالرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ وَالنَّدَمِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرْكَنُ إِلَى الْمَعَاصِي وَالشُّرُورِ وَالْفِتَنِ فَيُوبِقُ نَفْسَهُ، أَيُّ: يُهْلِكُهَا، فَالْإِنْسَانُ فِي خُرُوجِهِ فِي الصَّبَاحِ إِلَى أَعْمَالِهِ لَا يَخْلُو مِنْ أَحَدِ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يُعْتِقَ نَفْسَهُ، وَإِمَّا أَنْ يُوْبِقَهَا. فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَذَكَّرَ هَذَا، وَأَنْ يَتَحَفَّظَ فِي خُرُوجِهِ وَذَهَابِهِ، فَيَحْفَظُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَجَوَارِحَهُ، لِيَكُونَ مِمَّنْ أَعْتَقَ نَفْسَهُ، أَمَّا إِذَا لَمْ يَحْفَظْ هَذِهِ الْجَوَارِحَ وَهَذِهِ الْأَعْضَاءَ فَإِنَّهُ يَكُونُ مِمَّنْ أُوْبِقَ نَفْسَهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

فَهَذَا حَدِيثٌ جَامِعٌ لِحِصَالِ الْخَيْرِ، وَمُحَذَّرٌ مِنْ خِصَالِ الشَّرِّ، وَهُوَ مَنْهَجٌ عَظِيمٌ لِلْمُسْلِمِ يَسِيرُ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ، وَيُفَكِّرُ فِي نَجَاتِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَنْ جَعَلَ لَنَا مَجَالًا وَاسِعًا لِفِعْلِ الْخَيْرِ، وَإِذَا قَارَفَ الْعَبْدُ ذَنْبًا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مَجَالًا وَاسِعًا لِلتَّوْبَةِ، وَلَمْ يُعَاجِلْهُ بِالْعُقُوبَةِ، وَإِنَّمَا أَمْهَلَهُ وَأَعْطَاهُ الْمُهْلَةَ وَالْقُدْرَةَ، فَلْيَنْظُرِ الْعَبْدُ إِلَى نَفْسِهِ هَلْ يُهْلِكُهَا أَوْ يُنْقِذُهَا بِأَفْعَالِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ.

الحديث الرابع والعشرون

عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وسلّم فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمَكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكَسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ كَانُوا عَلَى أَثْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِّكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» [رواه مسلم^(١)].

هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ يَرْوِيهِ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وسلّم عَنْ رَبِّهِ، وَهُوَ مَا يُسَمَّى بِالْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ، نِسْبَةً إِلَى الْقُدْسِ، وَهُوَ الطُّهْرُ؛ لِأَنَّ الْحَدِيثَ عَلَى قِسْمَيْنِ: الْأَوَّلُ: حَدِيثٌ قُدْسِيٌّ، وَهُوَ مَا كَانَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لَفْظُهُ وَمَعْنَاهُ.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

الثَّانِي: حَدِيثُ نَبِيِّ، وَهُوَ مَا كَانَ مِنْ كَلَامِ الرَّسُولِ ﷺ.

فَالْحَدِيثُ الْقُدْسِيُّ لَفْظُهُ وَمَعْنَاهُ مِنَ اللَّهِ، وَيَرْوِيهِ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ رَبِّهِ، بِلَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ، وَأَمَّا الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ فَمَعْنَاهُ مِنَ اللَّهِ، أَيُّ: هُوَ وَحْيٍ مِنَ اللَّهِ، وَلَفْظُهُ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ.

فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أُمُورٌ عَظِيمَةٌ:

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ: «يَا عِبَادِي» وَتَكَرَّرَ ذَلِكَ مَعَ كُلِّ فَقْرَةٍ مِنْ فَقَرَاتِ الْحَدِيثِ يَدُلُّ عَلَى تَلَطُّفِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - بِعِبَادِهِ، وَرَأْفَتِهِ بِهِمْ، فَإِنَّهُ غَنِيٌّ عَنْهُمْ، وَمَعَ ذَلِكَ يَدْعُوهُمْ، وَيُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ؛ لِأَجْلِ مَصْلَحَتِهِمْ.

وَالْعِبَادُ: جَمْعُ عَبْدٍ، وَالْعُبُودِيَّةُ: هِيَ التَّذَلُّلُ وَالْخُضُوعُ لِلَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، فَكُلُّ النَّاسِ مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ، وَجَنَّتِهِمْ وَإِنْسِيهِمْ، وَمَلَائِكَتِهِمْ، كُلُّ الْخَلْقِ عِبَادٌ لِلَّهِ بِالْمَعْنَى الْعَامِ، كُلُّهُمْ عِبَادٌ لِلَّهِ مَمْلُوكُونَ لَهُ، يَتَصَرَّفُ فِيهِمْ مَخْلُوقُونَ لِلَّهِ، لَا أَحَدَ يَخْرُجُ عَنْ هَذَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مَزِيم: ٩٣]، وَهَذِهِ عُبُودِيَّةٌ قَهْرٌ وَاضْطِرَارٍ، لَا أَحَدَ يَخْرُجُ عَنْهَا، تَجْرِي عَلَيْهِمْ أَقْدَارُ اللَّهِ وَقَضَاؤُهُ.

النَّوْعُ الثَّانِي: عُبُودِيَّةٌ خَاصَّةٌ، وَهِيَ عُبُودِيَّةُ الْإِخْتِيَارِ، وَتَكُونُ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِنْقِيَادِ لَهُ، وَهِيَ بِإِخْتِيَارِ الْعَبْدِ إِنْ شَاءَ فَعَلَهَا وَإِنْ شَاءَ تَرَكَهَا، فَهِيَ عُبُودِيَّةٌ خَاصَّةٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾

[الْحَجَر: ٤٢]، ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ الْمُرَادُ الْعُبُودِيَّةُ الْخَاصَّةُ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ، لَيْسَ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ حَمَاهُمْ مِنْهُ، بِسَبَبِ أَنَّهُمْ لَجَأُوا إِلَى اللَّهِ وَعَبَدُوهُ سُبْحَانَهُ، فَهَذِهِ عُبُودِيَّةٌ خَاصَّةٌ. فَاللَّهُ يُخَاطَبُ جَمِيعَ الْعِبَادِ - الْعُبُودِيَّةِ

الْعَامَّةَ، وَالْعُبُودِيَّةَ الْخَاصَّةَ - فَيَقُولُ: «يَا عِبَادِي» بِهَذَا النِّدَاءِ الْإِلَهِيِّ.
 قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: «إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا» الظُّلْمُ فِي اللُّغَةِ: وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَهُوَ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامُ:
 الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: ظُلْمٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ، وَذَلِكَ بِالشَّرِكِ، وَهَذَا لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ،
 قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [الْقَمَان: ١٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الْأَنْعَام: ٨٢]، يَعْنِي بِشِرْكِ، هَذَا لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ
 إِلَّا بِالتَّوْبَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النِّسَاء: ٤٨].

النَّوعُ الثَّانِي: ظُلْمٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَنَفْسِهِ، وَذَلِكَ بِالْمَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ فَهُوَ
 الَّذِي ظَلَمَ نَفْسَهُ، يَعْنِي وَضَعَهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا اللَّائِقِ بِهَا، ظَلَمَ نَفْسَهُ فِيمَا
 دُونَ الشَّرِكِ، وَهَذَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لِمَنْ يَشَاءُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ
 اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨].

النَّوعُ الثَّالِثُ: ظُلْمٌ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالنَّاسِ، بِالتَّعَدِّي عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ
 وَأَعْرَاضِهِمْ وَدِمَائِهِمْ، وَهَذَا لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ إِلَّا إِذَا سَمَحَ الْمَظْلُومُونَ، وَإِلَّا فَلَا بُدَّ
 أَنْ يُقْتَصَّ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ؛ لِأَنَّهُ حَقُّ مَخْلُوقٍ لَا يَسْقُطُ إِلَّا بِعَفْوِهِ أَوْ
 اسْتِيفَائِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى حَرَّمَ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِهِ، يَعْنِي: مَنَعَ نَفْسَهُ مِنَ الظُّلْمِ؛ لِأَنَّهُ
 لَا يَلِيقُ بِهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، فَلَا يُعَذِّبُ أَحَدًا بِغَيْرِ عَمَلِهِ، لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا إِلَّا
 بِمَا عَمِلَ، وَهَذَا هُوَ الْعَدْلُ، أَمَّا لَوْ عَذَّبَهُ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَعْمَلْهُ، فَهَذَا ظُلْمٌ، وَاللَّهُ
 سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنْهُ؛ لِقَوْلِهِ: «إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي».

قَوْلُهُ: «وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ» أَيِّ بَيْنَ الْعِبَادِ، «مُحَرَّمًا» حَرَّمَ اللَّهُ الظُّلْمَ،
 وَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَأْخُذُ الظَّالِمِينَ وَيُهْلِكُهُمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا

عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٢﴾ [إِبْرَاهِيم: ٤٢]، فَمَهْمَا ظَلَمَ الْإِنْسَانُ وَتَمَادَى فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُوَاجِهَ وَيُلَاقِيَ ظُلْمَهُ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِمُعَاذٍ رَضِيَ عَنْهُ: «وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» ^(١) سَوَاءً كَانَ الْمَظْلُومُ مُسْلِمًا أَوْ كَافِرًا، لَا يَجُوزُ ظُلْمُ أَحَدٍ، حَتَّى الْكُفَّارِ لَا يَجُوزُ ظُلْمُهُمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨]، وَدُعَاءُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابٌ وَلَوْ كَانَ كَافِرًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَا يَرْضَى بِالظُّلْمِ وَالتَّعَدِي.

قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: «فَلَا تَظَالَمُوا» أَيُّ لَا يَظْلِمُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، هَذَا تَحْذِيرٌ مِنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مِنْ تَظَالُمِ الْعِبَادِ، وَقَدْ حَذَّرَ اللَّهُ مِنَ الظُّلْمِ فِي كِتَابِهِ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَتَوَعَّدَ الظَّالِمِينَ، وَضَرَبَ لَنَا الْأَمْثَلَةَ لِلظُّلْمَةِ الَّذِينَ أَخَذَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، تَحْذِيرًا لَنَا مِنَ الظُّلْمِ، وَمِنْ عَادَةِ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ ظُلُومٌ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، إِلَّا مَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْدِّينِ وَالْإِيمَانِ فَإِنَّهُ يَتَطَهَّرُ مِنْ هَذِهِ الْخَصْلَةِ. قَالَ الْمُتَنَبِّي: ^(٢)

وَالظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النُّفُوسِ فَإِنْ تَجَدَّدَا عِفَّةً فَلِعِلَّةٍ لَا يَظْلِمُ
قَالَ سُبْحَانَهُ: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ»
كُلُّ الْعِبَادِ ضَالُّونَ عَنِ الْحَقِّ، إِلَّا مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ، أَيُّ: دَلَّهُ وَأَرْشَدَهُ إِلَى الْحَقِّ وَثَبَّتَهُ، فَلَوْلَا هِدَايَةُ اللَّهِ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ، وَإِنْزَالِ الْكُتُبِ، وَنَضْبِ الْأَدِلَّةِ لِلنَّاسِ لَبَقُوا فِي ضَلَالِهِمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ مِنْ رَحْمَتِهِ بِهِمْ هَدَاهُمْ، وَدَلَّهُمْ،

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩).

(٢) انظر: ديوان المتنبّي (١/١٦٦).

وَأَرْشَدَهُمْ، وَوَفَّقَهُمْ، وَثَبَّتَهُمْ، وَالْهِدَايَةُ عَلَى قِسْمَيْنِ:

الأوّل: هِدَايَةٌ بِمَعْنَى الْبَيَانِ وَالْإِرْشَادِ، وَهَذِهِ حَاصِلَةُ لِكُلِّ أَحَدٍ، فَاللَّهُ قَدْ هَدَى النَّاسَ جَمِيعًا الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرَ، بِمَعْنَى أَنَّهُ بَيَّنَّ لَهُمْ وَأَرْشَدَهُمْ وَدَهَّاهُمْ عَلَى الصَّوَابِ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ، وَإِنْزَالِ الْكُتُبِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧]،

﴿فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ يَعْنِي دَلَّلْنَاهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ، وَعَلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَقْبَلُوا الْهُدَى، بَلِ اسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى، هَذِهِ هِدَايَةٌ عَامَّةٌ.

الثاني: هِدَايَةٌ خَاصَّةٌ، وَهِيَ هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ وَالْقَبُولِ، وَهَذِهِ لَا يَنَالُهَا إِلَّا أَهْلُ الْإِيمَانِ، فَقَوْلُهُ: «كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ» يَعْنِي: وَفَّقْتُهُ لِلْحَقِّ، وَهِيَ الْهِدَايَةُ الْخَاصَّةُ، أَمَّا الْهِدَايَةُ الْعَامَّةُ فَهِيَ حَاصِلَةُ لِكُلِّ أَحَدٍ.

قَوْلُهُ: «فَاسْتَهِدُونِي» أَيُّ: اطْلُبُوا مِنِّي الْهِدَايَةَ، بِأَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي، اللَّهُمَّ دُلَّنِي عَلَى الْخَيْرِ، اللَّهُمَّ وَفَّقْنِي لَهُ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْنِي عَلَيْهِ، تُكثِّرُ مِنَ الدُّعَاءِ أَنْ يَهْدِيكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

«أَهْدِكُمْ» هَذَا جَوَابُ الْأَمْرِ، فَمَنْ طَلَبَ مِنَ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - الْهِدَايَةَ بِصِدْقٍ وَإِقْبَالٍ وَرَغْبَةٍ هَدَاهُ؛ لِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وَقَدْ وَعَدَ أَنَّ مَنْ اسْتَهِدَاهُ فَإِنَّهُ يَهْدِيهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ. فَهَذَا مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يُكْثِرَ مِنْ سُؤَالِ اللَّهِ الْهِدَايَةَ.

قَالَ: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ» الرِّزْقُ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، فَهُوَ الرِّزَاقُ، وَلَوْ لَا رِزْقُهُ لَجَاعَ النَّاسُ وَجَاعَتِ الْمَخْلُوقَاتُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَقُومُ بِرِزْقِهَا وَإِصَالِ الرِّزْقِ إِلَيْهَا تَفْضُلًا مِنْهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، فَالرِّزْقُ

لَيْسَ بِحَوْلِنَا وَلَا قُوَّتِنَا وَإِنَّمَا هُوَ تَفَضُّلٌ مِنَ اللَّهِ، لَكِنْ نَحْنُ نَعْمَلُ الْأَسْبَابَ لِطَلَبِ الرِّزْقِ، وَالتَّائِيحُ بِيَدِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - .

قَالَ: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ» عَارٍ مِنَ الثِّيَابِ الَّتِي يَسْتُرُ بِهَا عَوْرَتَهُ، وَيَسْتَدْفِي بِهَا وَيَتَجَمَّلُ بِهَا، هَذِهِ مِنَ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا -، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تِكُمْ وَرِيثًا﴾ [الأعراف: ٢٦]، ﴿يُورِي سَوْءَ تِكُمْ﴾ يَعْنِي: يَسْتُرُ عَوْرَاتِكُمْ، ﴿وَرِيثًا﴾ يَعْنِي زِينَةً وَجَمَالًا، فَالْلبَّاسُ عَلَى قِسْمَيْنِ:

الأوَّل: لِبَاسٌ لِسِتْرِ الْعَوْرَةِ.

الثَّانِي: لِبَاسٌ لِلتَّجَمُّلِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: «فَاسْتَكْسُونِي» أَيِ اطْلُبُوا مِنِّي الْكِسْوَةَ «أَكْسُكُمْ»؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَرِيبٌ مُجِيبٌ، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى ضَعْفِ الْإِنْسَانِ وَحَاجَتِهِ إِلَى اللَّهِ، إِذَا كَانَ لَا يَمْلِكُ طَعَامَهُ، وَلَا يَمْلِكُ كِسْوَتَهُ، إِلَّا بِأَنْ يَطْلُبَ مِنَ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِ، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى ضَعْفِهِ، وَدَلِيلٌ عَلَى فَضْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَهُوَ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَهُوَ الَّذِي كَسَانَا مِنْ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - .

قَوْلُهُ: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» تُخْطِئُونَ: تَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ، وَالْخَطَايَا؛ لِأَنَّ هَذِهِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ، أَنَّهُ كَثِيرُ الْخَطَا، قَالَ ﷺ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»^(١)، فَالْعِبَادُ يُخْطِئُونَ خَطَايَا كَثِيرَةً،

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، والدارمي (٢٧٢٧)، وأحمد في المسند

(٢/ ٣٨٤)، (٣/ ١٩٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦٢/ ٧)، وأبو يعلى في مسنده (٣٠١/ ٥)،

وَهُمْ بِحَاجَةٍ إِلَى أَنْ يَطْلُبُوا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الْمَغْفِرَةَ لِهَذِهِ الْخَطَايَا، وَلَا أَحَدَ مَعْصُومٍ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وَالْعِلَاجُ أَنْ تَسْتَغْفِرَ وَتُكْثِرَ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ، فَإِذَا اسْتَغْفَرْتَ اللَّهُ غَفَرَ لَكَ، «فَاسْتَغْفِرُونِي» أَيِ اطْلُبُوا مِنِّي الْمَغْفِرَةَ لِأَخْطَائِكُمْ، «أَغْفِرْ لَكُمْ» وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢]، وَمِنْ أَسْمَائِهِ الْغُفُورُ وَالْغَفَّارُ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ كَثِيرُ الْمَغْفِرَةِ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ لِمَن تَابَ إِلَيْهِ^(١)، فَلَا أَحَدَ يُزَكِّي نَفْسَهُ وَيَقُولُ: أَنَا صَالِحٌ، أَنَا تَقِيٌّ، أَنَا أَعْمَلُ الطَّاعَاتِ. بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَقَعَ مِنْهُ أَخْطَاءٌ، فَهُوَ بِحَاجَةٍ إِلَى الِاسْتِغْفَارِ، مَهْمَا بَلَغَ مِنَ الصَّالِحِ وَالْأَعْمَالِ، وَاللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - يَغْفِرُ الْكُفْرَ وَالشِّرْكَ لِمَن تَابَ وَاسْتَغْفَرَ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ مِنْ الذُّنُوبِ جَمِيعًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزُّمَر: ٥٣]، فَلَيْسَ هُنَاكَ ذَنْبٌ يَخْرُجُ عَنْ مَغْفِرَةِ اللَّهِ أَبَدًا، فَلَا تَيْأَسْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَتَتْرِكِ التَّوْبَةَ وَالِاسْتِغْفَارَ، وَلَا تَقُلْ: إِنَّ هَذَا الذَّنْبَ لَا يُغْفَرُ، بَلْ بَادِرْ بِالِاسْتِغْفَارِ صَادِقًا، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

والحاكم في المستدرک وصححه (٢٧٢ / ٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٢٠ / ٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(١) قال ابن القيم رحمته الله في النونية:

وَهُوَ الْغُفُورُ فَلَوْ أُتِيَ بِقُرَابِهَا مِنْ غَيْرِ شِرْكَ بَلْ مِنَ الْعِصْيَانِ

لَأَنَّهُ بِالسُّغْفَرَانِ مِلءٌ قُرَابِهَا سُبْحَانَهُ هُوَ وَاسِعُ الْغُفْرَانِ

انظر: النونية بشرح ابن عيسى (٢٣١ / ٢).

ثُمَّ قَالَ - سُبْحَانَهُ -: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي» اللَّهُ غَنِيٌّ عَنْ عِبَادِهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، فَمَنْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ وَعَصَى اللَّهَ فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا -، وَإِنَّمَا يَضُرُّ نَفْسَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إِبْرَاهِيم: ٨]، فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَيْسَ بِحَاجَةٍ إِلَى عِبَادَتِنَا وَطَاعَتِنَا، وَإِنَّمَا أَمَرْنَا بِهَا لِحَاجَتِنَا نَحْنُ إِلَيْهَا فَضْلًا مِنْهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، «وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي» مَهْمَا فَعَلْتَ الطَّاعَاتِ وَالْحَسَنَاتِ فَإِنَّكَ لَا تَنْفَعُ اللَّهَ بِهَا، وَإِنَّمَا تَنْفَعُ نَفْسَكَ، فَأَنْتَ الَّذِي بِحَاجَةٍ إِلَيْهَا، «وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي» فَاللَّهُ لَا يَتَضَرَّرُ بِالْمَعَاصِي، وَلَا يَنْتَفِعُ بِالطَّاعَاتِ؛ لِأَنَّهُ غَنِيٌّ عَنْ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا هَذَا يَرْجِعُ إِلَى الْعَبْدِ، طَاعَتُهُ لَهُ وَمَعْصِيَتُهُ عَلَيْهِ، فَاللَّهُ هُوَ النَّافِعُ الضَّارُّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

قَالَ - سُبْحَانَهُ -: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ» أَوَّلُ الْخَلِيقَةِ وَآخِرُ الْخَلِيقَةِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، «لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْ سَكُم» وَهُمْ بَنُو آدَمَ «وَجَنَّتُمْ» وَهُمْ الْعَالَمُ الثَّانِي، الْجَنُّ عَالَمٌ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ لَا نَرَاهُمْ؛ وَلِذَلِكَ سُمُّوا بِالْجِنِّ مِنَ الْاجْتِنَانِ وَهُوَ الْاِخْتِفَاءُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ يَرَبُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الْأَعْرَاف: ٢٧]، فَهُمْ مَوْجُودُونَ وَيَعِيشُونَ مَعَنَا، وَمِنْهُمْ مُؤْمِنٌ وَكَافِرٌ، وَمِنْهُمْ مُطِيعٌ وَعَاصٍ، وَمِنْهُمْ بَارٌّ وَشَقِيٌّ، مِثْلَ بَنِي آدَمَ، وَهُمْ عَالَمٌ مِنَ الْعَالَمِ الْغَيْبِ لَا نَرَاهُمْ.

قَالَ - سُبْحَانَهُ -: «كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ» لَوْ كَانُوا كُلُّهُمْ صَالِحِينَ بَرَّةً لَا يَقَعُ مِنْهُمْ خَطَأٌ «مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا»؛ لِأَنَّ اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - لَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ الْمُطِيعِ؛ لِأَنَّهُ غَنِيٌّ عَنْ ذَلِكَ، فَمُلْكُ اللَّهِ تَامٌ، وَلَا تَزِيدُهُ طَاعَةُ الطَّائِعِينَ.

قَالَ - سُبْحَانَهُ -: «لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبٍ رَجُلٍ وَاحِدٍ» لَوْ كَفَرَ النَّاسُ جَمِيعًا، فَإِنَّ مُلْكَ اللَّهِ تَامٌ وَلَا يَنْقُصُ بِسَبَبِ كُفْرِ الْمَخْلُوقِينَ، إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا؛ وَلِهَذَا قَالَ - جَلَّ وَعَلَا -:

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إِسْرَاهِيم: ٨]، فَلَا يَغْتَرُّ الْإِنْسَانُ بِعَمَلِهِ وَطَاعَاتِهِ وَيَمُنُّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَىٰ بِهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الْحُجُرَات: ١٧] فَاَلْمِنَّةُ لِلَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -.

قَالَ - سُبْحَانَهُ -: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ» الصَّعِيدُ: مَا تَصَاعَدَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، «فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ» يَعْنِي: فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، فَإِذَا اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ جَنَّتُمْ وَإِنْسَهُمْ أَوَّلُهُمْ وَآخِرُهُمْ وَكُلُّ وَاحِدٍ سَأَلَ اللَّهَ حَاجَاتِهِ. قَالَ: «فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي»؛ لِأَنَّ «يَمِينُ اللَّهِ مَلَأَى لَا يُغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَاءُ اللَّيْلِ

وَالنَّهَارِ»^(١)، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الْمُنَافِقُونَ: ٧]، فَلَا تَنْقُصُ خَزَائِنُ اللَّهِ بِالْإِنْفَاقِ أَبَدًا، فَاَلْمَخْلُوقُ الَّذِي يُنْفِقُ يَنْقُصُ مَالُهُ وَيَنْقُصُ مَا عِنْدَهُ، أَمَّا اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - فَإِنَّهُ يُنْفِقُ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ، وَلَا يُنْقِصُ ذَلِكَ مِنْ خَزَائِنِهِ شَيْئًا؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ غَنِيٌّ الْغِنَى الْمُطْلَقُ، «فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ» عَلَى كَثَرَةِ السَّائِلِينَ: الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَكُلُّ وَاحِدٍ لَهُ مَسْأَلَةٌ خَاصَّةٌ، وَقَدْ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَسْأَلَتَهُ، فَإِنَّ هَذَا لَا يُنْقِصُ مِنْ خَزَائِنِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، هَذَا يَدُلُّ عَلَى غِنَاهُ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -،

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٩)، ومسلم (٩٩٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فَكُلُّ الْمَخْلُوقَاتِ تَتَعَيَّشُ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يَنْقُصُ مَا عِنْدَهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - .

قَالَ: «قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ» أَيُّ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ «فَسَأَلُونِي» طَلَبُوا مِنَ اللَّهِ حَوَائِجَهُمُ الْمُخْتَلِفَةَ، فَأَعْطَى كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، لَمْ يُؤَثِّرْ ذَلِكَ عَلَى مَا عِنْدَ اللَّهِ بِالنَّقْصِ، هَذَا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ غِنَاهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - .

ثُمَّ قَالَ فِي خِتَامِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْعَظِيمَةِ: «يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُخْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ بِهَا» أَيُّ: لَيْسَ لَكُمْ إِلَّا أَعْمَالُكُمْ، «إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ» الَّتِي تَعْمَلُونَهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَاللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا عَلَى غَيْرِ عَمَلِهِ أَبَدًا، فَلَا يُنْعِمُ اللَّهُ الْكَافِرَ وَيُعَذِّبُ الْمُؤْمِنَ، هَذَا لَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ، بَلْ يَضَعُ الْأُمُورَ فِي مَوَاضِعِهَا، يُعَذِّبُ الْكَافِرَ، وَيُنْعِمُ الْمُؤْمِنَ، فَضْلًا مِنْهُ وَإِحْسَانًا وَعَدْلًا وَكَرَمًا مِنْهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، «إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ» .

فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْجَزَاءَ إِنَّمَا يَكُونُ عَلَى الْعَمَلِ لَا بِالنَّسَبِ وَلَا بِالْجَاهِ وَلَا بِالْحَسَبِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فَلَيْسَ هُنَاكَ مَجَالٌ تَنَالُ بِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ إِلَّا الْعَمَلُ الَّذِي تَعْمَلُهُ، وَلَا تُعَذِّبُ إِلَّا عَلَى عَمَلِكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤]، فَعَلَيْكَ أَنْ تَهْتَمَّ بِعَمَلِكَ؛ لِأَنَّهُ مَنَاطُ سَعَادَتِكَ أَوْ شَقَاوَتِكَ .

قَالَ: «أُخْصِيهَا لَكُمْ» وَهَذَا مِنْ فَضْلِهِ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ يُحْصِي الْأَعْمَالَ، يَعْلَمُهَا جَلَّ وَعَلَا، وَيَكْتُبُهَا بِوَاسِطَةِ الْحَفَظَةِ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ، وَهَذِهِ الْعِنَايَةُ مِنْهُ بِأَعْمَالِ بَنِي آدَمَ دَلِيلٌ عَلَى فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ بِهِمْ، وَإِلَّا فَهُوَ لَيْسَ بِحَاجَةٍ إِلَى أَعْمَالِهِمْ، وَإِنَّمَا هُمْ الْمُحْتَاجُونَ وَمَعَ هَذَا فَاللَّهُ يُحْصِيهَا وَلَا

يُضِيعُهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]، وَقَالَ:
 ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ
 إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فَهُوَ سُبْحَانَهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ،
 وَمَعَ هَذَا يَكْتُبُهَا فَقَدْ وَكَّلَ مَلَائِكَةً حَفَظَةً يَكْتُبُونَ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ خَيْرَهَا
 وَشَرَّهَا، ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْطَوْنَ صَحَائِفَهُمُ الَّتِي فِيهَا أَعْمَالُهُمْ، وَيُحَاسَبُونَ
 عَلَيْهَا، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ بِمُهْمَلٍ، يَسْرَحُ وَيَمْرَحُ وَيَفْسُقُ
 وَيَكْفُرُ وَيَطْغَى وَيَتَجَبَّرُ وَيَظُنُّ أَنَّهُ مُهْمَلٌ، بَلْ أَعْمَالُهُ كُلُّهَا مُسَجَّلَةٌ عَلَيْهِ، قَالَ
 تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ
 أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

قَالَ: «ثُمَّ أَوْفِّكُمْ إِيَّاهَا» مَتَى؟ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَ(ثُمَّ) هَذِهِ لِلْمُسْتَقْبَلِ، «ثُمَّ
 أَوْفِّكُمْ إِيَّاهَا» كُلُّ إِنْسَانٍ يُجَازَى عَلَى عَمَلِهِ خَيْرًا أَوْ شَرًّا، وَيُوفَّى عَمَلَهُ لَا
 يَخِيعُ مِنْهُ شَيْءٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ
 وَيَقُولُونَ يَوَيْلَنَا مَا هَذَا الْكِتَابِ﴾ كِتَابِ الْمَلَائِكَةِ الْحَفَظَةِ، ﴿لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً
 وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وَقَالَ:
 ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]، أَنْتَ تَنْسَاهُ وَلَا كَأَنَّكَ فَعَلْتَ شَيْئًا، وَلَكِنْ
 هُوَ مُدَوَّنٌ عَلَيْكَ وَسَتُوجِهُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتَنْبَهُ لِنَفْسِكَ وَلَا تُغَامِرْ وَلَا تُخَاطِرْ
 بِهَا، لَا تَظُنُّ أَنَّكَ مَغْفُورٌ عَنْكَ، وَلَا تَظُنُّ أَنَّ مَا مِنْ أَحَدٍ يَتِمَكَّنُ مِنْكَ، بَلْ
 أَنْتَ تَحْتَ نَظَرِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَا تَخْفَى عَلَيْهِ، وَأَنْتَ مُرَاقَبٌ عَنْ
 الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]،

﴿إِذْ يُلْقَى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧]، قَعِيدٌ لَكَ مُجَالِسٌ لَكَ وَأَنْتَ لَا تَرَاهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، كَمَا قَالَ ﷺ: «يَتَعَاقِبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ»^(١)، يُحْصُونَ عَلَيْكُمْ أَعْمَالَكُمْ، ثُمَّ أُوفِّيَكُمْ إِيَّاهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قَالَ: «فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا» أَي: جَزَاءً حَسَنًا، «فَلِيَحْمَدِ اللَّهَ» وَلَا يَقُلْ: هَذَا مِنْ كَسْبِي، أَوْ أَنَا حَصَلْتُ هَذَا، بَلْ يَحْمَدُ اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - لِأَنَّ الْفَضْلَ مِنَ اللَّهِ وَعَمَلُكَ لَا يُسَاوِي شَيْئًا، وَلَوْ أَجْهَدْتَ نَفْسَكَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَإِنَّ عَمَلَكَ لَا يُقَابِلُ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَتَفَضَّلُ عَلَيْكَ، وَيُضَاعِفُ لَكَ الْحَسَنَاتِ فَضْلًا مِنْهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، فَلَا تَقُلْ هَذَا عَمَلِي، أَوْ أَنَا أَسْتَحِقُّ هَذَا؛ بَلْ عَلَيْكَ أَنْ تَحْمَدَ اللَّهَ؛ لِأَنَّهُ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

قَالَ: «وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ» يَعْنِي: غَيْرَ الْخَيْرِ، «فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» لِأَنَّهُ بِسَبَبِهِ وَعَمَلِهِ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَلُومَ نَفْسَكَ؛ لِأَنَّ هَذَا مَا قَدَّمْتَهُ لِنَفْسِكَ، فَلَا تَلُمُ أَحَدًا، أَوْ تَقُلْ: هَذَا ظُلْمٌ، أَوْ أَنَا لَمْ أَعْمَلْ هَذَا، أَوْ لَا أَسْتَحِقُّ هَذَا، إِنَّ هَذَا جَزَاءُ عَمَلِكَ، فَسَتُوجِهُ عَمَلَكَ دَقِيقَهُ وَجَلِيلَهُ وَتَقْرُؤُهُ كَامِلًا، وَلَا تُنْكِرُ مِنْهُ شَيْئًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإشراء: ١٤]. فَعَلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَ هَذَا وَأَنْ تَسْتَعِدَّ لَهُ.

فَهَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ وَجَلِيلٌ الْقَدْرُ، كَانَ السَّلَفُ يُعَظِّمُونَهُ وَيَخَافُونَ مِنْهُ إِذَا قَرَأُوهُ؛ لِأَنَّهُ دَقِيقُ الْمَعَانِي وَاضِحٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَعَبٍ فِي فَهْمِهِ، كُلُّ يَفْهَمُهُ الْعَامِّيُّ وَالْمُتَعَلِّمُ، وَهُوَ حُجَّةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَكَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ

(١) أخرجه البخاري (٥٥٥، ٣٢٢٣، ٧٤٢٩، ٧٤٨٦)، ومسلم (٦٣٢).

إِذَا قَرَأَ هَذَا الْحَدِيثَ جَثَى عَلَى رُكْبَتَيْهِ^(١).

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

الحديث الخامس والعشرون

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا: أَنَّ أَنَسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ قَالَ: «أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ وَفِي بَعْضِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ] ^(١).

فِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانُ كَثْرَةِ طُرُقِ الْخَيْرِ، وَأَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يَسَّرَ طُرُقَ الْخَيْرِ لِكُلِّ أَحَدٍ يُرِيدُ الْخَيْرَ، الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ.

قَالَ: «أَنَّ أَنَسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ» أَهْلُ الدُّثُورِ: هُمُ الْأَغْنِيَاءُ الَّذِينَ عِنْدَهُمْ أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ تَزِيدُ عَنْ حَاجَتِهِمْ، «يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ» يَغْنِي: أَنَّهُمْ يَأْتُونَ بِالْأَعْمَالِ الْبَدَنِيَّةِ، وَالْأَعْمَالِ الْبَدَنِيَّةِ كَالصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ كُلِّ يَسْتَطِيعُهَا الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ.

قَالَ: «وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ» أَي: مِمَّا زَادَ عَنْ حَاجَتِهِمْ، وَهَذِهِ فَضِيلَةٌ يَتَمَيَّزُ بِهَا الْأَغْنِيَاءُ عَنِ الْفُقَرَاءِ، وَهَذَا فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَغْنِيَاءَ

يُسْتَحَبُّ لَهُمْ أَنْ يُنْفِقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَيُوسِّعُوا عَلَى النَّاسِ بِمَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ،
 كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ قَارُونَ: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القَصص: ٧٧]، يَعْنِي: أَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ بِالصَّدَقَاتِ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ بِالْمَالِ، وَاللَّهُ -
 جَلَّ وَعَلَا - يَقُولُ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٤]،
 وَقَالَ: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحَدِيد: ٧]، فَلَيْسَ الْمَقْصُودُ أَنْ
 يَجْمَعَ الْإِنْسَانُ الْمَالَ، وَلَا يُعْطَى مِنْهُ شَيْئًا، هَذَا يَكُونُ كَالْمُسْتَوْدَعِ الَّذِي تُجْمَعُ
 فِيهِ الْأَمْوَالُ وَلَا يَنْتَفِعُ بِهَا، وَيَكُونُ حَارِسًا لَهَا، وَلَا يُقَدِّمُ لِنَفْسِهِ مِنْهَا شَيْئًا،
 وَهُوَ لَيْسَ لَهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ إِلَّا مَا قَدَّمَ، قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا، هَذَا هُوَ مَالُهُ، وَأَمَّا
 مَا لَمْ يُقَدِّمْ فَإِنَّهُ مَالٌ غَيْرُهُ، وَالْفَقِيرُ لَيْسَ عِنْدَهُ مَالٌ فَمِنْ أَيْنَ يَتَصَدَّقُ؟
 لِذَلِكَ شَكَا الْفُقَرَاءُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَذَا، وَهَذَا فِيهِ دَلِيلٌ
 عَلَى أَنَّ الْمُسْلِمَ يَنْبَغِي أَنْ يَحْرِصَ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ، وَأَنْ يَنْدَمَ إِذَا لَمْ يَتِمَّ كُنْ مِنْ
 فِعْلِ الْخَيْرِ فَإِنَّهُ يُؤْجَرُ عَلَى نَدَمِهِ؛ كَالَّذِي يَرَى الْغَنِيَّ يَتَصَدَّقُ وَيَتَمَنَّى أَنْ
 يَكُونَ عِنْدَهُ مَالٌ وَيَتَصَدَّقُ مِثْلَهُ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:
 «مَثَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَثَلُ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَعْمَلُ بِهِ فِي
 مَالِهِ فَيُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي
 مِثْلُ مَا لِهَذَا، عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَهُمَا فِي
 الْأَجْرِ سَوَاءٌ»^(١)، هَذَا عَلَى إِنْفَاقِهِ، وَهَذَا عَلَى نِيَّتِهِ الطَّيِّبَةِ.

فَهُؤُلَاءِ الصَّحَابَةُ أَهْمُهُمْ هَذَا الْأَمْرُ فَجَاءُوا يَشْكُونَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٢٨)، وأحمد في المسند (٢٣٠ / ٤)، والطبراني في الكبير (٨٦٢)،

والبيهقي في الكبرى (١٨٩ / ٤) من حديث أبي كبشة الأنباري رضي الله عنه.

لَهُمْ: «أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟» فَتَحَ لَهُمُ الْبَابَ، «إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ» هَذَا خَيْرٌ كَثِيرٌ، كَلِمَاتٌ يَسِيرَةٌ وَهِيَ صَدَقَاتٌ، وَلَا تَخْسَرُ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ، «تَسْبِيحَةٍ» أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، «تَكْبِيرَةٍ» أَنْ تَقُولَ: اللَّهُ أَكْبَرُ: «تَحْمِيدَةٍ» أَنْ تَقُولَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، «تَهْلِيلَةٍ» أَنْ تَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كُلُّ وَاحِدَةٍ صَدَقَةٌ.

كَذَلِكَ «وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ» الْمَعْرُوفُ: هُوَ الطَّاعَةُ وَالْخَيْرُ، سُمِّيَ مَعْرُوفًا؛ لِأَنَّ الْفِطْرَ السَّالِمَةَ تَعْرِفُهُ، وَالْمُنْكَرُ: كُلُّ مَعْصِيَةٍ لِلَّهِ فِيهَا مُنْكَرٌ سُمِّيَ مُنْكَرًا؛ لِأَنَّ النُّفُوسَ أَوْ الْفِطْرَ السَّالِمَةَ تُنْكَرُهُ، فَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ أَمْرُهُمَا عَظِيمٌ فِي الْإِسْلَامِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١١٠]، هَذَا فِيهِ تَعَدِّي الْخَيْرِ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَى غَيْرِهِ، فَلَا يَكْفِي أَنْ تُصْلِحَ نَفْسُكَ بَلْ تُحَاوِلْ أَنْ تُصْلِحَ غَيْرَكَ، إِذَا أَرَشَدْتَ غَيْرَكَ إِلَى الْخَيْرِ وَحَذَرْتَهُ مِنَ الشَّرِّ فَقَدْ تَصَدَّقْتَ عَلَيْهِ صَدَقَةً عَظِيمَةً؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ يَنْفَعُهُ بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا يَنْفَعُهُ الْمَالُ.

فَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ فَضْلُهُ عَظِيمٌ وَنَفْعُهُ كَبِيرٌ، وَهُوَ عَلَى حَسَبِ مَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ، فَلَا يَقُولُ أَحَدٌ: أَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١)، فَدَلَّ عَلَى

أَنَّهُ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، لَكِنْ كُلٌّ بِحَسَبِ مَا يَسْتَطِيعُ، فَالَّذِي لَهُ سُلْطَةٌ يُنْكِرُ بِيَدِهِ وَيُغَيِّرُ الْمُنْكَرَ وَيُزِيلُهُ بِيَدِهِ، وَالَّذِي لَيْسَ لَهُ سُلْطَةٌ يُنْكِرُ بِلِسَانِهِ يُبَيِّنُ وَيَنْصَحُ وَيَعِظُ وَيَذَكِّرُ وَيَدُلُّ عَلَى الْخَيْرِ بِلِسَانِهِ، وَهَذَا لَا يُكَلِّفُهُ شَيْئًا، وَالَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ بِلِسَانِهِ يُنْكِرُ بِقَلْبِهِ، فَلَا أَحَدٌ يَعْجَزُ عَنِ انْكَارِ الْمُنْكَرِ بِالْقَلْبِ أَبَدًا، قَدْ يَعْجَزُ عَنِ اللِّسَانِ، وَيَعْجَزُ عَنِ الْيَدِ، لَكِنْ لَا أَحَدٌ يَعْجَزُ عَنِ الْإِنْكَارِ بِالْقَلْبِ، وَإِذَا أَنْكَرْتَ الْمُنْكَرَ بِقَلْبِكَ فَإِنَّكَ تَعْتَزِلُ أَهْلَ الْمُنْكَرِ وَمَوَاطِنَ الْمُنْكَرِ وَتَبْتَعدُ عَنْهَا، فَلَا تَجْلِسُ فِيهَا وَتُشَارِكُهُمْ فِي مُنْكَرِهِمْ، وَتَقُولُ: أَنَا مُنْكَرٌ بِقَلْبِي. هَذَا لَا يَكْفِي، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ تَبْتَعدَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَهْلِهِ وَلَا تُخَالِطَ أَهْلَ الْمُنْكَرِ إِلَّا إِذَا كُنْتَ تَسْتَطِيعُ الْإِصْلَاحَ، فَإِذَا كُنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ الْإِصْلَاحَ ابْتَعدَ، وَأَنْجِ نَفْسَكَ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «وَفِي بُضْعٍ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ» الْبُضْعُ مَعْنَاهُ الْفَرْجُ، وَالْمُرَادُ هُنَا قَضَاءُ الشَّهْوَةِ، فَالْإِنْسَانُ فِيهِ غَرِيزَةُ الشَّهْوَةِ، جَعَلَهَا اللَّهُ فِي الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ مِنْ بَنِي آدَمَ وَغَيْرِهِمْ؛ امْتِحَانًا لِبَنِي آدَمَ، وَأَيْضًا لِمَصْلَحَةٍ، وَهِيَ بَقَاءُ النَّسْلِ وَالنَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ، وَهَذِهِ الشَّهْوَةُ خَطِيرَةٌ عَلَى الْإِنْسَانِ، أَيْنَ يَضُرُّفُهَا؟ وَأَيْنَ يَتَخَلَّصُ مِنْهَا؟ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مَضْرِفًا شَرِيفًا وَمُتَجًّا يَضَعُ فِيهِ شَهْوَتَهُ، بِأَنْ خَلَقَ الزَّوْجَاتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الرُّوم: ٢١]، زَوْجَاتٍ مِنَ النِّسَاءِ يَضَعُ فِيهَا الزَّوْجُ شَهْوَتَهُ، وَيَسْلَمُ مِنْ غَائِلَتِهَا، وَأَيْضًا هِيَ زَرْعٌ وَبَذْرٌ فِي تَرْبَةٍ طَيِّبَةٍ تُنْتِجُ الذُّرِّيَّةَ الصَّالِحَةَ، فَإِذَا قَصَرَ شَهْوَتُهُ عَلَى مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَلَهُ فِي ذَلِكَ صَدَقَةٌ؛ لِأَنَّهُ أَعَفَّ نَفْسَهُ، وَأَعَفَّ زَوْجَتَهُ، وَأَيْضًا سَاهَمَ فِي بِنَاءِ الْأُمَّةِ بِإِجَادِ الذُّرِّيَّةِ الصَّالِحَةِ، فَصَارَ فِي هَذِهِ الشَّهْوَةِ خَيْرٌ كَثِيرٌ وَنَفْعٌ عَظِيمٌ، لَهُ فِيهَا صَدَقَةٌ.

تَعَجَّبَ الصَّحَابَةُ وَقَالُوا: «أَيُّنَا أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟»
 قَالَ ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ» أَيِ فِي غَيْرِ زَوْجَتِهِ؛ كَالَّذِي يَزْنِي أَوْ
 يَفْعَلُ اللَّوَاطِ «أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ؟» سَأَلَهُمْ عَنْ شَيْءٍ مَعْرُوفٍ؛ لِأَجْلِ أَنْ
 يُقَرَّرَ لَهُمْ هَذَا؛ وَلِذَلِكَ قَالُوا: (نَعَمْ)، «فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ
 أَجْرٌ» بَيْنَ لَهُمْ ﷺ كَيْفَ يُوجَرُ الْإِنْسَانُ عَلَى إِثْيَانِهِ الشَّهْوَةَ فِي زَوْجَتِهِ بِالْقِيَاسِ
 عَلَى مَنْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ فَكَانَ عَلَيْهِ وَزْرٌ، قَالَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿وَالَّذِينَ
 هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ
 مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾ [المؤمنون: ٥-٧]،
 وَوَضَعَ عُقُوبَةً عَاجِلَةً وَآجِلَةً عَلَى الزَّانَا، فِي الدُّنْيَا بِالْحَدِّ، وَفِي الْآخِرَةِ
 بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي يُعَذَّبُونَ فِي النَّارِ تَعْذِيبًا
 خَاصًّا زَائِدًا عَلَى تَعْذِيبِ الْآخَرِينَ، كَمَا جَاءَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ.
 قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: وَهَذَا فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْقِيَاسَ دَلِيلٌ صَحِيحٌ
 حَيْثُ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَعْمَلَهُ، فَهَذَا مِنْ أَدَلَّةِ الْعَمَلِ بِالْقِيَاسِ فِي الشَّرِيعَةِ،
 وَالْقِيَاسُ هُوَ الْأَصْلُ الرَّابِعُ مِنْ أُصُولِ الْأَدَلَّةِ فِي الشَّرِيعَةِ الَّتِي هِيَ: الْقُرْآنُ،
 وَالسُّنَّةُ، وَالْإِجْمَاعُ، وَالْقِيَاسُ.
 وَالْقِيَاسُ: هُوَ الْخَاقُ فَرْعٌ بِأَصْلِ بِالْحُكْمِ، بِعِلَّةٍ جَامِعَةٍ^(١)، فَهُوَ دَلِيلٌ

(١) قال الجويني في الورقات (ص ٢٦): (القياس: هو رد الفرع إلى الأصل بعلّة تجمعهما في الحكم، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام: قياس علة، وقياس دلالة، وقياس شبه. فقياس العلة: ما كانت العلة فيه موجبة للحكم، وقياس الدلالة: هو الاستدلال بأحد النظيرين على الآخر، وهو أن تكون العلة دالة على الحكم ولا تكون موجبة للحكم، وقياس الشبه: هو الفرع المتردد بين أصليين ولا يصار إليه مع إمكان ما قبله). وانظر: قواطع الأدلة في الأصول (٢/ ١٣٤)،

صَحِيحٌ اسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ.

فَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ سَعَةٌ فَضْلُ اللَّهِ وَتَيْسِيرُ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - الْخَيْرُ لِعِبَادِهِ، وَأَنَّكَ إِذَا عَجَزْتَ عَنْ انْفَاقِ الْمَالِ فَلَا تَعْجِزْ عَنْ هَذِهِ الْخِصَالِ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ إِلَى مَالٍ، وَلَا تَحْتَاجُ إِلَى كُلْفَةٍ، وَفِيهِ فَضْلُ الْأَغْنِيَاءِ الَّذِينَ يَتَصَدَّقُونَ، وَفِيهِ حِرْصُ الصَّحَابَةِ عَلَى الْخَيْرِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنْدَمَ عَلَى عَجْزِهِ عَنْ فِعْلِ الْخَيْرِ، فَإِذَا نَدِمَ وَتَمَنَّى يُلْحَقُ بِأَهْلِ الْخَيْرِ بِنِيَّتِهِ.

وَفِيهِ أَنَّ الْعَادَاتِ مَعَ النِّيَّةِ الصَّالِحَةِ تَتَحَوَّلُ إِلَى عِبَادَاتٍ، كَمَا فِي وَضْعِ الرَّجُلِ شَهْوَتَهُ، هَذِهِ عَادَةٌ إِذَا نَوَى بِهَا إِعْفَافَ نَفْسِهِ، وَإِعْفَافَ زَوْجَتِهِ، وَالْكَفَّ عَنْ الْحَرَامِ صَارَتْ عِبَادَةً، فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُحَسِّنَ نِيَّتَهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ حَتَّى يُؤْجَرَ عَلَيْهَا.



الْحَدِيثُ السَّادِسُ وَالْعَشْرُونَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» [رواه البخاري ومسلم] ^(١).

قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ» السُّلَامَى: هِيَ الْمَفْصَلُ، وَالْإِنْسَانُ فِيهِ مَفَاصِلُ كَثِيرَةٌ، فَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «فِي الْإِنْسَانِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ مِفْصَلًا» ^(٢)، مِنْهَا مَا هُوَ كَبِيرٌ، وَمِنْهَا مَا هُوَ صَغِيرٌ وَهِيَ مُتَفَرِّقَةٌ فِي الْجِسْمِ، وَكُلُّ يَوْمٍ عَلَيْكَ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ صَدَقَةً فِي مُقَابِلِ هَذِهِ الْمَفَاصِلِ، وَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَصَدَّقَ كُلَّ يَوْمٍ بِثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتِّينَ صَدَقَةً؟ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يَسَّرَ هَذَا، وَجَعَلَ الصَّدَقَةَ لَيْسَتْ خَاصَّةً بِالْمَالِ فَقَطْ، فَجَعَلَهَا فِيمَا هُوَ أَعَمُّ مِنَ الْمَالِ، وَكُلُّ يَسْتَطِيعُهَا، وَمِنْ ذَلِكَ:

قَالَ: «كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ» تُصْبِحُ فِي كُلِّ يَوْمٍ فَتَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، إِذَا حَصَلَ خُصُومَاتٌ وَنِزَاعَاتٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ ثُمَّ جِئْتَ وَفَصَلْتَ بَيْنَهُمَا فِي الصُّلْحِ وَسَوَّيْتَ النِّزَاعَ بَيْنَهُمَا، وَأَقْنَعْتَهُمَا وَرَضِيَ كُلُّ مِّنْهُمَا

(١) أخرجه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩)

(٢) أخرجه أبو داود (٥٢٤٢)، وأحمد في المسند (٣٥٩/٥)، وابن حبان في صحيحه (٢٨١/٦)،

وابن خزيمة في صحيحه (٢٢٩/٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥١٢/٧) من حديث أبي

بريدة رضي الله عنه، وجاء من حديث عائشة رضي الله عنها.

عَنِ الْآخِرِ، وَالْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمَا هَذِهِ صَدَقَةٌ عَظِيمَةٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّسَاء: ١١٤]، فَهَذَا فِيهِ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَحْرِصَ عَلَى أَنْ يُصْلِحَ بَيْنَ الْمُتَخَاصِمِينَ وَالْمُتَنَازِعِينَ لَا سِيَّمَا الْأَقَارِبَ، وَلَا يَتْرُكَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ.

وَبَعْضُ النَّاسِ عَلَى الْعَكْسِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - يَتَدَخَّلُ فِي النِّزَاعِ بِمَا يَزِيدُهُ وَيُحَرِّضُ أَحَدَهُمَا عَلَى الْآخِرِ، فَهَذَا شَيْطَانٌ، أَمَّا الْمُسْلِمُ فَإِنَّهُ لَا يَرْضَى أَنْ يَتَخَاصَّمَ الْمُسْلِمُونَ وَيَتَنَازَعُوا، بَلْ يُحَاوِلُ الْإِصْلَاحَ وَتَسْوِيَةَ النِّزَاعِ حَتَّى رُبَّمَا يَتَحَمَّلُ مِنْ مَالِهِ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمْ، وَهَذِهِ خَصْلَةٌ عَظِيمَةٌ، وَاللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ.

قَوْلُهُ: «تَعْدِلُ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ» فَالَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُصْلِحَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْدِلَ وَلَا يَحِيفَ وَيَجُورَ عَلَى أَحَدِهِمَا، وَلَا يَحْكُمَ بَيْنَهُمَا بِأَهْوَى، وَيَكُونُ الْاِثْنَانِ عِنْدَهُ سَوَاءً، كِلَاهُمَا أَخُوهُ، قَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ

وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحُجُرَات: ٩]، وَالصُّلْحُ إِنَّمَا هُوَ عَنْ تَرَاضٍ، فَلَا يُجْبَرُ أَحَدُهُمَا عَلَيْهِ، بِخِلَافِ الْقَضَاءِ، فَإِنَّ لِلْقَاضِي أَنْ يُلْزِمَ الْمُقْضِيَّ عَلَيْهِ بِالتَّنْفِيدِ، أَمَّا الصُّلْحُ فَهُوَ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَيْسَ إِلْزَامِيًّا.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ» يَعْنِي فِي مَرْكُوبِهِ، سَوَاءً كَانَتْ دَابَّةً أَوْ سَيَّارَةً، تُعِينُهُ إِذَا كَانَ عَاجِزًا أَوْ ضَعِيفًا، فَتَحْمِلُهُ أَوْ تَرْفَعُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ مَتَاعَهُ الَّذِي مَعَهُ عَلَى الدَّابَّةِ أَوْ عَلَى السَّيَّارَةِ، تُسَاعِدُهُ عَلَى حَمْلِهِ وَوَضْعِهِ فِي مَكَانِهِ، كَذَلِكَ إِذَا احتَاجَ إِلَى إِنْزَالِ مَتَاعِهِ تُسَاعِدُهُ، كُلُّ هَذَا صَدَقَةٌ مِنْكَ

عَلَيْهِ، فَأَنْتَ لَمْ تُعْطِهِ مَالًا، لَكِنَّكَ أَعْطَيْتَهُ الْإِعَانَةَ، وَاللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - يَقُولُ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢]، وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»^(١) فَإِذَا وَجَدْتَ ضَعِيفًا أَوْ مُحْتَاجًا يُرِيدُ أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ فَإِنَّكَ تُعِينُهُ عَلَيْهِ عَلَى مَا فِيهِ مَصْلَحَةٌ وَخَيْرٌ لَهُ.

قَالَ: «وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ» مِثْلُ إِفْشَاءِ السَّلَامِ وَالِدُّعَاءِ لِأَخِيكَ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ إِطْرَاءٍ بِمَا يُطَيِّبُ خَاطِرَهُ، كُلُّ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الطَّيِّبِ، وَالْكَلَامُ الطَّيِّبُ يَكُونُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ بِذِكْرِ اللَّهِ وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ، وَيَكُونُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالنَّاسِ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ عَكْسُ الْكَلِمَةِ الْخَبِيثَةِ، قَالَتْ تَعَالَى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۚ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥]، ثُمَّ قَالَ:

﴿وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ۚ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٦، ٢٧]، وَقَالَ تَعَالَى:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

فَالْكَلَامُ الطَّيِّبُ يَكُونُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ بِذِكْرِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَيَكُونُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالنَّاسِ بِأَنْ يُطَيِّبَ خَوَاطِرَهُمْ؛ فَإِنَّ الْكَلِمَةَ تَفْعُلُ مَفْعُولَهَا وَتُؤَلِّفُ بَيْنَ الْقُلُوبِ، أَمَّا الْكَلِمَةُ الْخَبِيثَةُ فَهِيَ تُفَرِّقُ بَيْنَ النَّاسِ، وَتُورِثُ الْعَدَاوَةَ، وَكَمْ قَامَتْ مِنْ حَرْبٍ، وَكَمْ سُفِكَتْ مِنْ دِمَاءٍ بِسَبَبِ الْكَلَامِ الْخَبِيثِ،

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فَالكَلَامُ خَطِيرٌ جَدًّا إِلَّا إِذَا كَانَ كَلَامًا طَيِّبًا.

قَالَ: «وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ» كُلُّ خُطْوَةٍ إِلَى الْمَسْجِدِ فِيهَا صَدَقَةٌ، فَكُلَّمَا بَعُدْتَ عَنِ الْمَسْجِدِ وَكَثُرَتْ خُطُوتُكَ كَثُرَ أَجْرُكَ، وَهَذَا فِيهِ الْحَثُّ عَلَى صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ وَحُضُورِ الْمَسَاجِدِ، وَفِي ضِمْنِهِ النَّهْيُ عَنِ التَّخَلُّفِ عَنِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسَاجِدِ؛ لِأَنَّكَ تَخْسِرُ بِذَلِكَ خَسَارَةً عَظِيمَةً، وَلَكَ بِعَدَدِ الْخُطُوتِ الَّتِي تَخْطُوهَا إِلَى الْمَسْجِدِ صَدَقَاتٌ، فَفِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسُ صَلَوَاتٍ، كَمْ تُحْصِلُ بِخُطُوتِكَ إِلَيْهَا مِنْ صَدَقَةٍ؟ أَلَا إِنَّ فَضْلَ اللَّهِ عَظِيمٌ.

قَالَ: «وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ» أَيُّ: تُزِيلُ مَا يُؤْذِي الْمَارَّةَ عَنِ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ عُمُومًا، وَكَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ الدَّوَابِّ، لَا تَجْعَلُ فِيهِ شَيْئًا يُؤْذِي الْمَارَّةَ، وَلَا تَتْرُكُ فِيهِ شَيْئًا وَضَعَهُ غَيْرُكَ، أَوْ وَقَعَ فِي الطَّرِيقِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَضَعَهُ أَحَدٌ، مِمَّا يَعُوقُ الْمَارَّةَ وَيُؤْذِيهِمْ؛ كَالشُّوكِ، وَالْحَصَى، وَالْمُؤْذِيَّاتِ، تُزِيلُهُ عَنِ الطَّرِيقِ وَلَكَ فِي ذَلِكَ صَدَقَةٌ؛ لِأَنَّكَ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِمْ.

وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنًا شَوْكًا عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخْرَعَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ»^(١)، غُصْنٌ وَاحِدٌ أَوْ شَوْكٌ أَزَالَهُ عَنِ الطَّرِيقِ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ عَلَى عَمَلٍ يَسِيرٍ؛ لِأَنَّهُ بِذَلِكَ أَحْسَنَ إِلَى الْمَارَّةِ كُلِّهِمْ، فَكَيْفَ بِالَّذِي يَضَعُ الْأَذَى فِي الطَّرِيقَاتِ؟ يَضَعُ الْأَحْجَارَ، وَيَضَعُ الْحَشَبَ، وَيَضَعُ الْحَدِيدَ، وَيُرْسِلُ الْمِيَاهَ وَقَدْ تَكُونُ نَجِسَةً فِي

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢، ٢٤٧٢)، ومسلم (١٩١٤).

الطُّرُقَاتِ، وَيَضَعُ الْقَمَائِمَ فِي الطُّرُقَاتِ، هَذَا يَأْتِمُ إِثْمًا عَظِيمًا، وَكُلُّ مَارٍّ يَتَأَذَّى بِذَلِكَ يَدْعُو عَلَيْهِ، وَهَذَا ظُلْمٌ وَالْمَظْلُومُ تُسْتَجَابُ دَعْوَتُهُ، فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَحْرِصَ عَلَى أَلَّا يَضَعَ أَشْيَاءَ فِي الطُّرُقَاتِ، وَأَنْ يَحْرِصَ عَلَى إِزَالَةِ مَا يَقَعُ فِيهَا مِنْ الْأَذَى؛ لِيَحْصُلَ عَلَى هَذَا الْأَجْرِ الْعَظِيمِ.

فَهَذِهِ صَدَقَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي مُقَابِلِ هَذِهِ الْمَفَاصِلِ الَّتِي فِيكَ، كُلُّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، ثَلَاثُمِائَةٍ وَسُتُونَ صَدَقَةً، كَيْفَ تُؤَدِّيَهَا؟ اللَّهُ وَسَّعَ لَكَ الْمَجَالَ، فَانْتَبِهْ لِنَفْسِكَ، وَقَدْ قَالَ ﷺ: «وَيُجْزَى مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى» (١) رَكْعَتَانِ تُجْزَى عَنْ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتِّينَ صَدَقَةً، فَإِذَا جَمَعَ الْإِنْسَانُ بَيْنَ هَذِهِ الْخِصَالِ وَصَلَّى أَيْضًا، مَاذَا يَكُونُ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ؟ هَذَا خَيْرٌ كَثِيرٌ، لَكِنْ قَلٌّ مَنْ يَنْتَبِهُ لَهُ.



(١) أخرجه مسلم (٧٢٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

الحديث السابع والعشرون

عَنْ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلی الله علیه وسلم قَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ» [رواه مُسْلِمٌ^(١)].

وَعَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبُدٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلی الله علیه وسلم فَقَالَ: «جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «اسْتَفْتِ قَلْبَكَ؛ الْبِرُّ مَا أَطْمَأْنَنْتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَأَطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ» [حديث حسن، رويناه في مُسْنَدِي الْإِمَامَيْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَالِدَّارِمِيٍّ، بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ^(٢)].

هَذَانِ الْحَدِيثَانِ فِي بَيَانِ الْبِرِّ، بِمَاذَا يَكُونُ وَبِمَاذَا يَتَحَقَّقُ، وَالْبِرُّ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِكُلِّ خِصَالِ الْخَيْرِ، مِثْلُ التَّقْوَى جَامِعَةٌ لِكُلِّ خِصَالِ الْخَيْرِ، وَالْبِرُّ ضِدُّهُ الْإِثْمُ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]. وَالنَّبِيُّ صلی الله علیه وسلم فِي هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ بَيَّنَّ الْبِرَّ وَالْإِثْمَ.

قَوْلُهُ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ» يَعْنِي: أَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ نَوْعٌ عَظِيمٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْبِرِّ، وَلَيْسَ أَنَّ الْبِرَّ كُلَّهُ مَحْصُورٌ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّمَا حُسْنُ الْخُلُقِ هُوَ أَعْظَمُ أَنْوَاعِ الْبِرِّ؛ كَقَوْلِهِ صلی الله علیه وسلم: «الْحَجُّ عَرَفَةٌ»^(٣) الْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ لَيْسَ هُوَ كُلُّ الْحَجِّ،

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٣).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٧/٤)، والدارمي (٢٤٦/٢).

(٣) أخرجه الترمذي (٨٨٩)، والنسائي في الكبرى (٤٢٤/٢)، وابن ماجه (٣٠١٥)، وأحمد في المسند (٣٠٩/٤)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٥٧/٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٢٦/٣)،

وَلَكِنَّهُ أَعْظَمُ أَرْكَانِ الْحَجِّ، وَمِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(١) مَعَ أَنَّ الدُّعَاءَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، وَلَكِنَّهُ أَعْظَمُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، فَحُسْنُ الْخُلُقِ نَوْعٌ عَظِيمٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْبِرِّ.

و«حُسْنُ الْخُلُقِ» مَعْنَاهُ سِعَةُ الْبَالِ وَالْبَشَاشَةُ فِي الِاسْتِقْبَالِ، وَالتَّعَامُلُ مَعَ النَّاسِ بِمُعَامَلَةٍ طَيِّبَةٍ، كَمَا قَالَ ﷺ: «وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»^(٢) وَهَذِهِ صِفَةُ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، فَحُسْنُ الْخُلُقِ يَشْتَمِلُ عَلَى خَيْرَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَيُكْسِبُ مَحَبَّةَ النَّاسِ لِصَاحِبِ الْخُلُقِ الْحَسَنِ، وَأَيْضًا إِذَا كَانَ الدَّاعِيَةُ ذَا خُلُقٍ حَسَنٍ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى هِدَايَةِ النَّاسِ بِقَبُولِ دَعْوَتِهِ، وَهَذَا هُوَ أَعْظَمُ أَنْوَاعِ الْبِرِّ.

قَالَ: «وَالِإِثْمُ» هُوَ ضِدُّ الْبِرِّ، مَا يُؤْثِمُ مِنَ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ، «مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ» يَعْنِي طَرَأَ عَلَى النَّفْسِ، وَحَدَّثَتْ بِهِيَ النَّفْسُ لَكِنَّ صَاحِبَهُ يَكْرَهُهُ، وَفِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى: «وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ»، فَإِذَا كَانَ صَاحِبُهُ يَتَرَدَّدُ هَلْ يُصْرِّحُ بِهِ أَوْ لَا يُصْرِّحُ؟ دَلَّ عَلَى أَنَّهُ إِثْمٌ، وَالْمُرَادُ بِالنَّفْسِ هُنَا: نَفْسُ الْمُؤْمِنِ التَّقِيِّ، أَمَّا الْفَاجِرُ فَهُوَ لَيْسَ مِيزَانًا لِلْبِرِّ وَالِإِثْمِ، إِنَّمَا الْمَقْصُودُ الْمُسْلِمُ

والحاكم في المستدرک (١/ ٦٣٥)، والدارقطني في سننه (٢/ ٢٤٠)، والبيهقي في الكبرى (٥/ ١٧٣) من حديث عبدالرحمن بن يعمر رضي الله عنه.

(١) أخرجه أبوداود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٥٠)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وأحمد في المسند (٤/ ٢٦٧)، والبخاري في الأدب المفرد (ص ٢٤٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٢١)، والطبراني في الصغير (٢/ ٢٠٨)، والحاكم في المستدرک (١/ ٦٦٧). والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٧) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه (ص ١٦٥).

التَّقِيُّ الَّذِي يُعْتَبَرُ اسْتِحْسَانُهُ لِلشَّيْءِ أَوْ اسْتِقْبَاحُهُ لَهُ، فَالَّذِي تَكَرَّرَ أَنْ تُصَرِّحَ بِهِ، وَتَكَرَّرَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ إِثْمٌ، فَاتْرُكُهُ وَتَجَنَّبْهُ، فَتَكُونُ نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مَقْيَاسًا وَمِيزَانًا.

فَهَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ، وَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ الَّتِي أُوتِيَهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَجَوَامِعُ الْكَلِمِ: جَمْعُ جَامِعٍ، وَهُوَ مَا يَجْمَعُ مَعَانِي كَثِيرَةً، وَهَذِهِ صِفَةُ كَلَامِهِ ﷺ.

وَفِي حَدِيثٍ وَابِصَةِ بْنِ مَعْبِدٍ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُرِيدُ أَنْ يَسْأَلَهُ، فَالْنَبِيُّ ﷺ ابْتَدَرَهُ وَقَالَ لَهُ: «جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ؟» وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ: «أَخْبِرْكَ أَوْ تَسْأَلْنِي؟» قَالَ وَابِصَةُ: لَا بَلْ أَخْبِرْنِي، فَقَالَ: «جِئْتَ تَسْأَلْنِي عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ»^(١)، وَهَذَا مِنْ عَلَامَاتِ النَّبُوَّةِ، أَنْ يُطْلِعَهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَى مَا جَاءَ مِنْ أَجْلِهِ وَابِصَةُ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَهُ، ثُمَّ بَيَّنَّ لَهُ ﷺ أَنَّ «الْبِرَّ مَا اطْمَأْنَنْتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأْنَنْتَ إِلَيْهِ الْقَلْبُ» وَالطُّمَأْنِينَةُ: ضِدُّ الْقَلْقِ وَالْاضْطِرَابِ، وَهِيَ الْاسْتِقْرَارُ وَعَدَمُ التَّسَرُّعِ أَوْ الْقَلْقِ، فَالْمُطْمَئِنُّ هُوَ الثَّابِتُ، وَضِدُّهُ الْمُضْطَرِبُ الْقَلْقُ، «مَا اطْمَأْنَنْتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأْنَنْتَ إِلَيْهِ الْقَلْبُ» يَعْنِي: قَلْبُ الْمُؤْمِنِ وَنَفْسُ الْمُؤْمِنِ.

قَالَ: «وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»، وَفِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى: «وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ»، فَالْإِثْمُ يَحْصُلُ فِي نَفْسِكَ وَلَكِنْ لَا تَجَرُّوْا أَنْ تُظْهِرَهُ، لَوْ كَانَ بَرًّا مَا تَرَدَّدَتْ فِي الْإِعْلَانِ بِهِ، فَتَرَدَّدَكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ إِثْمٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ فِي نَفْسِ الْمُؤْمِنِ نُورًا وَمَعْرِفَةً بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، قَالَ تَعَالَى:

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٢٨/٤)، وأبو يعلى في مسنده (١٦٢/٣)، والطبراني في الكبير (٤٠٣).

﴿إِنْ تَنَقَّوْا لِلَّهِ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، الفرقان: هُوَ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالضَّارِّ وَالنَّافِعِ، هَذَا هُوَ الْفُرْقَانُ، فَنَفْسُ الْمُؤْمِنِ يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهَا فُرْقَانًا تُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ»، «أَفْتَاكَ» أَوْ «أَفْتَوْكَ» الْمَعْنَى وَاحِدٌ، لَكِنَّ هَذَا مِنْ بَابِ التَّأْكِيدِ؛ لِأَنَّ الْعِبْرَةَ لَيْسَتْ بِمُجَرَّدِ الْفَتْوَى مِنَ الْعَالِمِ، وَإِنَّمَا الْعِبْرَةُ مَعَ ذَلِكَ بِنَفْسِكَ، فَإِذَا وَجَدْتَ نَفْسَكَ تَطْمَئِنُّ إِلَى هَذِهِ الْفَتْوَى فَهَذَا بَرٌّ، وَإِذَا وَجَدْتَ نَفْسَكَ تَكْرَهُ هَذَا الشَّيْءَ فَهَذَا إِثْمٌ، وَالْعَالِمُ لَيْسَ مَعْصُومًا، فَقَدْ يُخْطِئُ، أَوْ يُجِيبُ عَلَى الظَّاهِرِ وَلَا يَذَرِي عَنِ الْبَاطِنِ، وَقَدْ يَكُونُ الْعَالِمُ عَالِمٌ ضَلَالٍ، وَالْعُلَمَاءُ لَيْسُوا سَوَاءً، فَاَلْهُمُّ أَنَّكَ لَا تَعْتَمِدُ عَلَى الْفَتْوَى حَتَّى تَطْمَئِنَّ نَفْسُكَ إِلَيْهَا، فَإِذَا اطْمَأَنَّتْ نَفْسُكَ إِلَى هَذِهِ الْفَتْوَى، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا صِدْقٌ وَبَرٌّ، أَمَّا إِذَا نَفَرَتْ نَفْسُكَ مِنْ هَذِهِ الْفَتْوَى وَلَمْ تَطْمَئِنَّ إِلَيْهَا فَاتْرُكْهَا؛ لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ الَّذِي لَهُ هَوَى وَرَغْبَةٌ فِي الشَّيْءِ يَقُولُ: مَا دَامَ أَفْتَى فُلَانٌ بِهَذَا فَلَيْسَ عَلَيَّ شَيْءٌ، وَهَذَا فِي ذِمَّتِهِ.

فَنَقُولُ لَهُ: فُلَانٌ لَا يُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَلَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ، وَلَيْسَ مَعْصُومًا، وَلَا تَذَرِي عَنْ مَدَى صِلَاحِهِ وَدِينِهِ، فَلَا تَعْتَمِدُ عَلَى مُجَرَّدِ الْفَتْوَى حَتَّى تَعْرِضَهَا عَلَى نَفْسِكَ، فَإِذَا وَجَدْتَ نَفْسَكَ مُطْمَئِنَّةً إِلَيْهَا وَلَيْسَ عِنْدَكَ تَرَدُّدٌ فِيهَا وَلَا كَرَاهِيَةٌ فَخُذْ بِهَا، وَإِذَا وَجَدْتَ الْعَكْسَ فَاتْرُكْهَا، هَذَا مِيزَانٌ عَظِيمٌ يَسِيرٌ عَلَيْهِ الْمُؤْمِنُ فِي الْفَتْوَى.

وَالآنَ كَثُرَتْ شِكَايَاتُ النَّاسِ مِنْ كَثَرَةِ الْفَتَاوَى وَكَثَرَةِ مَنْ يُفْتُونَ، فَهَذِهِ عَلَامَةٌ تُمَيِّزُ لَكَ هَذِهِ الْفَتَاوَى، فَمَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهَا نَفْسُكَ مِنْهَا فَهَذِهِ حَقٌّ، وَمَا نَفَرَتْ نَفْسُكَ مِنْهُ فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ خَطَأٌ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَجَنَّبَهُ، وَلَا تَقُلْ: أَفْتَى

فُلَانٌ وَقَالَ فُلَانٌ، وَهَذَا شَيْءٌ فِي ذِمَّتِهِ. هُوَ عَلَيْهِ مَا تَحْمَلُ، وَأَنْتَ عَلَيْكَ مَا تَحْمَلُ لَا يُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَقَدْ تُبْهِرُجُ عَلَيْهِ، أَوْ تَقُولُ لَهُ كَلَامًا عَلَى خِلَافِ الْحَقِيقَةِ، وَهُوَ يُفْتِيكَ عَلَى مَا يَسْمَعُ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْضِي عَلَى نَحْوِ مَا يَسْمَعُ؛ لِأَنَّهُ بَشَرٌ (١).

فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَّخِذَ هَذَا الْحَدِيثَ مِيزَانًا يَسِيرُ عَلَيْهِ فِيمَا يَسْمَعُ أَوْ يُقَالُ وَرُيُوتُ مِنَ الْفَتَاوَى، خُصُوصًا فِي هَذَا الزَّمَانِ الَّذِي قَلَّ فِيهِ خَوْفُ اللَّهِ وَتَجَرَأَ النَّاسُ عَلَى الْفَتْوَى، وَعَلَى الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، فَهَذَا الْحَدِيثُ يَنْفَعُ نَفْعًا عَظِيمًا فِي مِثْلِ هَذَا الرِّقْتِ، وَهُوَ نَافِعٌ فِي كُلِّ وَقْتٍ، لَكِنْ كُلَّمَا اشْتَدَّتِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ كَانَ نَفْعُهُ أَعْظَمَ، فَمَا يَسْمَعُ الْمُسْلِمُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْفَتَاوَى يُمَيِّزُ بَيْنَهَا بِمِيزَانِ نَفْسِهِ، وَمَا تَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ وَمَا تَنْفِرُ مِنْهُ، لَكِنْ بَعْضُ النَّاسِ إِذَا صَارَ لَهُ هَوًى، فَإِنَّهُ يَتَّبِعُ الْأَقْوَالَ وَالْفَتَاوَى وَلَوْ مَا اسْتَسَاغَهَا فِي نَفْسِهِ، إِنَّمَا يَأْخُذُهَا طَاعَةٌ لَهُوَاهُ وَهَذَا إِثْمٌ بِلا شَكٍّ.



(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٢٤٥٨)، ومسلم (١٧١٣) من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَ: «أَنَّهُ سَمِعَ خُصُومَةً بِيَابِ حُجْرَتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخَصْمُ، فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغُ مِنْ بَعْضٍ، فَأَحْسِبُ أَنَّهُ صَادِقٌ فَأَقْضِي لَهُ بِذَلِكَ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ، فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ لِيَتْرُكْهَا».

الحديث الثامن والعشرون

عَنْ أَبِي نَجِيحٍ الْعَرِيَّاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ كَأَنَّهَُا مَوْعِظَةُ مُودَعٍ، فَأَوْصِنَا، قَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعْشُ مِنْكُمْ فَمُسِيرِي اخْتِلَافٍ كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» [رواه الترمذي، وقال: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»] ^(١).

هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ وَعَظَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، الْوَعْظُ مَطْلُوبٌ، وَالتَّذْكِيرُ بِاللَّهِ، وَالتَّذْكِيرُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ مَطْلُوبٌ، وَالْقُرْآنُ مَوْعِظَةٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِظْهُمْ﴾ [النساء: ٦٣]، فَالْوَعْظُ مَطْلُوبٌ، خِلَافًا لِلَّذِينَ الْآنَ يَهْوُونُ مِنْ شَأْنِ الْوَعْظِ، وَمِنْ شَأْنِ ذِكْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْقِيَامَةِ وَالْحَشْرِ يَهْوُونُ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ كَمَا يُنْشَرُ فِي الصُّحُفِ، وَيَسْخَرُونَ مِنَ الْأَئِمَّةِ وَالْخُطَبَاءِ الَّذِينَ يَعِظُونَ النَّاسَ، هَذَا دَلِيلٌ عَلَى نِفَاقِهِمْ وَعَلَى كَرَاهِيَّتِهِمْ لِلْحَقِّ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، وَعَلَى قِسْوَةِ قُلُوبِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ﴾ ^(٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ^(٥٠) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿[المذثر: ٤٩ -

[٥١].

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣، ٤٤)، وأحمد (١٢٦/٤)، والدارمي (٩٥)، والطبراني في الكبير (٦٢٣)، وابن حبان (١٧٨/١)، والحاكم في المستدرک (١٧٦/١)، والبيهقي في الكبرى (١١٤/١٠).

قَالَ: «مَوْعِظَةٌ وَجِلْتُ مِنْهَا الْقُلُوبُ» يَعْنِي: خَافَتْ، «وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ» يَعْنِي: بَكَتْ، وَهَذَا مِنْ كَمَالِ وَعْظِهِ ﷺ وَتَأْثِيرِهِ عَلَى النَّاسِ. وَفِي هَذَا بَيَانٌ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم مِنْ قَبُولِ الْوَعْظِ وَالتَّأَثُّرِ بِهِ، بِخِلَافِ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْوَعْظَ وَلَا يَتَأَثَّرُونَ بِهِ، هَؤُلَاءِ قَدْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ، أَمَّا التَّأَثُّرُ بِالْوَعْظِ فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى سَلَامَةِ الْقَلْبِ مِنَ الْقَسْوَةِ.

قَالَ: «فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّهُمَا مَوْعِظَةٌ مُودَّعٌ» يَعْنِي: كَأَنَّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى قُرْبِ أَجَلِكَ؛ لِأَنَّ الْعَادَةَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يُوصِي مَنْ خَلْفَهُ إِذَا عِنْدَ سَفَرِهِ، وَإِذَا عِنْدَ مَوْتِهِ.

قَالَ: «فَأَوْصَيْنَا، قَالَ: أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ» فَأَوْصَى بِهِذِهِ الْأُمُورِ:

أَوَّلًا: تَقْوَى اللَّهِ بِفِعْلٍ أَوْ أَمْرٍ وَتَرْكِ نَوَاهِيهِ، رَجَاءً لِثَوَابِهِ وَخَوْفًا مِنْ عِقَابِهِ.

الثَّانِي: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِوُلاَةِ الْأُمُورِ؛ لِأَنَّهُ فِي هَذَا جَمْعُ الْكَلِمَةِ، وَفِيهِ مَصَالِحُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِذَا اجْتَمَعَتِ الْكَلِمَةُ عَلَى إِمَامٍ مِنْ أُمَّةٍ مُسْلِمِينَ وَقَادَهُمْ فَإِنَّ هَذَا يَحْصُلُ فِيهِ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَيَحْصُلُ فِيهِ اجْتِمَاعُ الْكَلِمَةِ وَعَدَمُ التَّفَرُّقِ، وَيَحْصُلُ فِيهِ تَنْفِذُ الْحُدُودِ عَلَى الْعُصَاةِ، وَيَحْصُلُ فِيهِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَحْصُلُ فِيهِ الْحُكْمُ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَقَطْعُ النِّزَاعِ، وَيَحْصُلُ فِيهِ الْأَمْنُ عَلَى الْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ، فَيَحْصُلُ فِيهِ خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ؛ وَلِهَذَا أَوْصَى بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِوَلِيِّ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَكِنْ بِالْمَعْرُوفِ، أَمَّا إِذَا أَمَرَ بِمَعْصِيَةٍ فَإِنَّهُ لَا يُطَاعُ فِي الْمَعْصِيَةِ، قَالَ ﷺ: «لَا طَاعَةَ

لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ»^(١) لَكِنْ لَا يَنْحَلُّ أَمْرُهُ، بَلْ لَا يُطَاعُ فِي هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ، وَيُطَاعُ فِي غَيْرِهَا مِنَ الْمَعْرُوفِ.

قَالَ: «وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ» هَذَا مِنْ بَابِ ضَرْبِ الْمِثَالِ، يَعْنِي: لَا يُخْتَقَرُ وَلِيُّ الْأَمْرِ مَهْمَا كَانَ، وَلَوْ كَانَ عَبْدًا، وَفِي رِوَايَةٍ: «عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ»^(٢)، مَا دَامَ أَنَّهُ وَلِيُّ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا يُخْتَقَرُ لِشَخْصِيَّتِهِ، وَإِنَّمَا يُنْظَرُ إِلَى مَنْصِبِهِ وَوِلَايَتِهِ، مَا دَامَ تَمَّ لَهُ الْأَمْرُ وَانْعَقَدَتْ لَهُ الْبَيْعَةُ فَإِنَّهَا تَجِبُ طَاعَتُهُ، وَحَتَّى وَلَوْ حَصَلَ مِنْهُ مُخَالَفَاتٌ لَا تَصِلُ إِلَى حَدِّ الْكُفْرِ فَإِنَّهُ يُطَاعُ؛ لِمَا فِي طَاعَتِهِ مِنَ الْمَصَالِحِ، وَلِمَا فِي الْخُرُوجِ عَلَيْهِ مِنَ الْمَضَارِّ الْعَظِيمَةِ وَالْمَفَاسِدِ، مَعَ مُنَاصَحَتِهِ وَبَيَانِ الْحَقِّ لَهُ، يَعْنِي: لَا يُسَكَّتُ عَنْهُ وَيُتْرَكُ، بَلْ يُنَاصَحُ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(٣).

الثَّالِثُ: اتِّبَاعُ السُّنَّةِ عِنْدَ الْاِخْتِلَافِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ» هَذَا إِخْبَارٌ مِنْهُ ﷺ، وَهُوَ عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ أَخْبَرَ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ وَعَنْ شَيْءٍ لَمْ يَحْصُلْ بَعْدُ، وَحَصَلَ كَمَا أَخْبَرَ ﷺ، «فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا» يَعْنِي: يَظْهَرُ اخْتِلَافٌ فِي الْأُמَّةِ فِي الْأَرَاءِ، وَفِي الْأَقْوَالِ، وَفِي الْأَعْمَالِ، فَمَا الْعِلَاجُ إِذَا حَصَلَ؟ الْعِلَاجُ التَّمَسُّكُ بِسُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَهَذَا كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَزُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النِّسَاء: ٥٩]، وَلَيْسَ الْحُلُّ فِي هَذِهِ الْمُسْكَلَةِ

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤٠)، ومسلم (١٨٤٠) من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٣٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) سبق تخريجه (ص ١٠٩).

أَنْ يُؤْخَذَ بِرَأْيِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ؛ بَلْ يُؤْخَذُ بِمَا قَامَ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَهُمَا كَفِيلَانِ بِحَلِّ الْمَشَاكِلِ، مَا تَرَكَ اللَّهُ فِيهِمَا مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعُ الْأُمَّةَ فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا إِلَّا وَبَيْنَهُ، فَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: «تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ»^(١)، وَقَالَ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا، كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّتِي»^(٢)، فَهُمَا الْمَرْجِعُ عِنْدَ الْاِخْتِلَافِ، وَهَذَا فِيهِ رَدٌّ عَلَى الَّذِينَ يُنَادُونَ بِحُرِّيَةِ الرَّأْيِ، وَيَقُولُونَ: كُلُّ لَهُ رَأْيٌ وَلَا نَحْجُرُ عَلَى النَّاسِ.

وَهُؤُلَاءِ نَقُولُ لَهُمْ: نَحْنُ لَا نَحْجُرُ عَلَى النَّاسِ، وَلَكِنْ نَقُولُ: مَرْجِعُنَا وَمَرْجِعُكُمْ وَمَرْجِعُ الْجَمِيعِ هُوَ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ، وَاللَّهُ تَعَالَى مَا تَرَكْنَا لِلَاِخْتِلَافِ، وَلَا تَرَكْنَا لِلْأَرْأَاءِ وَالْأَقْوَالِ، وَإِنَّمَا أَمَرْنَا بِاتِّبَاعِ كِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، هَذَا الَّذِي أَمَرْنَا اللَّهُ بِهِ.

قَوْلُهُ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي» هَذِهِ كَلِمَةٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، أَيْ: الزَّمُوا أَنْفُسَكُمْ، و«عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي» أَيْ: الزَّمُوا سُنَّتِي، وَالْمُرَادُ بِسُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ طَرِيقَتُهُ الَّتِي كَانَ يَسِيرُ عَلَيْهَا،

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٣)، وأحمد في المسند (١٢٦/٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٧/١)، والآنجري في الشريعة (ص ٥٥)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/٧٤)، والطبراني في الكبير (٦٤٢)، والحاكم في المستدرک (١/١٧٥) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ الحاكم في المستدرک (١/٩٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (ص ٢٦٩)، من حديث عمرو بن عوف رضي الله عنه بلفظ: «وسنة نبيه ﷺ»، ورواه الحاكم أيضاً (١/٩٣)، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «كتاب الله وسنة نبيه ﷺ»، وقد ورد بغير هذا اللفظ عند مسلم (٢٤٠٨)، والترمذي (٣٧٨٨)، وأحمد في المسند (١٤/٣).

وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْاِعْتِقَادِ وَالْعَمَلِ وَالْهَدْيِ وَالْاِخْلَاقِ، وَأَمَّا مَنْ أَرَادَ بِالسُّنَّةِ الْأَحَادِيثَ النَّبَوِيَّةَ، نَقُولُ لَهُ: الْأَحَادِيثُ بَعْضُ سُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ وَسُنَّتِهِ ﷺ أَعَمُّ، فَقَوْلُهُ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي» أَي: عَلَيْكُمْ بِطَرِيقَتِي الَّتِي أَنَا عَلَيْهَا؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْقُدْوَةُ ﷺ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الْأَحْزَاب: ٢١].

قَالَ: «سُنَّةُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِينَ مِنْ بَعْدِي» وَهُمْ الْخُلَفَاءُ الْأَرْبَعَةُ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ ﷺ، هَؤُلَاءِ هُمْ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ، فَمَا كَانُوا عَلَيْهِ وَمَا عَمِلُوا بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ سُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ، فَهُمْ الْمَرْجِعُ بَعْدَ الْكِتَابِ وَبَعْدَ سُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ، فَيُنْظَرُ فِيهَا كَانَ عَلَيْهِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ وَيُؤْخَذُ بِهِ.

قَالَ: «سُنَّةُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِينَ» هَذِهِ صِفَاتُهُمْ ﷺ. الْأُولَى: «الْخُلَفَاءُ» أَنَّهُمْ خُلَفَاءُ لِلرَّسُولِ ﷺ، اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِحِلَافَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَقِيَادَةِ الْأُمَّةِ بَعْدَ الرَّسُولِ ﷺ.

الثَّانِيَّةُ: «الرَّاشِدِينَ» مِنَ الرُّشْدِ وَهُوَ ضِدُّ الْغَيِّ، فَهُمْ رَاشِدُونَ ﷺ بِخِلَافِ أَهْلِ الْغَيِّ وَالضَّلَالِ.

الثَّالِثَةُ: «الْمُهْدِينَ» جَمْعُ مَهْدِيٍّ: وَهُوَ مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ إِلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ هَدَاهُمْ، وَهَذِهِ شَهَادَةٌ لَهُمْ أَنَّهُمْ عَلَى هُدًى ﷺ.

ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِكَ فَقَالَ: «تَمَسَّكُوا بِهَا» هَذَا تَأْكِيدٌ لِقَوْلِهِ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي»، فَعِنْدَ الْاِخْتِلَافِ تَقَعُ الْأُمَّةُ فِي خَطَرٍ عَظِيمٍ، وَلَا يُنْجِيهَا إِلَّا أَنْ تَتَمَسَّكَ بِسُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ، فَالْإِنْسَانُ إِذَا كَانَ فِي مَهْلَكَةٍ أَوْ فِي غَرَقٍ وَلُجَّةٍ يَتَمَسَّكُ بِالْحَبْلِ الَّذِي يُنْجِيهِ مِنْ هَذَا الشَّيْءِ، وَالْحَبْلُ الَّذِي يُنْجِيكَ مِنْ هَذِهِ الْمَخَاطِرِ هُوَ سُنَّةُ الرَّسُولِ ﷺ، لَوْ انْفَلَتَ مِنْكَ الْحَبْلُ وَأَنْتَ فِي الْبَحْرِ أَوْ فِي الْمَاءِ تَغْرَقُ، فَإِذَا

وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِعْتِقَادِ وَالْعَمَلِ وَالْهَدْيِ وَالْأَخْلَاقِ، وَأَمَّا مَنْ أَرَادَ بِالسُّنَّةِ الْأَحَادِيثَ النَّبَوِيَّةَ، نَقُولُ لَهُ: الْأَحَادِيثُ بَعْضُ سُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ وَسُنَّةِ ﷺ أَعَمُّ، فَقَوْلُهُ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي» أَي: عَلَيْكُمْ بِطَرِيقَتِي الَّتِي أَنَا عَلَيْهَا؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْقُدْوَةُ ﷺ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الْأَخْزَاب: ٢١].

قَالَ: «سُنَّةُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِينَ مِنْ بَعْدِي» وَهُمْ الْخُلَفَاءُ الْأَرْبَعَةُ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ ﷺ، هَؤُلَاءِ هُمْ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ، فَمَا كَانُوا عَلَيْهِ وَمَا عَمِلُوا بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ سُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ، فَهُمْ الْمَرْجِعُ بَعْدَ الْكِتَابِ وَبَعْدَ سُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ، فَيُنْظَرُ فِيهَا كَانَ عَلَيْهِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ وَيُؤْخَذُ بِهِ.

قَالَ: «سُنَّةُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِينَ» هَذِهِ صِفَاتُهُمْ ﷺ. الْأُولَى: «الْخُلَفَاءُ» أَنَّهُمْ خُلَفَاءُ لِلرَّسُولِ ﷺ، اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِحِلَافَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَقِيَادَةِ الْأُمَّةِ بَعْدَ الرَّسُولِ ﷺ.

الثَّانِيَّةُ: «الرَّاشِدِينَ» مِنَ الرُّشْدِ وَهُوَ ضِدُّ الْغَيِّ، فَهُمْ رَاشِدُونَ ﷺ بِخِلَافِ أَهْلِ الْغَيِّ وَالضَّلَالِ.

الثَّالِثَةُ: «الْمُهْدِينَ» جَمْعُ مَهْدِيٍّ: وَهُوَ مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ إِلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ هَدَاهُمْ، وَهَذِهِ شَهَادَةٌ لَهُمْ أَنَّهُمْ عَلَى هُدًى ﷺ.

ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِكَ فَقَالَ: «تَمَسَّكُوا بِهَا» هَذَا تَأْكِيدٌ لِقَوْلِهِ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي»، فَعِنْدَ الْإِخْتِلَافِ تَقَعُ الْأُمَّةُ فِي خَطَرٍ عَظِيمٍ، وَلَا يُنْجِيهَا إِلَّا أَنْ تَتَمَسَّكَ بِسُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ، فَالْإِنْسَانُ إِذَا كَانَ فِي مَهْلَكَةٍ أَوْ فِي غَرَقٍ وَلُجَّةٍ يَتَمَسَّكُ بِالْحَبْلِ الَّذِي يُنْجِيهِ مِنْ هَذَا الشَّيْءِ، وَالْحَبْلُ الَّذِي يُنْجِيكَ مِنْ هَذِهِ الْمَخَاطِرِ هُوَ سُنَّةُ الرَّسُولِ ﷺ، لَوْ انْفَلَتَ مِنْكَ الْحَبْلُ وَأَنْتَ فِي الْبَحْرِ أَوْ فِي الْمَاءِ تَغْرَقُ، فَإِذَا

خَشِيتَ أَنْ يَنْفَلِتَ مِنْ يَدَيْكَ عَضٌّ عَلَيْهِ بِالنَّوَاجِذِ، أَيْ: بِأَضْرَاسِكَ؛ لِأَنَّهُ إِذَا انْفَلَتَ مِنْكَ هَلَكْتَ، فَإِذَا كَلَّتْ يَدَاكَ مِنَ التَّمَسُّكِ بِهِ عَضٌّ عَلَيْهِ بِأَضْرَاسِكَ. وَقَوْلُهُ: «تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ» هَذَا تَأْكِيدٌ بَعْدَ تَأْكِيدٍ بِالتَّمَسُّكِ بِسُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ عِنْدَ الْفِتَنِ، وَعِنْدَ الْاِخْتِلَافِ؛ فَإِنَّ بِهَا الْعِصْمَةَ وَالنَّجَاةَ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهَا، وَتَرَكَ مَا عَلَيْهِ الْمُخَالِفُ لِلْسُّنَّةِ، مَهْمَا كَانَ هَذَا الشَّخْصُ أَوْ الْمُخَالِفُ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «وَايَاكُمْ» هَذَا تَحْذِيرٌ، «وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ» مَنْصُوبٌ عَلَى التَّحْذِيرِ، «مُحَدَّثَاتِ» مَنْصُوبٌ وَعَلَامَةٌ نَصْبِهِ الْكَسْرَةُ نِيَابَةً عَنِ الْفَتْحَةِ؛ لِأَنَّهُ جَمْعٌ مُؤَنَّثٌ سَالِمٌ، «وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ» جَمْعٌ مُحَدَّثَةٌ، وَالْمُحَدَّثُ فِي الدِّينِ: مَا لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ مِنَ الْأُمُورِ الْحَوَادِثِ، قَالَ ﷺ: «مَنْ أَخَذَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»^(١)، وَفِي رِوَايَةٍ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(٢)، فَمَا خَالَفَ السُّنَّةَ فَهُوَ مُحَدَّثٌ، وَالْمُحَدَّثُ بِدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ، «فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ»^(٣) يَعْنِي: كُلُّ مُحَدَّثَةٍ فِي الدِّينِ، أَمَّا مَا أُخِذَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا كَالْمَرَائِبِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَسَاكِينِ، هَذَا لَيْسَ بِدْعَةٍ، هَذَا مِنَ الْمَنَافِعِ الَّتِي أَبَاحَهَا اللَّهُ لِعِبَادِهِ، إِنَّمَا الْكَلَامُ فِي الدِّينِ، فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يُحَدِّثَ فِي الدِّينِ شَيْئًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا سُنَّةِ رَسُولِهِ، وَإِنْ كَانَ قَصْدُهُ حَسَنًا وَيُرِيدُ الْخَيْرَ، فَإِنْ كَانَ يُرِيدُ الْخَيْرَ يَتَّبِعِ السُّنَّةَ، وَإِنْ كَانَ يُرِيدُ غَيْرَهَا فَهَذَا لَيْسَ خَيْرًا، وَإِنْ رَأَاهُ هُوَ خَيْرًا أَوْ ظَنَّ أَنَّهُ خَيْرٌ، وَمَا تَرَكَتِ السُّنَّةُ

(١) سبق تخريجه (ص ٩٨).

(٢) سبق تخريجه (ص ٣٩).

(٣) سبق تخريجه (ص ٣٩).

خَيْرًا إِلَّا بَيْنَتْهُ، فَهِيَ شَامِلَةٌ وَلَيْسَتْ بِحَاجَةٍ إِلَى إِحْدَاثٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فَدِينُ اللَّهِ كَامِلٌ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ لَا يَحْتَاجُ أَنْ تَأْتِيَ بِإِضَافَةٍ تُزِيدُهَا عَلَيْهِ.

قَالَ: «وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» فَلَا يُسْتَشْنَى شَيْءٌ مِنَ الْبِدْعِ؛ لِأَنَّ هُنَاكَ الْآنَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الْبِدْعَ مِنْهَا مَا هُوَ حَسَنٌ، وَمِنْهَا مَا هُوَ ضَلَالَةٌ^(١). وَهَذَا خِلَافُ قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ، الرَّسُولُ يَقُولُ: «كُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، وَهُمْ يَقُولُونَ: لَا، هُنَاكَ بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ؟!!! وَنَقُولُ: لَيْسَ هُنَاكَ بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ، هَذَا مُخَالَفٌ لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ، فَالْبِدْعُ لَا خَيْرَ فِيهَا وَلَا حُسْنَ فِيهَا، كُلُّهَا قَبِيحَةٌ نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

فَهَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ يَشْتَمِلُ عَلَى وَصَايَا عَظِيمَةٍ مَنْ تَمَسَّكَ بِهَا فَإِنَّهُ يَنْجُو مِنَ الْفِتَنِ وَالْخَطَرِ وَالضَّلَالِ وَتَشَعُّبِ الْأَرَآءِ وَالْأَفْكَارِ، وَهَذَا مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ بَيَّنَّ لَهُمُ الطَّرِيقَ، وَأَبْقَى فِيهِمْ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ ﷺ، أَبْقَى الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ بِأَيْدِي الْمُسْلِمِينَ رَحْمَةً مِنْهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وَلَمْ يَتْرُكْهُمْ يَتَخَبَّطُونَ فِي الْأَرَآءِ وَالْأَفْهَامِ وَالْأَفْكَارِ، كَمَا كَانَ حَالُ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ.



(١) راجع كلام الشاطبي رحمه الله في رده على تقسيم البدعة إلى حسنة وغيرها (ص ٩٩).

الحديث التاسع والعشرون

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسِّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، قَالَ: ثُمَّ تَلَا ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ [السَّجْدَةِ: ١٦]، حَتَّى بَلَغَ ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ. ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا. فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: تَكَلَّمْتُكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟ [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ] (١).

هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ يَرَسُمُ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ الطَّرِيقَ الَّذِي يُوصِلُ صَاحِبَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُهُ عَنِ النَّارِ، وَهَذَا يَحْتَاجُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ، فَكُلُّ مُسْلِمٍ يُرِيدُ دُخُولَ الْجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ، وَلَكِنْ مَا الطَّرِيقُ؟ لِذَلِكَ سَأَلَ مُعَاذُ رضي الله عنه النَّبِيَّ ﷺ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ بِاسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يَعْرِفَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ مِنْ طَرِيقِ النَّارِ إِلَّا مِنْ نَاحِيَةِ الْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَكِلْنَا إِلَى عُقُولِنَا

وَتَفَكِيرِنَا وَتَصَوُّرَاتِنَا وَإِنَّمَا أَرْسَلَ هَذَا الرَّسُولَ، وَأَنْزَلَ هَذَا الْكِتَابَ؛ مِنْ أَجْلِ
أَنْ يُبَيِّنَ لَنَا طَرِيقَ الْجَنَّةِ وَطَرِيقَ النَّارِ.

وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى وَجُوبِ سُؤَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ عَنْ أُمُورِ الدِّينِ؛ لِأَنَّهَا لَا
يُسْأَلُ عَنْهَا غَيْرُ الْعُلَمَاءِ، لَا يُسْأَلُ عَنْهَا الْأَطِبَّاءُ وَالْمُهَنْدِسُونَ، فَأَمْرُ الدِّينِ لَيْسَ
مِنْ مَدَارِكِ الْعُقُولِ، وَإِنَّمَا هُوَ بِالْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ.

قَوْلُهُ: «أَخْبَرَنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ» هَذَا مَا يُرِيدُهُ
كُلُّ مُسْلِمٍ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ لَا تُدْخَلُ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَالنَّارُ أَيْضًا تُدْخَلُ بِعَمَلٍ،
فَعَمَلُ الْخَيْرِ يُدْخِلُ الْجَنَّةَ، وَعَمَلُ الشَّرِّ يُدْخِلُ النَّارَ، فَلَا أَحَدَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَوْ
النَّارَ بِدُونِ عَمَلٍ.

قَوْلُهُ ﷺ: «لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ» عَظَمَ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا الْمَسْئُولَ عَنْهُ؛
مِنْ أَجْلِ أَنْ يُنَبِّهَ السَّامِعِينَ وَالْقَارِئِينَ إِلَى عِظَمِ هَذَا الْأَمْرِ حَتَّى يَهْتَمُّوا بِهِ.

قَوْلُهُ: «وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ» مَعَ عِظَمِهِ فَإِنَّهُ يَسِيرٌ عَلَى مَنْ
يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الدِّينَ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ - دِينٌ سَمِخٌ، لَا حَرْجٌ فِيهِ، وَلَا
مَشَقَّةٌ، وَإِنَّمَا هُوَ دِينٌ يَتَمَشَّى مَعَ قُدْرَاتِ الْإِنْسَانِ مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ، وَمِنْ غَيْرِ
تَسَاهُلٍ وَتَضْيِيعٍ، فَهُوَ طَرِيقٌ سَهْلٌ لَكِنْ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، أَمَّا مَنْ لَمْ
يُسِّرْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَهُوَ صَعْبٌ؛ وَلِذَلِكَ الطَّاعَاتُ أَشَقُّ مَا تَكُونُ عَلَى نُفُوسِ

الْكُسَالَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ يَعْنِي: الصَّلَاةُ ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾

[البقرة: ٤٥]، فَالصَّلَاةُ عَلَى الْخَاشِعِينَ تَكُونُ قُرَّةَ أَعْيُنِهِمْ وَسَهْلَةً عَلَيْهِمْ، وَأَمَّا
الْمُتَكَاْسِلُونَ فَتَكُونُ ثَقِيلَةً وَكَبِيرَةً عَلَيْهِمْ، مَعَ أَنَّهَا رَكَعَاتٌ لَا تَسْتَغْرِقُ وَقْتًا
طَوِيلًا، وَلَكِنَّهَا تَشُقُّ عَلَيْهِمْ.

وَكَذَلِكَ سَائِرُ الطَّاعَاتِ، فَإِنْفَاقُ الْمَالِ - مَثَلًا - يَصْعَبُ عَلَى مَنْ لَيْسَ

عِنْدَهُ إِيْمَانٌ، لَكِنَّ أَهْلَ الْخَيْرِ وَالْإِيْمَانِ يَسْهُلُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، فَيُنْفِقُونَهُ عَلَى مُحَبَّتِهِ طَاعَةً لِلَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - . وَكَذَلِكَ حَاطَهُمْ فِي سَائِرِ الْأَعْمَالِ .

قَوْلُهُ ﷺ: «تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» هَذَا الْأَصْلُ: تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ، لَمْ يَكْتَفِ بِقَوْلِهِ: «تَعْبُدُ اللَّهَ»، بَلْ قَالَ: «وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النِّسَاء: ٣٦]؛ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَصِحُّ وَلَا تُقْبَلُ إِلَّا مَعَ الْإِخْلَاصِ، فَإِذَا دَاخَلَهَا الشُّرْكُ فَإِنَّهَا تَبْطُلُ وَلَا تَنْفَعُ صَاحِبَهَا، وَلَا يَقْبَلُهَا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فَالْمُشْرِكُ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ عَمَلٌ، وَكُلُّ عَمَلٍ خَالَطَهُ شِرْكٌ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُهُ.

قَوْلُهُ: «وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ» هَذَا هُوَ الرُّكْنُ الثَّانِي، تُقِيمُ الصَّلَاةَ الَّتِي هِيَ عَمُودُ الْإِسْلَامِ، وَالْمُرَادُ بِالصَّلَاةِ: الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَقَالَ: تُقِيمُهَا، وَلَمْ يَقُلْ: تُصَلِّيْ؛ لِأَنَّ الْمَطْلُوبَ إِقَامَةُ الصَّلَاةِ لَا شَكْلُ الصَّلَاةِ، وَإِنَّمَا الصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ الْمَشْتَمِلَةُ عَلَى أَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا وَوَاجِبَاتِهَا وَسُنَنِهَا، هَذِهِ هِيَ الصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ، أَمَّا الصَّلَاةُ الَّتِي تَحْتَلُّ فِيهَا الْأَرْكَانُ أَوْ الشُّرُوطُ أَوْ الْوَاجِبَاتُ فَهَذِهِ لَا تَكُونُ صَلَاةً نَافِعَةً عِنْدَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - .

قَوْلُهُ: «وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ» هَذَا هُوَ الرُّكْنُ الثَّلَاثُ، وَهُوَ إِيْتَاءُ الزَّكَاةِ الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ فِي الْأَمْوَالِ وَهِيَ قَرِينَةُ الصَّلَاةِ، وَهِيَ: الْمِقْدَارُ الْمُقَدَّرُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَلِلْأَصْنَافِ الثَّانِيَةِ الَّتِي بَيْنَهَا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، فَهِيَ عِبَادَةُ مَالِيَّةٌ، وَالصَّلَاةُ عِبَادَةُ بَدَنِيَّةٌ.

قَوْلُهُ: «وَتَصُومُ رَمَضَانَ» هَذَا الرُّكْنُ الرَّابِعُ، تَصُومُ رَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ فِي السَّنَةِ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَرَضُ وَرُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ.

قَوْلُهُ: «وَتَحُجُّ الْبَيْتَ» وَهَذَا هُوَ الرُّكْنُ الْخَامِسُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، ذَكَرَ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْكَانَ الْإِسْلَامِ كُلَّهَا آخِرُهَا الْحَجُّ، وَالْحَجُّ بَيْتُهُ الْأَحَدِيثُ الْأُخْرَى أَنَّهُ مَرَّةٌ وَاحِدَةٌ فِي الْعُمْرِ عَلَى الْمُسْتَطِيعِ، أَمَّا الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ بِالْمَالِ فَهَذَا لَيْسَ عَلَيْهِ حَجٌّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٩٧]، السَّبِيلُ: «الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ»^(١)، الزَّادُ الَّذِي يُبَلِّغُهُ وَالنَّفَقَةُ، وَالرَّاحِلَةُ يَعْنِي الْمَرْكُوبَ الَّذِي يَذْهَبُ بِهِ وَيَرُدُّهُ فِي كُلِّ زَمَانٍ بِحَسَبِهِ، وَالرَّاحِلَةُ قَدْ تَكُونُ سَيَّارَةً، وَقَدْ تَكُونُ طَائِرَةً، وَقَدْ تَكُونُ بَاخِرَةً، كُلُّ زَمَانٍ بِحَسَبِهِ، فَإِذَا لَمْ يَجِدْ زَادًا وَلَا رَاحِلَةً فَلَيْسَ عَلَيْهِ حَجٌّ، وَإِنْ وَجَدَ اسْتَطَاعَةَ الْمَالِيَّةَ وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ اسْتَطَاعَةٌ بَدَنِيَّةٌ فِيهِ تَفْصِيلٌ: إِذَا كَانَ الْعَارِضُ وَالْعُذْرُ يُرْجَى زَوَالُهُ، فَإِنَّهُ يَنْتَظِرُ حَتَّى يَزُولَ ثُمَّ يَحُجُّ بِنَفْسِهِ، وَإِذَا كَانَ الْعُذْرُ الْمَانِعُ لَا يَزُولُ كَالْكَبِيرِ وَالْهَرَمِ أَوْ الْمَرَضِ الْمَزْمِنِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ مَعَهُ الْحَجَّ فَإِنَّهُ يُنِيبُ مَنْ يَحُجُّ عَنْهُ. وَمَا زَادَ عَنِ الْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ فَإِنَّهُ تَطَوُّعٌ.

ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟» زِيَادَةٌ عَلَى أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّ الدِّينَ لَيْسَ مُحْصُورًا فِي أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، وَلَكِنْ هَذِهِ هِيَ الْأَسَاسَاتُ، وَهُنَاكَ أَعْمَالٌ كَثِيرَةٌ تَتَّبَعُ هَذِهِ الْأَرْكَانَ وَتُكَمِّلُهَا، وَهِيَ جَمِيعُ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ مِنْ

(١) أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ (٨١٣)، وَابْنُ مَاجَهَ (٢٨٩٦)، وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ (٣٢٧/٤) مِنْ طَرِيقِ

إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَادِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا يُوجِبُ الْحَجَّ؟ قَالَ: «الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ»: (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ) وَالْعَمَلُ عَلَيْهِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَلَكَ زَادًا وَرَاحِلَةً وَجَبَ عَلَيْهِ الْحَجُّ «وَإِبْرَاهِيمُ هُوَ ابْنُ يَزِيدَ الْخُوزِيِّ الْمَكِّيُّ وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ قَبْلِ حِفْظِهِ» (١.٠ هـ).

وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ طَرُقٍ أُخْرَى مِنْ حَدِيثِ: أَنَسٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كُلُّهَا مَرْفُوعَةٌ، وَلَكِنْ فِي أَصَانِيدِهَا مَقَالٌ. انْظُرْ: نَصَبُ الرَّاْيَةِ (٣/٧، ٨)، وَتَفْسِيرُ ابْنِ

فَرَائِضَ وَنَوَافِلَ، وَوَاجِبَاتٍ وَمُسْتَحَبَّاتٍ.

قَوْلُهُ: «الصَّوْمُ جُنَّةٌ» يَعْنِي: سُتْرَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ النَّارِ، وَالصَّوْمُ فَرِيضَةٌ مِثْلُ صِيَامِ رَمَضَانَ، وَنَافِلَةٌ مِثْلُ صِيَامِ الْأَيَّامِ الَّتِي جَاءَ الدَّلِيلُ بِصِيَامِهَا؛ كَالسَّيِّدِ مِنْ شَوَّالَ، وَالْإِثْنَيْنِ، وَالْخَمِيسِ، وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَعَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ، وَيَوْمِ عَرَفَةَ، وَيَوْمِ عَاشُورَاءَ وَيَوْمٍ قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ، فَهَذِهِ كُلُّهَا صَوْمٌ نَافِلَةٌ.

قَوْلُهُ: «وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ؛ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ» الصَّدَقَةُ أَيْضًا عَلَى قِسْمَيْنِ:

* فَرِيضَةٌ وَهِيَ الزَّكَاةُ.

* وَتَطَوُّعٌ وَهِيَ التَّبَرُّعَاتُ فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ.

الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُطْفِئَ سَيِّئَاتِكَ فَإِنَّكَ تَتَصَدَّقُ عَلَى الْمُحْتَاجِينَ.

قَوْلُهُ: «وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، قَالَ ثُمَّ تَلَا ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾» الصَّلَاةُ مِنْهَا فَرِيضَةٌ وَمِنْهَا نَافِلَةٌ، وَأَفْضَلُ النَّوَافِلِ صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، يَعْنِي: وَسَطَ اللَّيْلِ؛ لِأَنَّهُ وَقْتُ نَوْمِ النَّاسِ، وَوَقْتُ هُدُوءٍ، وَيَكُونُ بَعْدَ نَوْمٍ وَرَاحَةٍ فَيَكُونُ الْإِنْسَانُ حَاضِرَ الْقَلْبِ، وَيَكُونُ الْإِنْسَانُ قَدْ أَخَذَ حَظَّهُ مِنَ النَّوْمِ ثُمَّ يَقُومُ نَشِيطًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [الزَّمْلُ: ٦]، وَنَاشِئَةُ اللَّيْلِ هِيَ الْقِيَامُ بَعْدَ نَوْمٍ، وَقَدْ قَالَ ﷺ: «أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَحَبُّ الصَّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ

ثُلُثُهُ، وَيَنَامُ سُدُسُهُ، وَيَصُومَ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا^(١)، يَقُومُ الثُّلُثَ الَّذِي بَعْدَ النِّصْفِ، هَذَا هُوَ جَوْفُ اللَّيْلِ، وَيُصَادِفُ النُّزُولَ الإِلَهِيَّ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، يَجْمَعُ بَيْنَ جَوْفِ اللَّيْلِ وَبَيْنَ آخِرِ اللَّيْلِ وَقْتَ النُّزُولِ الإِلَهِيِّ، فَيَجْمَعُ بَيْنَ الْفَضِيلَتَيْنِ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَحْصُلَ عَلَى هَذَا الْأَجْرِ فَلْيُرْتَّبِ الْقِيَامَ فِي هَذَا الْوَقْتِ.

قَالَ: «ثُمَّ تَلَا ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾»، يَعْنِي: يَقُومُونَ فِي اللَّيْلِ، وَيَتْرُكُونَ الْمَضَاجِعَ الدَّافِئَةَ فِي الشِّتَاءِ، وَالْمَضَاجِعَ الْمُرِيحَةَ، يَتْرُكُونَ مَا يُحِبُّونَ وَيَقُومُونَ لِبَطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَكُونُهُمْ يَتْرُكُونَ الْمَضَاجِعَ وَيَقُومُونَ دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِ إِيْمَانِهِمْ، وَمَحَبَّتِهِمْ لِلْخَيْرِ، وَأَيْضًا الْقِيَامُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ أَكْثَرُ إِخْلَاصًا؛ لِأَنَّ النَّاسَ نَائِمُونَ لَا يَرَوْنَهُ.

ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟» يَعْنِي: الَّذِي يَجْمَعُ لَكَ كُلَّ هَذِهِ الْأُمُورِ.

قَالَ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ» وَالْإِسْلَامُ: هُوَ الْاِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالْاِنْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبِرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، هَذَا تَعْرِيفُهُ بِأَرْكَانِهِ الْخَمْسَةِ الَّتِي مَرَّتْ.

قَالَ: «وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ» عَمُودُ الْإِسْلَامِ الصَّلَاةُ، مِثْلُ الْعَمُودِ لِلْخِيْمَةِ وَالْبَيْتِ، فَالْبَيْتُ وَالسَّقْفُ لَا يَقُومُ إِلَّا عَلَى عُمْدٍ؛ وَكَذَلِكَ الْإِسْلَامُ لَا يَقُومُ إِلَّا عَلَى الصَّلَاةِ، فَلَوْ أَنَّكَ عَمِلْتَ جَمِيعَ أَعْمَالِ الْإِسْلَامِ إِلَّا الصَّلَاةَ فَإِنَّهُ لَا

(١) أخرجه البخاري (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

يُقُومُ لَكَ إِسْلَامٌ؛ كَمَا لَوْ أَنَّكَ أَحْضَرْتَ الْحَيْمَةَ وَالْأَوْتَادَ وَالْأُطْنَابَ وَلَمْ تُحْضِرْ
عَمُودًا تُقِيمُ بِهِ الْحَيْمَةَ لَمْ تَنْتَفِعْ بِهَا، فَلَا بُدَّ مِنْ اجْتِمَاعِ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَأَهَمُّ شَيْءٍ
الْعَمُودُ، فَالصَّلَاةُ هِيَ عَمُودُ الْإِسْلَامِ.

قَالَ: «وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ» الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَهُوَ
قِتَالُ الْكُفَّارِ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَإِزَالَةِ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ مِنَ الْأَرْضِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ
خَلَقَ النَّاسَ لِعِبَادَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾
[الذَّارِيَاتُ: ٥٦]، فَإِذَا عَبْدُوا غَيْرَ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ يُقَاتِلُونَ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ
وَالِإِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، إِذَا اسْتَطَاعَ الْمُسْلِمُونَ قِتَالَهُمْ، وَإِذَا لَمْ يَسْتَطِيعُوا فَإِنَّهُمْ
يَصْبِرُونَ إِلَى أَنْ تَحْصُلَ الْاسْتِطَاعَةُ وَتَسْنَحَ الْفُرْصَةُ، فَيُقَاتِلُونَهُمْ مِنْ أَجْلِ
مَصْلَحَتِهِمْ، فَالْمُسْلِمُونَ يُقَاتِلُونَ الْكُفَّارَ مِنْ أَجْلِ مَصْلَحَةِ الْكُفَّارِ، لِإِخْرَاجِهِمْ
مِنَ الْكُفْرِ إِلَى الْإِيمَانِ، وَمِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَمِنَ النَّارِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَلَيْسَ
طَمَعًا فِيهِمْ أَوْ رَغْبَةً فِي سَفَكِ دِمَائِهِمْ أَوْ أَخْذِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَتْلُوهُمْ
حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البَقَرَةُ: ١٩٣]، وَالْجِهَادُ ذُرْوَةُ سَنَامِ الْإِسْلَامِ؛
لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّ السَّنَامَ إِنَّمَا يَكُونُ لِلْبَهِيمَةِ السَّلِيمَةِ الْقَوِيَّةِ،
فَوُجُودُ الْجِهَادِ فِي الْإِسْلَامِ دَلِيلٌ عَلَى قُوَّةِ الْإِسْلَامِ، وَتَرْكُ الْجِهَادِ يَدُلُّ عَلَى
ضَعْفِ الْإِسْلَامِ.

ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكَ كُلُّهُ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَأَخَذَ
بِلِسَانِهِ قَالَ كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا» إِذَا عَمِلْتَ هَذِهِ الْأَعْمَالَ فَأَحْذَرِ مِمَّا يُبْطِلُهَا،
وَأَعْظَمُ مَا يَقْضِي عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ اللِّسَانُ، بِالْكَلَامِ الْفَاحِشِ، وَالْغِيْبَةِ،
وَالنَّمِيمَةِ، وَشَهَادَةِ الزُّورِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَهَذَا يُبْطِلُ الْأَعْمَالَ وَيَأْتِي عَلَيْهَا؛ لِأَنَّ

الْأَعْمَالُ تَذْهَبُ مَعَ الْمَظْلُومِينَ الَّذِينَ تَكَلَّمْتَ فِيهِمْ أَوْ عَلَيْهِمْ، حَيْثُ يَقْتَضُونَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حَسَنَاتِكَ، فَتُصْبِحُ مُفْلِسًا؛ لِأَنَّهُمْ يَأْخُذُونَهَا بِمَظَالِمِهِمْ، فَإِذَا
أَرَدْتَ أَنْ تَبْقَى لَكَ أَعْمَالُكَ وَحَسَنَاتُكَ فَأَمْسِكْ لِسَانَكَ عَنِ الْكَلَامِ السَّيِّئِ
فَهُوَ خَطِيرٌ جَدًّا.

قَوْلُهُ: «فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟» تَعَجَّبَ مُعَاذُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ سَهْلٌ عَلَى النَّاسِ، أَلَسِنَتُهُمْ دَائِمًا تَشْتَغِلُ وَتَتَكَلَّمُ، فَهَلْ هَذَا
يُؤَثِّرُ عَلَى أَعْمَالِ الْإِنْسَانِ وَيُؤَاخِذُ بِهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ» يَعْنِي:
فَقَدَتْكَ أُمُّكَ، هَذَا أَصْلُهُ دُعَاءٌ بِالْهَلَاكِ، وَلَكِنْ جَرَى عَلَى اللِّسَانِ مِنْ غَيْرِ
قَصْدٍ، فَقَوْلُهُ ﷺ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ» لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَدْعُو عَلَى مُعَاذٍ بِالْهَلَاكِ،
وَإِنَّمَا هِيَ كَلِمَةٌ تَجْرِي عَلَى اللِّسَانِ وَلَا يُقْصَدُ مَعْنَاهَا، «وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسُ فِي
النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» فَهَذَا فِيهِ
خَطَرُ اللِّسَانِ، وَخَطَرُ الْكَلَامِ، فَقَدْ يَتَكَلَّمُ الْإِنْسَانُ بِالشُّرْكِ وَالْكُفْرِ وَيَخْرُجُ
مِنَ الْإِسْلَامِ، وَقَدْ يَسُبُّ الدِّينَ، وَيَسُبُّ الرَّسُولَ ﷺ، وَيَسْتَهْزِئُ بِالدِّينِ
فَيَخْرُجُ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَقَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَهِيَ خَفِيفَةٌ عَلَى اللِّسَانِ،
وَلَكِنَّهَا تَذْهَبُ أَعْمَالُهُ وَيُصْبِحُ كَافِرًا، وَقَدْ يَتَكَلَّمُ بِالْغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَهُمَا
كَبِيرَتَانِ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَقَدْ يَتَكَلَّمُ بِشَهَادَةِ الزُّورِ وَهِيَ غَلِيظَةٌ وَشَدِيدَةٌ،
وَكَذَلِكَ يَحْلِفُ وَيُكْثِرُ مِنَ الْإِيْمَانِ، وَمِنْهَا الْيَمِينُ الْغَمُوسُ الَّتِي تَغْمِسُ
صَاحِبَهَا فِي النَّارِ، فَكُلُّهُ كَلَامٌ، فَإِذَا اسْتَعْمَلْتَ هَذَا اللِّسَانَ فِي الْكَلَامِ الطَّيِّبِ
أَثْمَرَ لَكَ؛ كَالْتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللَّهِ، وَإِنْ
اسْتَعْمَلْتَهُ فِي الْكَلَامِ السَّيِّئِ أَهْلَكَكَ وَأَوْقَعَكَ فِي النَّارِ وَأَنْتَ لَا تَذَرِي، فَقَدْ

يُصَلِّي الْإِنْسَانُ فِي اللَّيْلِ وَيَصُومُ وَيَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، وَلَكِنَّهُ يَجْلِسُ وَيَغْتَابُ النَّاسَ وَيَتَكَلَّمُ فِيهِمْ، فَتَذْهَبُ حَسَنَاتُهُ، إِمَّا أَنَّهُ يُبْطِلُهَا بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ وَالِاسْتِهْزَاءِ وَالسُّخْرِيَةِ بِالَّذِينَ، وَإِمَّا أَنَّهُ لَا يُبْطِلُهَا وَلَكِنْ يَأْخُذُهَا الْمَظْلُومُونَ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسَبَبِ حَصَائِدِ اللِّسَانِ.

فَاللِّسَانُ خَطِيرٌ جَدًّا، وَلِهَذَا حَذَّرَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَ مِنَ الْكَلَامِ وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِحَقٍّ، وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فِي كَلَامٍ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ وَيُفِيدُ لِدِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَيَتْرَكُ فُضُولَ الْكَلَامِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مِنْهُ فَائِدَةٌ، فَكَيْفَ بِالْكَلَامِ الْمَحْرَمِ وَالْكَلَامِ الْفَاحِشِ؟ هَذَا أَشَدُّ وَأَخْطَرُ عَلَى الْإِنْسَانِ.

قَوْلُهُ: «رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ» فِي جَامِعِهِ، التِّرْمِذِيُّ: هُوَ أَحَدُ أَصْحَابِ السُّنَنِ الْأَرْبَعِ: سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ، وَسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ، وَسُنَنِ النَّسَائِيِّ، وَسُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ، هَذِهِ الْكُتُبُ يُقَالُ لَهَا السُّنَنُ الْأَرْبَعُ، وَالتِّرْمِذِيُّ: هُوَ الْإِمَامُ الْمَشْهُورُ مِنْ تَلَامِيذِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَمَنْ أَخَذَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَعَنِ الْبُخَارِيِّ، وَهُوَ إِمَامٌ جَلِيلٌ وَمُحَدِّثٌ مَشْهُورٌ، وَكَانَ كَيْفَ الْبَصْرِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

قَوْلُهُ: «وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ» كَيْفَ يَكُونُ حَسَنًا وَصَحِيحًا؟ وَالْحَسَنُ أَقْلُ دَرَجَةٍ مِنَ الصَّحِيحِ؛ لِأَنَّ الْأَحَادِيثَ دَرَجَاتٌ: الصَّحِيحُ ثُمَّ الْحَسَنُ ثُمَّ الضَّعِيفُ، هَذِهِ دَرَجَاتُ الْأَحَادِيثِ، وَقَوْلُهُ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ» هَذَا اصْطِلَاحُ التِّرْمِذِيِّ خَاصَّةً، قَالُوا: حَسَنٌ مِنْ طَرِيقٍ، وَصَحِيحٌ مِنْ طَرِيقٍ، فَهُوَ رَوَاهُ مِنْ طَرِيقَيْنِ: طَرِيقٍ صَحِيحٍ تَكَامَلَتْ فِيهِ شُرُوطُ الصَّحَّةِ، وَطَرِيقٍ حَسَنٍ، وَهُوَ: مَا خَفَّ ضَبْطُ الرَّاوي فِيهِ فَيَكُونُ حَسَنًا، أَمَّا الصَّحِيحُ فَيَكُونُ الرَّاوي تَامَ الضَّبْطِ، هَذَا مِنْ شُرُوطِ الصَّحِيحِ، فَإِذَا خَفَّ

ضَبْطُهُ مَعَ وُجُودِ بَقِيَّةِ الشُّرُوطِ صَارَ الْحَدِيثُ حَسَنًا، وَلَا يَكُونُ ضَعِيفًا وَإِنَّمَا
يَكُونُ حَسَنًا بَيْنَ الصَّحِيحِ وَبَيْنَ الضَّعِيفِ. وَهَذَا اضْطِلَاحُ التِّرْمِذِيِّ خَاصَّةً،
وَالْإِلَّا فَاَلْحَدِّثُونَ قَبْلَهُ يُقَسِّمُونَ الْحَدِيثَ إِلَى قِسْمَيْنِ: إِمَّا صَحِيحٌ، وَإِمَّا
ضَعِيفٌ^(١).



(١) راجع الكلام على الحديث الصحيح والحسن (ص ١٦٥).

الحديث الثالثون

عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُسَنِيِّ - جُرْثُومِ بْنِ نَاشِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا» [رواه الدارقطني وغيره^(١)].

الله تَعَالَى شَرَعَ لِعِبَادِهِ مَا يُصْلِحُهُمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ.
قَوْلُهُ: «فَرَضَ فَرَائِضَ» يَعْنِي: أَوْجَبَ وَاجِبَاتٍ، فَالْفَرَضُ هُوَ الْوَاجِبُ^(٢)، وَقِيلَ: إِنَّ الْفَرَضَ أَكْثَرُ مِنَ الْوَاجِبِ، وَالْوَاجِبُ: هُوَ مَا يُثَابُ فَاعِلُهُ وَيُعَاقَبُ تَارِكُهُ، يَعْنِي: أَوْجَبَ وَاجِبَاتٍ وَأَلْزَمَ بِهَا مِنَ الطَّاعَاتِ، وَالْعِبَادَاتِ، مِثْلَ: الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، الزَّكَاةِ، صَوْمِ رَمَضَانَ، حَجِّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْوَاجِبَاتِ، الَّتِي بَيْنَ الْعِبَادِ وَبَيْنَ اللَّهِ وَالْوَاجِبَاتِ الَّتِي بَيْنَ الْعِبَادِ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ مِنْ بَرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْمَحَاوِيجِ، هَذِهِ فَرَائِضُ لَا يَجُوزُ تَرْكُهَا، وَيَلْزَمُ فِعْلُهَا.
ثُمَّ قَالَ: «فَلَا تُضَيِّعُوهَا» أَي: لَا تَتْرُكُوهَا أَوْ تَتَسَاهَلُوا فِي شَأْنِهَا؛ لِأَنَّهَا

(١) أخرجه الدارقطني في سننه (٤/ ١٨٣، ١٨٤)، والطبراني في الكبير (٥٨٩) وفي مسند الشاميين (٤/ ٣٣٨)، وأبونعيم في الحلية (٩/ ١٧)، والحاكم في المستدرک (٤/ ١٢٩)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٢).

(٢) انظر أقوال أهل العلم في الفرق بين الفرض والواجب في المسودة لآل تيمية (ص ٤٥-٤٦)، والأحكام للآمدي (١/ ١٣٩-١٤١)، والتمهيد للأسنوي (ص ٥٨-٥٩)، والقواعد والفوائد الأصولية للبعلي (ص ٦٣، ٦٤)، وجامع العلوم والحكم (ص ٢٧٧)، وفتح الباري (٢/ ٤٨٩)، والتبصرة للفيروز آبادي (ص ٩٤، ٩٥).

مِنْ مَصْلَحَتِكُمْ، وَمِنْ قَوَامِ دِينِكُمْ، الدِّينُ قَائِمٌ عَلَى الْفَرَائِضِ وَالْوَاجِبَاتِ، ثُمَّ الْمُسْتَحَبَّاتِ مِنَ الطَّاعَاتِ، فَإِنَّ النَّوَافِلَ تَجْبِرُ الْفَرَائِضَ إِذَا حَصَلَ فِيهَا نَقْصٌ وَتُكَمِّلُهَا، وَالْمُسْتَحَبُّ: هُوَ مَا يُثَابُ فَاعِلُهُ وَلَا يُعَاقَبُ تَارِكُهُ، هَذَا هُوَ الْمُسْتَحَبُّ.

قَوْلُهُ: «وَحَدَّ حُدُودًا»، الْحَدُّ^(١): هُوَ الشَّيْءُ الْمَانِعُ، وَاللَّهُ وَضَعَ مَوَانِعَ لِلْعِبَادِ لَا يَتَجَاوَزُونَهَا مِنَ الْمُبَاحَاتِ، تُغْنِيهِمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَاللَّهُ أَحَلَّ لِعِبَادِهِ الطَّيِّبَاتِ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ، فَهُنَاكَ حَلَالٌ، وَهُنَاكَ حَرَامٌ، هَذِهِ حُدُودُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - . فَاَلْمُبَاحُ لَا يُتَعَدَّى، قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وَالْحَرَامُ لَا يُقْرَبُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧]، هَذَا مَوْقِفُ الْمُسْلِمِ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، أَنَّهُ يَأْخُذُ بِالْحَلَالِ الطَّيِّبِ وَيَكْتَفِي بِهِ، وَيَتْرُكُ الْحَرَامَ وَمَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ مِنَ الْوَسَائِلِ ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ يَعْنِي: لَا تَعْمَلُوا الْوَسَائِلَ الْمُقَرَّبَةَ لَهَا اخْتِيَاطًا. فَاَلْمُسْلِمُ يَقِفُ عِنْدَ حُدُودِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - لَا يَتَجَاوَزُهَا، فَيَأْخُذُ بِالْحَلَالِ وَالْمُبَاحِ، وَيَتْرُكُ الْحَرَامَ.

ثُمَّ قَالَ: «وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ» الْمَحْرَمَاتُ كَثِيرَةٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣]، وَقَالَ: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]، فَمِنْهَا

(١) قال الكاساني في بدائع الصنائع (٣٣ / ٧): (الحد في اللغة: عبارة عن المنع، ومنه سمي البواب حداداً لمنعه الناس عن الدخول، وفي الشرع: عبارة عن عقوبة مقدرة واجبة حقاً لله تعالى). وانظر: الإنصاف للمرداوي (١٥٠ / ١٠)، والمبدع لابن مفلح (٤٣ / ٩)، والروض المربع للبهوتي (٣٠٤ / ٣)، ومطالب أولي النهى للسيوطي (١٥٨ / ٦).

مَا جَاءَ نَصُّ التَّحْرِيمِ عَلَيْهِ، وَمِنْهَا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، وَالْمَنْهِيُّ عَنْهُ الْأَصْلُ أَنَّهُ حَرَامٌ، وَقَدْ يَكُونُ مَكْرُوهًا كَرَاهَةً تَنْزِيهِهِ مِنْ بَابِ الْاِخْتِيَاظِ، إِذَا دَلَّ دَلِيلٌ عَلَى صَرْفِهِ عَنِ التَّحْرِيمِ.

قَوْلُهُ: «وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ» لَمْ يُحَلِّلْهَا وَلَمْ يُحَرِّمْهَا، لَا تَسْأَلُوا عَنْهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ سَكَتَ عَنْهَا، وَفِي الْبَحْثِ عَنْهَا إِخْرَاجٌ لِلنَّاسِ، فَمَا دَامَ أَنَّهَا مَسْكُوتٌ عَنْهَا فَاتْرُكُوهَا، مَنْ أَخَذَهَا لَا يُلَامُ؛ لِأَنَّ الْمُبَاحَ مَسْكُوتٌ عَنْهُ، وَالْمُبَاحُ (١): هُوَ مَا لَا يَثَابُ فَاعِلُهُ وَلَا يُعَاقَبُ تَارِكُهُ، فَاللَّهُ سَكَتَ عَنْهَا لِحِكْمَةٍ، مَا سَكَتَ عَنْهَا مِنْ بَابِ النِّسْيَانِ، بَلْ سَكَتَ عَنْهَا رَحْمَةً بِكُمْ لِئَلَّا يَشُقَّ عَلَيْكُمْ.

قَوْلُهُ: «غَيْرِ نِسْيَانٍ» فَإِنَّ اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - لَا يَنْسَى؛ لِأَنَّ النِّسْيَانَ نَقْصٌ وَذُهُولٌ، وَاللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - لَمْ يَسْكُتْ عَنْهَا نِسْيَانًا لَهَا، وَإِنَّمَا سَكَتَ عَنْهَا رَحْمَةً بِكُمْ؛ لِئَلَّا يُضَيِّقَ عَلَيْكُمْ.

ثُمَّ قَالَ: «فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا» مَا عَلَيْهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ حَلَالٌ خُذُوهُ، وَمَا عَلَيْهِ دَلِيلٌ أَنَّهُ حَرَامٌ اتْرُكُوهُ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ لَا تَبْحَثُوا عَنْ حُكْمِهِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ لَهُ حُكْمٌ لَبَيَّنَهُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

هَذِهِ ضَوَابِطُ يَسِيرٍ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُ فِي دِينِهِ، وَفِي حَيَاتِهِ، وَفِي تَعَامُلِهِ، وَفِي سُلُوكِهِ، يَفْعَلُ الْوَاجِبَاتِ، وَيَتْرُكُ الْمُحَرَّمَاتِ، وَيَلْتَزِمُ بِحُدُودِ اللَّهِ فَلَا يَتَعَدَّاهَا، وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ، قَالَ تَعَالَى:

(١) قال ابن بدران في المدخل (ص ١٥٦): (المباح لغة: المعلن والمأذون، وشرعاً: ما اقتضى خطاب الشرع التسوية بين فعله وتركه، من غير مدح يترتب على فعلهن ولا ذم يترتب على تركه، والمباح غير مأمور به عند الجمهور). وانظر: (الورقات) للجويني (ص ٨)، و(الإحكام) للآمدي (١/ ١٦٧)، و(المسودة) لآل تيمية (ص ٥١٦).

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُونَ عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّلَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ تُبَدِّلَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ۖ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۝١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُم ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿ [المائدة: ١٠١، ١٠٢]، التَّكْلِيفَاتُ الَّتِي لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا، وَالْأَسْئَلَةُ الَّتِي لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا مِنْهِيَ عَنْهَا، إِنَّمَا تَسْأَلُ بِقَدْرِ حَاجَتِكَ فَقَطُّ، وَلَا تَتَكَلَّفُ شَيْئًا لَا تَحْتَاجُهُ، وَلَا يَحْتَاجُهُ النَّاسُ.



الحديث الحادي والثلاثون

عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ». [حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة^(١)].

هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ، ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ أَنَّهُ مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ الَّتِي يَسِيرُ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُ، فَهَذَا الرَّجُلُ جَاءَ يَسْأَلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَمَلٍ إِذَا عَمَلَهُ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَأَحَبَّهُ النَّاسُ، فَهَذَا عَمَلٌ جَلِيلٌ، إِذَا أَحَبَّكَ اللَّهُ وَأَحَبَّكَ النَّاسُ هَذِهِ سَعَادَةٌ وَخَيْرٌ كَثِيرٌ، أَلَّا يَبْغَضَكَ أَحَدٌ، فَمَا هُوَ الْعَمَلُ الَّذِي تَنَالُ بِهِ رِضَا اللَّهِ وَرِضَا النَّاسِ؟ وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ رِضَا النَّاسِ مَطْلُوبٌ، مَا لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ إِثْمٌ وَمَعْصِيَةٌ.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ» الزُّهْدُ: هُوَ التَّرْكُ، يَعْنِي: اتْرُكِ الدُّنْيَا، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنْ تَتْرُكَ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَمَا تَسْتَغْنِي بِهِ مِنْ طَلَبِ الرِّزْقِ، وَالْكَسْبِ الْحَلَالِ، هَذَا مَنْهِيٌّ عَنْهُ لَكِنْ اتْرُكْ مَا لَا حَاجَةَ لَكَ بِهِ، فَلَيْسَ الزُّهْدُ تَرْكُ الْمُبَاحَاتِ الَّتِي تَحْتَاجُهَا أَنْتَ وَأَوْلَا دَكْ، وَإِنَّمَا الزُّهْدُ تَرْكُ الْفُضُولِ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ إِلَيْهَا مِنَ الدُّنْيَا،

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢)، والطبراني في الكبير (٥٩٧٢)، وأبونعيم في الحلية (٢٥٣/٣)،

والبيهقي في شعب الإيمان (٣٤٤/٧).

فَالْمُسْلِمُ يُجْمَلُ فِي طَلَبِهِ، لَا يَحْرِصُ حِرْصًا شَدِيدًا عَلَى الدُّنْيَا وَعِنْدَهُ مَا يُغْنِيهِ،
فَهَذِهِ قَاعِدَةٌ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ» إِذَا زَهَدْتَ فِي الدُّنْيَا أَحَبَّكَ اللَّهُ، فَهَذَا
فِيهِ مَدْحُ الزُّهْدِ فِيمَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ^(١).

وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، فَفِيهِ وَصْفُ اللَّهِ بِالْمَحَبَّةِ، كَمَا
أَنَّهُ يَبْغُضُ وَيَكْرَهُ، وَمَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَتْ مِثْلَ مَحَبَّةِ الْمَخْلُوقِ، وَبُغْضُهُ
وَكِرَاهِيَّتُهُ لَيْسَتْ كَبُغْضِ وَكَرَاهِيَةِ الْمَخْلُوقِ، بَلْ هَذَا خَاصٌّ بِهِ - سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى - كَسَائِرِ صِفَاتِهِ.

وَفِيهِ أَنَّ أُمُورَ الدِّينِ يُسْأَلُ عَنْهَا أَهْلُ الْعِلْمِ، فَهَذَا الرَّجُلُ سَأَلَ عَنْهَا
النَّبِيَّ ﷺ، وَلَمْ يَتَكْرَرْ شَيْئًا مِنْ عِنْدِهِ؛ لِأَنَّ مَنْ أَحْدَثَ شَيْئًا فِي الدِّينِ مِنْ
عِنْدِهِ صَارَ مُبْتَدِعًا، وَكَوْنُكَ تَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِشَيْءٍ لَمْ يَأْتِ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ
تَظُنُّ أَنَّهُ حَسَنٌ، هَذَا بِدْعَةٌ وَقَبِيحٌ وَمَرْدُودٌ، فَأُمُورُ الدِّينِ إِنَّمَا يُسْأَلُ فِيهَا
الرَّسُولُ ﷺ، وَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا تُقَدِّمُ عَلَى
شَيْءٍ تَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ، وَأَنْتَ لَا تَدْرِي هَلْ هُوَ مِنَ الدِّينِ، أَوْ لَا؟

قَوْلُهُ: «وَاذْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ» لَا تَتَطَّلَعُ إِلَى مَا فِي
أَيْدِي النَّاسِ؛ لِأَنَّكَ إِذَا تَطَّلَعْتَ إِلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَسَأَلْتَهُمْ أَبْغَضُوكَ؛ لِأَنَّهُمْ
لَا يُحِبُّونَ وَلَا يُرِيدُونَ بَذْلَ مَا بِأَيْدِيهِمْ، فَلَا تُخْرِجُهُمْ، فَإِذَا كُنْتَ تُرِيدُ مَحَبَّتَهُمْ
فَلَا تَسْأَلُهُمْ، اسْتَعِنَ بِاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مَهْمَا أَمَكَّنَكَ ذَلِكَ، أَمَّا إِذَا احْتَجَجْتَ
إِلَى السُّؤَالِ فَإِنَّهُ يُبَاحٌ عِنْدَ الْحَاجَةِ، أَوْ عِنْدَ الضَّرُورَةِ، وَلَكِنْ مَهْمَا أَمَكَّنَ أَنَّ

(١) انظر في تعريف الزهد: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله (١٠ / ٦١٥)، ومدارج

السالكين (١٠ / ٢)، وعدة الصابرين (ص ٢٢٦).

تَسْتَغْنِي عَنِ النَّاسِ فَإِنَّكَ عِنْدَمَا تُثْقِلُ عَلَيْهِمْ سَيَبْغِضُونَكَ؛ كَقَوْلِ الْقَائِلِ: (١)
 لَا تَسْأَلْنِ بَنِيَّ آدَمَ حَاجَةً وَسَلِ الَّذِي أَبْوَابُهُ لَا تُحْجَبُ
 اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ وَبَنِيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ
 عِنْدَمَا تَسْأَلُ النَّاسَ يَبْغِضُونَكَ، أَمَّا إِذَا سَأَلْتَ اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - فَإِنَّهُ
 يُحِبُّكَ؛ لِأَنَّهُ غَنِيٌّ كَرِيمٌ.

هَذِهِ قَاعِدَةٌ: إِذَا كُنْتَ تُرِيدُ الْعَمَلَ الَّذِي يُحِبُّكَ اللَّهُ فِيهِ، وَيُحِبُّكَ النَّاسُ
 فَ«ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ».



(١) ذكر هذين البيتين أبوسليمان الخطابي في كتابه (العزلة) (ص ٦٧) وعزاهما إلى الخزيمي. وانظر:
 شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٥١٩)، وفيض القدير (١/ ٥٥٦)، وتحفة الأحوذى
 (٩/ ٢٢١).

الحديث الثاني والثلاثون

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانِ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ». [حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَالدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُمَا مُسْنَدًا، وَرَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ مُرْسَلًا عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْقَطَ أَبُو سَعِيدٍ، وَلَهُ طَرُقٌ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضًا] ^(١).

هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ نَاحِيَةِ السَّنَدِ رُويَ مِنْ طَرِيقَيْنِ:

الْأَوَّلُ: طَرِيقٌ مُسْنَدٌ، أَي: مَرْفُوعٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ.

الثَّانِي: طَرِيقٌ مُرْسَلٌ، لَمْ يُذَكَّرْ فِيهِ الصَّحَابِيُّ، وَهُوَ أَبُو سَعِيدٍ.

فَالْمُرْسَلُ: مَا رَوَاهُ التَّابِعِيُّ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، وَالْمُسْنَدُ: مَا رَوَاهُ الصَّحَابِيُّ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ. وَالْحَدِيثُ قَوِيٌّ بِمَجْمُوعِ أَسَانِيدِهِ، كَمَا ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ، وَذَكَرَ أَنَّ لَهُ طُرُقًا كَثِيرَةً يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضًا.

قَوْلُهُ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» قِيلَ: لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا، وَأَنَّ الضَّرَرَ بِمَعْنَى الضَّرَرِ، وَلَكِنَّهُ كُرِّرَ مِنْ بَابِ التَّأْكِيدِ، وَالضَّرَرُ: هُوَ مَا يُؤْذِي الْإِنْسَانَ مِمَّا فِيهِ أَذَى أَوْ نَقْصٌ، وَالْمَطْلُوبُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ؛ يَنْفَعُ نَفْسَهُ، وَيَنْفَعُ النَّاسَ، وَلَا يَضُرُّ نَفْسَهُ وَلَا يَضُرُّ أَحَدًا، فَضِدُّ الضَّرَرِ النَّفْعُ.

وَقِيلَ: إِنَّ بَيْنَ الضَّرَرِ وَالضَّرَارِ فَرْقًا، فَالضَّرَرُ: مِنْ جَانِبٍ وَاحِدٍ، «لَا

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٣٤١)، وأحمد في المسند (٣١٣ / ١)، وأبو يعلى في مسنده (٣٩٧ / ٤)،

والطبراني في الكبير (١١٠٨٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه من حديث أبي سعيد

الخدري رضي الله عنه: الحاكم في المستدرک (٦٦ / ٢)، والدارقطني في سننه (٧٧ / ٣)، والبيهقي في

الكبرى (٦٩ / ٦). وأخرجه مالك في الموطأ مرسلًا (٧٤٥ / ٢).

ضَرَرٌ أَي: لَا يَكُونُ مِنْكَ ضَرَرٌ عَلَى النَّاسِ، وَأَمَّا الضَّرَارُ فَهُوَ يَدُلُّ عَلَى
الْمُشَارَكَةِ مِنْ جَانِبَيْنِ، فَأَنْتَ لَا تَضُرُّ مَنْ ضَرَّكَ، بَلْ قَابِلُهُ بِالْإِحْسَانِ وَالْعَفْوِ
وَالصَّفْحِ، وَهَذَا مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشُّورَى: ٤٠]، فَيَكُونُ مِثْلُ
قَوْلِهِ ﷺ: «وَلَا تَحْنُ مِنْ خَانَكَ» وَالْقَاعِدَةُ: أَنَّ الْقِصَاصَ جَائِزٌ وَهُوَ عَدْلٌ،
وَلَكِنَّ الْعَفْوَ أَحْسَنُ؛ لِأَنَّهُ فَضْلٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ هَذَا
قِصَاصٌ، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ فَالْقِصَاصُ جَائِزٌ وَالْعَفْوُ أَحْسَنُ،
فَإِذَا حَصَلَ مِنْ أَحَدٍ ضَرَرٌ عَلَيْكَ فَلَا تُقَابِلُهُ بِمِثْلِهِ، هَذَا أَحْسَنُ وَأَجْلَبُ
لِلوُدِّ، فَإِنَّ هَذَا الَّذِي عَفَوْتَ عَنْهُ يُصْبِحُ صَدِيقًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ
الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) وَمَا
يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴿فُصِّلَتْ: ٣٤، ٣٥.﴾

هَذِهِ خَصْلَةٌ لَا تَحْصُلُ لِكُلِّ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا تَحْصُلُ لِلصَّابِرِينَ، فَالَّذِي لَا
يَصْبِرُ لَا يَعْفُو، أَمَّا الَّذِي يَصْبِرُ فَهُوَ يَعْفُو؛ لِأَنَّ الْعَفْوَ عَنِ الْمُسِيءِ شَاقٌّ عَلَى
النُّفُوسِ يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَتَطَلَّبُ فِي طَبْعِهِ الْإِنْتِقَامَ، وَتَرْكُ الْإِنْتِقَامِ
يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ
عَظِيمٍ﴾ فَإِذَا أَرَدْتَ فَضْلَ الْعَفْوِ فَاصْبِرْ عَلَيْهِ، وَلَا تُطِعْ نَفْسَكَ الَّتِي تَطْلُبُ
مِنْكَ الْإِنْتِقَامَ بِمَنْ ضَرَّكَ، فَيَكُونُ هَذَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «لَا
ضَرَرَ» مِنْ طَرَفٍ وَاحِدٍ، فَلَا تَضُرُّ النَّاسَ، كَمَا أَنَّكَ لَا تَرْضَى الضَّرَرَ لِنَفْسِكَ،
فَلَا تَرْضَاهُ لِإِخْوَانِكَ، كَمَا أَنَّكَ لَا تَرْضَى أَنْ يُسَيِّئُوا إِلَيْكَ، فَلَا تُسَيِّئُ أَنْتَ

إِلَيْهِمْ، قَالَ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(١).
وَأَمَّا الضَّرَّارُ فَهُوَ أَنْ يَكُونَ مِنْ طَرَفَيْنِ، فَإِذَا أَسَاءَ إِلَيْكَ أَحَدٌ فَلَا أَحْسَنَ
أَنْ تُقَابِلَهُ بِتَرْكِ الْإِنْتِقَامِ، وَتَرْكِ الضَّرَرِ، وَأَنْ تَسْتَعْمَلَ الْعَفْوَ، وَهَذَا يَنْشُرُ
الْمَحَبَّةَ بَيْنَ النَّاسِ، وَيُصْبِحُ الْمَعْفُو عَنْهُ أَسِيرًا لَكَ وَيُخَجَّلُ مِنْ فِعْلِهِ، كَمَا قَالَ
الْمُتَنَبِّي^(٢):

وَمَا قَتَلَ الْأَحْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمْ وَمَنْ لَكَ بِالْحَرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا^(٣)

فَهَذِهِ قَاعِدَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ الْأَخْلَاقِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ، فَيَنْبَغِي
لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَجَنَّبَ الضَّرَرَ سَوَاءً كَانَ يَصْدُرُ مِنْهُ هُوَ ابْتِدَاءً، أَوْ يَصْدُرُ انْتِقَامًا
مِمَّنْ أَضَرَّ بِهِ، فَالْمُسْلِمُ يَسِيرُ عَلَى هَذَا، وَيَكُونُ مَحْبُوبًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ
خَلْقِهِ.



(١) سبق تخريجه (ص ١٤٥).

(٢) هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي الكندي الكوفي، المعروف بالمتنبي، الشاعر المشهور، مات مقتولاً، قتلته قطاع الطرق وأخذوا ماله سنة أربع وخمسين وثلاثمائة. انظر: وفيات الأعيان (١/ ١٢٠)، والعبر (٢/ ٣٠٦)، وشذرات الذهب (٣/ ١٣).

(٣) انظر: ديوان المتنبي (ص ٢٢، ٧٩)، وخزانة الأدب وغاية الأرب (١/ ٢٠٠)، والحماسة المغربية (١/ ٤٤٦).

الحديث الثالث والثلاثون

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى رَجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ، لَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ» [حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ هَكَذَا، وَيَعْضُهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ] (١).

هَذَا الْحَدِيثُ حَدِيثٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ قَاعِدَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ الْقَضَاءِ، حَيْثُ قَالَ ﷺ: «لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ» أَي: بِمَا يَدَّعُونَ، وَالْمُدَّعِي: هُوَ الَّذِي يَطْلُبُ شَيْئًا بِيَدِ غَيْرِهِ، فَالْقَاضِي إِذَا أَتَاهُ الْخَصْمَانِ فَإِنَّهُ يَسْأَلُهُمَا: أَيُّكُمَا الْمُدَّعِي؟ ثُمَّ يَبْدَأُ بِهِ؛ لِأَنَّ الْخَصْمَيْنِ مُدَّعٍ وَمُدَّعَى عَلَيْهِ، فَيَبْدَأُ بِالْمُدَّعِي؛ لِأَنَّهُ يَدَّعِي خِلَافَ الْأَصْلِ، وَأَمَّا الْمُدَّعَى عَلَيْهِ فَهُوَ بَاقٍ عَلَى الْأَصْلِ وَالْبَرَاءَةِ، فَيَقُولُ: أَيُّكُمَا الْمُدَّعِي؟ أَوْ يَسْكُتُ حَتَّى يَبْدَأَ الْمُدَّعِي، وَلَا يَقُولُ: يَا فَلَانُ مَاذَا عِنْدَكَ؟ هَذَا يُخْشَى أَنْ يَكُونَ تَحِيُّزًا، ثُمَّ إِذَا تَكَلَّمَ الْمُدَّعِي يَتَوَجَّهْ إِلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ وَيَطْلُبُ مِنْهُ الْجَوَابَ عَنْ دَعْوَى خَصْمِهِ، هَذِهِ أُصُولُ الْقَضَاءِ.

فَإِذَا اعْتَرَفَ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ أَنْتَهَتْ الْقَضِيَّةُ وَحُكِمَ عَلَيْهِ، وَإِذَا أَنْكَرَ طُلِبَ مِنَ الْمُدَّعِي الْبَيِّنَةُ، وَالْبَيِّنَةُ: مَا يُبَيِّنُ الْحَقَّ وَيُوضِّحُهُ، وَهِيَ شَهَادَةُ الشُّهُودِ بِصِحَّةِ مَا يَدَّعِيهِ، فَإِذَا جَاءَ بِالْبَيِّنَةِ الْعَادِلَةِ حُكِمَ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ بِمُوجِبِ الشَّهَادَةِ، وَإِذَا لَمْ يَأْتِ بِبَيِّنَةٍ طُلِبَ مِنَ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ أَنْ يَخْلِفَ بِنَفْيِ مَا ادَّعَاهُ

(١) أخرجه البيهقي (٢٥٢/١٠)، وأخرج بعضه البخاري (٢٥١٤)، (٢٦٦٨)، (٤٥٥٢)،

عَلَيْهِ خَصْمُهُ، فَإِنْ نَكَلَ وَأَبَى أَنْ يَخْلِفَ قُضِيَ عَلَيْهِ، وَإِنْ حَلَفَ بَرِيءٌ، هَذَا هُوَ نِظَامُ الْقَضَاءِ فِي الْإِسْلَامِ، نِظَامٌ مُتَقَنٌ وَنَزِيهٌ وَمُرِيحٌ.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ» فَاَلْمَدَّعِي رُبَّمَا يَدَّعِي شَيْئًا كَبِيرًا، يَدَّعِي أَنْ خَصْمَهُ قَتَلَ فَيُطَالَبُ بِالْقِصَاصِ، أَوْ يُطَالَبُ بِأَلٍ قَدْ يَكُونُ كَثِيرًا، وَقَدْ يَكُونُ قَلِيلًا، فَلَا يُعْطَى بِدَعْوَاهُ؛ لِأَنَّهُ لَوْ فُتِحَ هَذَا الْبَابُ وَكُلُّ يُعْطَى مَا ادَّعَاهُ لَحَصَلَ الْفَسَادُ وَالْاِعْتِدَاءُ عَلَى النَّاسِ، وَكُلُّ مَنْ لَهُ هَوَى عَلَى أَحَدٍ ادَّعَى عَلَيْهِ، فَلَا يُقْبَلُ مِنْهُ لِمَجَرَّدِ الدَّعْوَى وَلَوْ كَانَ مِنْ أَصْدَقِ النَّاسِ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ إِلَّا إِذَا أَتَى بِالْبَيِّنَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ ﷺ: «لَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي» وَالْبَيِّنَةُ: هِيَ أَنْ يَأْتِيَ بِالشُّهُودِ؛ لِأَنَّهُ يَدَّعِي خِلَافَ الْأَصْلِ، وَالْأَصْلُ الْبَرَاءَةُ، فَيُطَالَبُ بِإِقَامَةِ الْبَيِّنَةِ، فَإِذَا أَتَى بِالْبَيِّنَةِ حُكِمَ لَهُ بِمُوجِبِهَا عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ هَذَا يُثَبِّتُ الْحَقَّ.

فَإِذَا لَمْ يَأْتِ بِبَيِّنَةٍ، أَوْ قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي بَيِّنَةٌ. أَوْ جَاءَ بِبَيِّنَةٍ لَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهَا؛ لِأَنَّهَا مَجْرُوحَةٌ، فَوُجُودُهَا كَعَدَمِهَا، فَيَتَوَجَّهُ الْقَاضِي إِلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ، فَإِنْ اعْتَرَفَ قُضِيَ عَلَيْهِ بِاعْتِرَافِهِ، وَإِنْ أَنْكَرَ وَقَالَ: لَيْسَ هَذَا الشَّيْءُ عِنْدِي. طُلِبَ مِنْهُ الْيَمِينُ، بِأَنْ يَخْلِفَ بِاللَّهِ عَلَى نَفْيِ مَا ادَّعَاهُ عَلَيْهِ خَصْمُهُ، وَأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ ذَلِكَ، فَإِذَا حَلَفَ بِاللَّهِ تَرَكَ - لِأَنَّ جَانِبَ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ أَقْوَى، فَمَعَهُ الْأَصْلُ وَالْبَرَاءَةُ - فَاكْتَفَى مِنْهُ بِالْيَمِينِ، فَإِذَا حَلَفَ فَإِنَّهُ يَبْرَأُ حِينَئِذٍ وَتَنْتَهِي الْقَضِيَّةُ.

الحديث الرابع والثلاثون

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» [رواه مُسْلِمٌ] (١).

الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنْ أَصُولِ الْإِسْلَامِ، فَهُوَ جَانِبٌ عَظِيمٌ مِنْ جَوَانِبِ الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّهُ إِصْلَاحٌ لِلْمُجْتَمَعِ. وَالْمُنْكَرُ: مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَالتَّصَرُّفَاتِ، وَسُمِّيَ مُنْكَرًا؛ لِأَنَّهُ تُنْكَرُهُ الْفِطْرَةُ وَالْعُقُولُ السَّلِيمَةُ. وَأَمَّا الْمَعْرُوفُ: فَهُوَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ، سُمِّيَ مَعْرُوفًا؛ لِأَنَّهُ تَعْرِفُهُ الْعُقُولُ وَالْفِطْرَةُ السَّلِيمَةُ، وَهَذَا جَانِبٌ عَظِيمٌ فِي الْإِسْلَامِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فَمَيَّزَ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِأَنَّهَا تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، بِخِلَافِ أَهْلِ الْكِتَابِ فَإِنَّ اللَّهَ أَوْجَبَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَكِنَّهُمْ لَمْ يَقُومُوا بِهِ؛ وَلِذَلِكَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ

﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ﴿[المائدة: ٧٨، ٧٩]﴾، فَلَعَنَهُمُ اللَّهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ، يَعْنِي طَرَدَهُمْ وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ. وَأَثْنَى عَلَى الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنْهُمْ، فَقَالَ - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿[آل عمران: ١١٣]﴾، لَيْسَ كُلُّ أَهْلِ الْكِتَابِ تَرَكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَكِنْ مِنْهُمْ مَنْ قَامَ بِذَلِكَ، وَاللَّهُ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا.

وَأَوْجَبَ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ تَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ إِصْلَاحٌ لِلْمُجْتَمَعِ، فَالْمَعَاصِي وَالْمُخَالَفَاتُ سَبَبٌ لِلْهَلَاكِ وَالْدَّمَارِ، وَعِلَاجُ ذَلِكَ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَهُوَ نَصِيحَةٌ لِلْمَأْمُورِ وَالْمَنْهِيِّ، وَلَيْسَ مِنْ بَابِ التَّدْخُلِ فِي أُمُورِ النَّاسِ، كَمَا يَقُولُهُ أَهْلُ النِّفَاقِ، يَقُولُونَ: الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَصَايَةٌ عَلَى الْآخَرِينَ، وَتَدْخُلُ فِي أُمُورِ النَّاسِ!. فَيَقَالُ لَهُمْ: لَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ الْوَصَايَةِ أَوْ التَّدْخُلِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ الْإِصْلَاحِ وَالنَّصِيحَةِ، فَكَوْنُكَ تَأْمُرُ أَخَاكَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ هَذَا مِنْ مَحَبَّتِهِ، وَالْإِشْفَاقِ عَلَيْهِ، أَمَّا إِذَا تَرَكْتَهُ فَقَدْ غَشَشْتَهُ وَلَمْ تَنْصَحْ لَهُ، وَضَيَّعْتَ حَقَّهُ عَلَيْكَ، فَهَذَا مِنَ التَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَمِنَ التَّنَاصُحِ، وَمِنْ مَحَبَّةِ الْخَيْرِ لِلنَّاسِ، وَلَيْسَ هُوَ مِنْ بَابِ التَّدْخُلِ فِي أُمُورِ الْآخَرِينَ، أَوْ الْوَصَايَةِ عَلَى الْآخَرِينَ، وَاللَّهُ وَصَفَ الْمُسْلِمِينَ بِالتَّوَّاصِي بِالْحَقِّ، فَهُوَ وَصِيَّةٌ وَلَيْسَ وَصَايَةٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَوَّاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّاصَوْا

بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]، فَهَذَا جَانِبٌ عَظِيمٌ لَا بُدَّ مِنْهُ.

وَقَدْ ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ مَثَلًا لِلَّذِي يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ،
وَالَّذِي يَقَعُ فِي الْمَعَاصِي، فَقَالَ ﷺ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا
كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا،
فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقُوا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا
خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا
جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا»^(١)، اسْتَهَمُوا: أَيِ اقْتَرَعُوا
عَلَى سَفِينَةٍ، أَيُّهُمْ يَكُونُ فِي الدَّوْرِ الْعُلَوِيِّ، وَأَيُّهُمْ يَكُونُ فِي الدَّوْرِ السُّفْلِيِّ؛ لِأَنَّ
الدَّوْرَ الْعُلَوِيَّ أَرْغَبُ، فَخَرَجَتْ الْقُرْعَةُ وَانْتَهَى وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا،
وَبَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا، فَالَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا مِثْلُ الْأَخْيَارِ مِنَ الْأُمَّةِ وَأَهْلِ الرَّأْيِ
وَأَهْلِ الدِّينِ، وَالَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا مِثْلُ أَهْلِ السَّفَاهَةِ وَأَهْلِ الْمُخَالَفَاتِ، فَالَّذِينَ
يَأْتُونَ الْمُنْكَرَاتِ مِثْلُ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِ السَّفِينَةِ، وَالَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنْهَا مِثْلُ الَّذِينَ
فِي أَعْلَى السَّفِينَةِ، وَكَانَ الَّذِينَ فِي الْأَسْفَلِ يَصْعَدُونَ إِلَى الدَّوْرِ الْعُلَوِيِّ
لِيَأْخُذُوا الْمَاءَ، ثُمَّ إِنَّهُمْ قَالُوا: نُؤْذِي مَنْ فَوْقَنَا فَلَعَلَّنَا نَخْرِقُ فِي جَانِبِنَا خَرْقًا فِي
السَّفِينَةِ نَأْخُذُ الْمَاءَ مِنْ جَانِبِنَا مُبَاشَرَةً وَلَا نَصْعَدُ، وَلَا نُؤْذِي مَنْ فَوْقَنَا.
وَمَعْلُومٌ أَنَّ السَّفِينَةَ إِذَا خَرِقَتْ دَخَلَهَا الْمَاءُ وَغَرِقَتْ وَهَلَكَ مَنْ فِيهَا.

فَهَذَا مِثْلُ لِلْعُصَاةِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُقُوا سَفِينَةَ الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّ
الْإِسْلَامَ هُوَ السَّفِينَةُ الَّتِي تُنْقِذُ مِنَ الْهَلَاكِ وَالْغَرَقِ، فَلَوْ تَرَكَ الْأَعْلَوْنَ
الْأَسْفَلِينَ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَّوْا
جَمِيعًا، هَذَا مِثَالٌ وَاضِحٌ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنَّهُ أَمَانٌ مِنَ

(١) أخرجه البخاري (٢٤٩٣) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

الهِلَاكِ؛ وَلِهَذَا لَمَّا نَزَلَ الْعَذَابُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَنْجُ إِلَّا الَّذِينَ كَانُوا يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥]، فَعِنْدَ نَزُولِ الْعَذَابِ يَنْجُو أَهْلُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَهْلِكُ الَّذِينَ لَا يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ مَعَ الْهَالِكِينَ مِنَ الْعُصَاةِ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ كَيْفِيَّةَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنَّهُ لَا يُتْرَكُ أَبَدًا وَلَكِنَّهُ بِحَسَبِ الْإِسْطِطَاعَةِ، فَقَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا» أَمَّا الَّذِي لَا يُرَى أَوْ يَخْتَفِي فَهَذَا عُهُدُهُ عَلَى صَاحِبِهِ، لَكِنَّ الْإِنْكَارَ يَكُونُ فِي الشَّيْءِ الظَّاهِرِ الَّذِي يُرَى.

ثُمَّ قَالَ: «فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ» يَعْنِي: يُزِيلُهُ بِيَدِهِ، بِسُلْطَتِهِ، وَهَذَا يَنْطَبِقُ عَلَى أَصْحَابِ السُّلْطَةِ مِنْ وُلاَةِ الْأُمُورِ وَرِجَالِ الْحِسْبَةِ الَّذِينَ لَهُمْ سُلْطَةٌ يُغَيِّرُونَ الْمُنْكَرَ بِأَيْدِيهِمْ؛ كَذَلِكَ صَاحِبُ الْبَيْتِ لَهُ سُلْطَةٌ عَلَى بَيْتِهِ، وَهُوَ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَلَهُ سُلْطَةٌ عَلَى بَيْتِهِ، فَيُزِيلُ الْمُنْكَرَ بِيَدِهِ مِنْ بَيْتِهِ وَلَا يَقْرَهُ، وَلَا أَحَدٌ يَعْتَرِضُ عَلَيْهِ، حَتَّى وَلِيَّ الْأَمْرِ لَا يَعْتَرِضُ عَلَيْهِ فِي بَيْتِهِ.

قَوْلُهُ: «فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ» أَيُّ: مَنْ لَيْسَ لَهُ سُلْطَةٌ وَلَكِنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَبَصِيرَةٌ، فَهَذَا يُغَيِّرُ بِلِسَانِهِ، فَيُبَيِّنُ لِلنَّاسِ، وَيَعْظُمُ، وَيُذَكِّرُ، وَيَخْطُبُ، وَيُبَلِّغُ وُلاَةَ الْأُمُورِ وَأَهْلَ الْحِسْبَةِ عَمَّا وَقَعَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُغَيِّرَهُ، يُبَلِّغُ مَنْ يُغَيِّرُ بِيَدِهِ وَيَرْفَعُ إِلَيْهِ الْأَمْرَ، فَهَذَا الْإِنْكَارُ بِاللِّسَانِ.

قَوْلُهُ: «فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ» أَيُّ: لَيْسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَلَا عِنْدَهُ مَعْرِفَةٌ، وَلَا يَعْرِفُ كَيْفَ يُنْكَرُ، أَوْ أَنَّهُ عِنْدَهُ عِلْمٌ، وَعِنْدَهُ مَعْرِفَةٌ، وَلَكِنَّهُ مَمْنُوعٌ مِنَ الْكَلَامِ، فَهَذَا يُنْكَرُ بِقَلْبِهِ، فَيَبْغِضُ الْمُنْكَرَ وَأَهْلَ الْمُنْكَرِ وَيَعْتَزِلُهُمْ وَيَتَعَدَّدُ

عَنْهُمْ.

فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ تَرْكُ إنْكَارِ الْمُنْكَرِ، وَأَقْلَهُ بِالْقَلْبِ، وَإِذَا تَرَكَ الْمُسْلِمُونَ إنْكَارَ الْمُنْكَرِ كَانُوا مِثْلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة: ٧٩]، فَلَا بُدَّ أَنْ يُنْكَرَ الْمُنْكَرُ: إِمَّا بِالْيَدِ، أَوْ بِاللِّسَانِ، أَوْ بِالْقَلْبِ وَهَذَا أَوْعَفُ الْإِيمَانِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ «وَذَلِكَ أَوْعَفُ الْإِيمَانِ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ» (١). - ① دَلِيلٌ

وَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْعَمَلَ مِنَ الْإِيمَانِ فَإِنْكَارُ الْمُنْكَرِ عَمَلٌ، وَعَدَّةُ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْإِيمَانِ، وَفِي قَوْلِهِ ﷺ: «أَوْعَفُ الْإِيمَانِ» دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ يَنْقُصُ حَتَّى يَبْلُغَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ، وَيَزِيدُ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ، فَالْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ لَيْسَ عَلَى حَدٍّ سِوَاءٍ فِي قُلُوبِ النَّاسِ:

* فَمِنْهُمْ مَنْ إِيْمَانُهُ قَوِيٌّ.

* وَمِنْهُمْ مَنْ إِيْمَانُهُ ضَعِيفٌ.

* وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ بَيْنَ ذَلِكَ.

فَهَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ، فِيهِ نِظَامُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُنْكَرَ لَا يُتْرَكُ بِدُونِ إنْكَارٍ وَلَوْ بِالْقَلْبِ، وَإِذَا أَنْكَرَ الْعَبْدُ الْمُنْكَرَ بِقَلْبِهِ ابْتَعَدَ عَنْ أَهْلِهِ، وَلَمْ يُخَالِطْهُمْ، وَلَمْ يُجَالِسْهُمْ، أَمَّا أَنْ يُخَالِطَهُمْ وَيُجَالِسَهُمْ وَيَأْكُلَ مَعَهُمْ وَيَشْرَبَ مَعَهُمْ وَيَقُولَ: أَنَا مُنْكَرٌ بِقَلْبِي.

هَذَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ، لَوْ كَانَ مُنْكَرًا بِقَلْبِهِ لَابْتَعَدَ عَنْهُمْ؛ لِئَلَّا يُصِيبَهُ مَا أَصَابَهُمْ، وَلِيُشْعِرَهُمْ أَنَّهُ مُخَالِفٌ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ، أَمَّا إِذَا جَلَسَ وَأَكَلَ وَشَرَبَ

مَعَهُمْ وَضَحِكَ مَعَهُمْ فَهِمُوا أَنَّهُ مُوَافِقٌ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ.



الحديث الخامس والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ: لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسَبِ امْرَأٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرْضُهُ» [رواه مسلم] ^(١).

هَذَا حَدِيثٌ جَامِعٌ لِلْأَخْلَاقِ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ جَاءَ بِالْحَثِّ عَلَى التَّآخِي فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُونَ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، وَكَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا؛ وَلِذَلِكَ نَهَى عَنْ كُلِّ مَا يُكَدِّرُ هَذَا الْمَقْصُودَ، وَمَا يُزِيلُهُ أَوْ يُنْقِصُهُ مِنَ الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم: «لَا تَحَاسَدُوا»؛ لِأَنَّ الْحَسَدَ هُوَ أَكْبَرُ مَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَهُوَ أَخْطَرُ الْآفَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَالْحَسَدُ مَعْنَاهُ ^(٢): تَمَنِّي زَوَالِ النِّعْمَةِ عَنِ الْمَحْسُودِ، سَوَاءً أَرَادَهَا أَنْ تَكُونَ لَهُ أَوْ أَنْ تَزُولَ وَلَا تَكُونَ لِأَحَدٍ، وَالْحَسَدُ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ أَوْ الْعُشْبَ» ^(٣)، وَالْحَسَدُ قَدْ يَحْمِلُ عَلَى

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) انظر: لسان العرب (٣/١٤٩)، ومختار الصحاح (ص ٥٧).

(٣) أخرجه أبوداود (٤٩٠٣)، وعبد بن حميد في مسنده (١/٤١٨)، والبيهقي في شعب الإيمان

(٥/٢٦٦)، وابن عبد البر في التمهيد (٦/١٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الْكُفْرِ كَمَا حَمَلَ إِبْلِيسَ عَلَى الْكُفْرِ حِينَما حَسَدَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَمَا حَمَلَ
الْيَهُودَ عَلَى الْكُفْرِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ
بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، حَمَلَهُمُ الْحَسَدُ عَلَى الْكُفْرِ بِهِ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ فَهُمْ لَمْ يَكْفُرُوا بِهِ عَنْ
جَهْلِ، وَإِنَّمَا كَفَرُوا بِهِ عَنْ عِلْمٍ بِأَنَّهُ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لَكِنَّهُمْ حَسَدُوهُ.
وَقَدْ يَحْمِلُ الْحَسَدُ عَلَى قَتْلِ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ، كَمَا قَتَلَ أَحَدُ ابْنَيْ آدَمَ
أَخَاهُ، حَسَدَهُ عَلَى أَنْ تَقْبَلَ اللَّهُ مِنْهُ وَلَمْ يَتَقَبَّلْ مِنَ الْقَاتِلِ، فَحَمَلَهُ الْحَسَدُ عَلَى
قَتْلِ أَخِيهِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ.

وَقَدْ يَحْمِلُ الْحَسَدُ عَلَى التَّنَافُرِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَبُغْضِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ،
فَالْحَسَدُ آفَةٌ خَطِيرَةٌ، فَإِذَا رَأَيْتَ عَلَى أَخِيكَ نِعْمَةً فَإِنَّكَ تَدْعُو لَهُ بِالْبَرَكَةِ،
وَتَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُعْطِيَكَ مِثْلَهَا أَوْ أَحْسَنَ مِنْهَا؛ وَلِذَلِكَ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ:
«لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ
آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»^(١) أَي: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا فَهُوَ يُعَلِّمُهُ
لِلنَّاسِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يَتَصَدَّقُ مِنْهُ، يَرَاهُ أَخُوهُ الْمُؤْمِنُ فَيَتَمَنَّى أَنْ
يَكُونَ مِثْلَهُ لِيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ، قَالَ ﷺ: «فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ»^(٢) هَذِهِ تُسَمَّى
(الْغِبْطَةُ) وَهِيَ تَمْنِي أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِثْلَ مَا أُعْطِيَ اللَّهُ أَخَاكَ، لِتَعْمَلَ مِثْلَ

(١) أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وجاء من حديث أبي

هريرة وابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) سبق تخريجه (ص ٢٠٥).

عَمَلِهِ مِنَ الْخَيْرِ، فَهَذَا لَيْسَ حَسَدًا وَإِنَّمَا هُوَ غِبْطَةٌ، وَهَذَا مُحْمُودٌ؛ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى مَحَبَّةِ الْخَيْرِ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «وَلَا تَنَاجَشُوا» النَّجَشُ: اسْتِثَارَةُ الشَّيْءِ^(١)، وَالنَّجَشُ فِي الْبَيْعِ: الزِّيَادَةُ فِي ثَمَنِ السِّلْعَةِ، وَ«تَنَاجَشُوا» تَفَاعُلٌ مِنَ النَّجَشِ، هُوَ أَنْ يَزِيدَ الرَّجُلُ ثَمَنَ السِّلْعَةِ وَهُوَ لَا يُرِيدُ شِرَاءَهَا وَلَكِنْ لِيَسْمَعَهُ غَيْرُهُ فَيَزِيدَ بِزِيَادَتِهِ، فَهَذَا مُحَرَّمٌ بِدَلَالَةِ هَذَا الْحَدِيثِ، أَمَّا إِنْ كَانَ يَزِيدُ فِي السِّلْعَةِ مَنْ أَجَلَ أَنْ يَشْتَرِيَهَا فَلَا مَانِعَ، فَقَدْ فَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ^(٢)، أَمَّا أَنَّهُ يَزِيدُ فِيهَا وَهُوَ لَا يُرِيدُ شِرَاءَهَا وَإِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَرْفَعَ قِيمَتَهَا لِكُونِهِ شَرِيكًا لِلْبَّائِعِ أَوْ صَدِيقًا لَهُ أَوْ مَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ، فَهَذَا نَجَشٌ مُحَرَّمٌ، هَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: «لَا تَنَاجَشُوا»، فَإِذَا كَانَ لَكَ رَغْبَةٌ فِي السِّلْعَةِ فَرِذْ فِيهَا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ فِيهَا رَغْبَةٌ فَاتْرُكْهَا.

قَوْلُهُ ﷺ: «وَلَا تَبَاغَضُوا» الْبُغْضُ فِي الْقَلْبِ وَهُوَ الْكَرَاهِيَّةُ، وَالْمَطْلُوبُ الْعَكْسُ وَهُوَ الْمَحَبَّةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيُحِبُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، قَالَ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(٣)، فَالْمَطْلُوبُ هُوَ التَّحَابُّ بَيْنَ

(١) انظر: لسان العرب (٦/٣٥١).

(٢) كما في حديث أنس رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْأَلُهُ، فَقَالَ: «أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ؟» قَالَ: بَلَى، جَلَسْتُ نَلْبَسُ بَعْضُهُ وَنَبْسُطُ بَعْضُهُ، وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ، قَالَ: «اِئْتِنِي بِهِمَا»، قَالَ: فَأَتَاهُ بِهِمَا، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ؟» قَالَ رَجُلٌ: أَنَا، أَخَذَهُمَا بِدَرَاهِمَ، قَالَ: «مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا»، قَالَ رَجُلٌ: أَنَا أَخَذَهُمَا بِدَرَاهِمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ، وَأَخَذَ الدَّرَاهِمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ». أخرجه أبو داود (١٦٤١)، والترمذي (١٢١٨)، وابن ماجه (٢١٩٨)، وأحمد في المسند (٣/١١٤)، والبيهقي في الكبرى (٢٥٦/٧).

(٣) سبق تخريجه (ص ١٤٥).

المُسْلِمِينَ، أَمَّا أَنْ يَتَبَاغَضُوا فَهَذَا مَنْهِيٌّ عَنْهُ، لَكِنْ هَلْ يَمْلِكُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُزِيلَ مَا فِي قَلْبِهِ مِنَ الْبُغْضِ؟ هَذَا سَجِيَّةٌ فِي بَعْضِ النَّاسِ، لَكِنْ إِذَا أَبْغَضْتَ فَلَا تَعْمَلْ بِمُوجِبِ الْبُغْضِ فَتَضُرَّ أَخَاكَ، فَإِذَا وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ بُغْضًا فَادْفَعْهُ بِتَذَكُّرِ مَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالْخَيْرِ، وَلَا تَعْمَلْ بِهِ، وَلَا تُنْفِذْهُ، أَوْ تُظْهِرِ الْبَغْضَاءَ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «وَلَا تَدَابَرُوا» الْمَدَابَرَةُ هِيَ الْإِعْرَاضُ، إِعْرَاضُ الْبَعْضِ عَنِ الْبَعْضِ الْآخِرِ، وَالَّذِي يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَسْتَقْبَلَ أَخَاكَ بِالْبِشْرِ وَبِالسُّرُورِ، أَمَّا أَنْ تُعْرِضَ عَنْهُ وَتُدْبِرَ عَنْهُ وَتُوَلِّيَهُ ظَهْرَكَ، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى شَرٍّ، إِلَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا الْخَيْرُ فَلَا تُدْبِرْ عَنْهُ، بَلْ أَقْبِلْ عَلَيْهِ وَبِشَّ لَهُ.

قَوْلُهُ ﷺ: «وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ» هَذَا مِثْلُ مَا مَرَّ فِي النَّجْشِ أَنَّهُ إِسَاءَةٌ فِي الْمُعَامَلَةِ، فَإِذَا بَاعَ أَخُوكَ سِلْعَةً فَلَا تَذْهَبْ إِلَى الْمُشْتَرِي وَتَقُلْ: أَنْتَ مَغْبُوءٌ، أَنَا عِنْدِي لَكَ أَرْخَصُ مِنْهَا أَوْ أَحْسَنُ مِنْهَا. فَتَدْخُلَ عَلَيْهِ الْحُزْنُ، وَرَبَّمَا تُفْسِدُ الْمُعَامَلَةَ بَيْنَهُمَا، وَتُوقِعُ بَيْنَهُمَا النِّزَاعَ، فَيَطْلُبُ الْإِقَالَةَ، خُصُوصًا إِذَا كَانَ بَيْعًا فِيهِ خِيَارٌ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «دَعُوا النَّاسَ يَرْزُقُوا اللَّهَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ» (١).

وَكَذَلِكَ الشَّرَاءُ عَلَى الشَّرَاءِ، بِأَنْ يَشْتَرِيَ سِلْعَةً، وَتَرَى أَنَّهَا طَيِّبَةٌ وَرَخِيصَةٌ، فَتَذْهَبُ إِلَى الْبَائِعِ وَتَقُولُ لَهُ: أَنْتَ مَغْبُوءٌ فِي بَيْعِكَ - وَكَانَ بَيْعًا فِيهِ خِيَارٌ - أَنَا أَشْتَرِيهَا مِنْكَ بِأَكْثَرِ مِمَّا اشْتَرَاهَا مِنْكَ فُلَانٌ، أَفْسَخَ الْبَيْعَ. هَذَا أَمْرٌ لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّ هَذَا اعْتِدَاءٌ عَلَى حَقِّ الْمُسْلِمِ، إِلَّا إِذَا اسْتَشَارَكَ فَأَبْدَ لَهُ

النَّصِيحَةَ الَّتِي تَرَاهَا، أَمَّا مَا دَامَ لَمْ يَطْلُبْ مَشُورَتَكَ فَلَا تَتَدَخَّلْ؛ لِأَنَّ هَذَا يُحْدِثُ ضَرَرًا عَلَى أَخِيكَ الْمُسْلِمِ الْبَائِعِ أَوْ الْمُشْتَرِي.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا» هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ تُؤَثِّرُ عَلَى الْإِخْوَةِ، فَإِذَا تَرَكْنَاهَا أَصْبَحْنَا إِخْوَانًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - يَقُولُ:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الْحُجُرَات: ١٠]، إِخْوَةٌ فِي الدِّينِ لَا فِي النَّسَبِ، وَأُخُوَّةُ الدِّينِ أَقْوَى مِنْ أُخُوَّةِ النَّسَبِ، فَالْكَافِرُ عَدُوُّكَ وَلَوْ كَانَ أَخًا لَكَ مِنَ النَّسَبِ، وَلَكِنَّ الْمُسْلِمَ أَخُوكَ فِي الدِّينِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ أَخَاكَ فِي النَّسَبِ، وَهُوَ الْأَخُ الْحَقِيقِيُّ، فَالْأُخُوَّةُ إِنَّمَا تَكُونُ بِالدِّينِ، وَأَمَّا أُخُوَّةُ النَّسَبِ فَهَذِهِ قَدْ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مُوَالَاةٌ عَرَقِيَّةٌ بَيْنَ النَّاسِ، لَكِنْ لَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مُوَالَاةٌ وَلَا مُعَادَاةٌ دِينِيَّةٌ، وَالْوَلَاءُ وَالْبَرَاءُ إِنَّمَا يَكُونُ عَلَى حَسَبِ الْإِيمَانِ، فَقَدْ يَكُونُ أَخُوكَ مِنَ النَّسَبِ وَهُوَ عَدُوُّكَ فِي الدِّينِ، وَقَدْ يَكُونُ لَيْسَ أَخَاكَ مِنَ النَّسَبِ وَهُوَ أَخُوكَ فِي الدِّينِ.

ثُمَّ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ»، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ «لَا يَظْلِمُهُ» الظُّلْمُ: هُوَ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، بِأَيِّ نَوْعٍ مِنَ الظُّلْمِ؛ ظُلْمٌ فِي النَّفْسِ، أَوْ الْمَالِ، أَوْ الْعِرْضِ.

قَوْلُهُ: «وَلَا يَخْذُلُهُ» إِذَا رَأَاهُ يَهَانُ، فَإِنَّهُ يَنْصُرُهُ وَيَمْنَعُ الْخُذْلَانَ عَنْهُ، وَيُؤَيِّدُهُ وَلَا يَتْرُكُهُ لِلْأَعْدَاءِ، وَإِذَا رَأَى أَحَدًا يَتَكَلَّمُ فِيهِ فِي الْمَجَالِسِ فَإِنَّهُ يُدَافِعُ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ إِذَا تَرَكَهُ وَسَكَتَ كَانَ ذَلِكَ مِنَ الْخُذْلَانِ، فَإِذَا رَأَيْتَ أَخَاكَ يُظْلَمُ فَإِنَّكَ تُنَاصِرُهُ وَتَمْنَعُ عَنْهُ الظُّلْمَ بِأَيِّ نَوْعٍ، قَالَ ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «تَحْجِزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ

نَصْرُهُ»^(١)، فَلَا تَظْلِمُ أَخَاكَ بِأَنْ يَصْدُرَ مِنْكَ ظُلْمٌ فِي حَقِّهِ، وَلَا تَتْرُكُهُ يُظْلَمُ وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ الظُّلْمِ عَنْهُ، سِوَاءَ كَانَ ظُلْمًا مَالِيًّا، أَوْ عِرْضًا، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ عِرْضَ أَخِيكَ مِثْلُ عِرْضِكَ.

قَوْلُهُ ﷺ: «وَلَا يَكْذِبُهُ» لَا تَكْذِبُ عَلَيْهِ فِي الْمَعَامَلَةِ، وَلَا تَكْذِبُ عَلَيْهِ فِي الْحَدِيثِ، فَلْتَكُنْ صَادِقًا مَعَ أَخِيكَ كَمَا أَنَّكَ تُحِبُّ أَنْ يَصْدُقَ لَكَ.

قَوْلُهُ ﷺ: «وَلَا يَحْقِرُهُ» أَيُّ: لَا تُقَلِّلْ مِنْ شَأْنِهِ؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ، وَإِنْ كَانَ لَيْسَ لَهُ مَظْهَرٌ، أَوْ لَيْسَ لَهُ مَالٌ، أَوْ لَيْسَ لَهُ جَاهٌ، مَا دَامَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَهُوَ عَظِيمٌ عِنْدَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، قَالَ ﷺ: «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ»^(٢)، فَلَيْسَتْ الْعِبْرَةُ بِالْمَظْهَرِ أَوْ بِالْجَاهِ أَوْ بِالمَالِ أَوْ بِالقُوَّةِ، وَإِنَّمَا الْعِبْرَةُ بِالْإِيمَانِ، فَالْمُؤْمِنُ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ، وَهُوَ وَلِيُّ اللَّهِ، فَلَا تَحْقِرْ أَخَاكَ الْمُؤْمِنَ بِأَنْ تُقَلِّلَ مِنْ شَأْنِهِ، أَوْ تَقُولَ: لَا يَسْتَحِقُّ كَذَا، أَوْ هُوَ لَيْسَ بِأَهْلٍ لِهَذَا، أَوْ تَزْدَرِيهِ، بَلْ عَلَيْكَ أَنْ تَحْتَرِمَ أَخَاكَ عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانَ، وَلَوْ كَانَ مُحْتَقِرًا فِي مَرَأَى أَوْ فِي اعْتِبَارِ النَّاسِ فَأَنْتَ تُعَظِّمُهُ؛ لِأَنَّهُ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

بِهَذِهِ الْأَخْلَاقِ الْعَظِيمَةِ يَصْلُحُ الْمُجْتَمَعُ، وَبِفُقْدَانِهَا أَوْ بِفَقْدِ شَيْءٍ مِنْهَا يَخْتَلُّ الْمُجْتَمَعُ، فَالْإِسْلَامُ جَاءَ بِكُلِّ مَا يَبْنِي الْمُجْتَمَعَ، وَنَهَى عَنْ كُلِّ مَا يُخِلُّ بِهِ، فَهَذِهِ مَنَهَيَاتُ نَهْيِ عَنْهَا الرَّسُولُ ﷺ؛ لِأَنَّهَا مِمَّا يُخِلُّ بِنَاءِ الْمُجْتَمَعَ الْمُسْلِمِ. يَقُولُ ﷺ: «التَّقْوَى هَا هُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَعْنِي: إِلَى

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٣، ٦٩٥٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قَلْبِهِ، فَالْعِبْرَةُ بِالْقُلُوبِ لَا بِالْمَظَاهِرِ، فَمَا دَامَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ الْقَلْبُ فَإِنَّهُ لَهُ قَدْرٌ عِنْدَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وَقَدْ قَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»^(١)، فَالْعِبْرَةُ بِمَا فِي الْقَلْبِ مِنَ الْإِيمَانِ أَوْ ضِدِّهِ، وَلَوْ ظَهَرَ خِلَافُ ذَلِكَ لَا يُعْتَبَرُ.

وَلَيْسَ الْمَعْنَى مَا يَظُنُّهُ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ مِنَ الْجَرَائِمِ وَالْمَعَاصِي وَيَقُولُ: التَّقْوَى بِالْقَلْبِ. لَا، هَذَا عَكْسُ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ؛ لِأَنَّهُ إِذَا صَلَحَ الْقَلْبُ صَلَحَتِ الْأَعْمَالُ وَصَلَحَتِ الْجَوَارِحُ، كَمَا قَالَ ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(٢)، فَالَّذِي يَتَظَاهَرُ بِالْمَعَاصِي وَالْمُخَالَفَاتِ فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى فَسَادِ قَلْبِهِ، وَالَّذِي يَعْمَلُ الصَّالِحَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى صَلَاحِ قَلْبِهِ، فَمَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «التَّقْوَى هَاهُنَا» أَنَّهُ لَا يُغْتَرُّ بِالْمَظَاهِرِ الَّتِي يَرَاهَا النَّاسُ حَسَنَةً، وَكَانَ قَلْبُ صَاحِبِهَا فَاسِدًا، فَهِيَ لَا تَنْفَعُ، فَالْمُنَافِقُونَ يَتَظَاهَرُونَ بِالْإِيمَانِ، وَيَتَظَاهَرُونَ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ لَكِنَّ قُلُوبَهُمْ فَاسِدَةٌ، وَهُمْ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.

قَوْلُهُ ﷺ: «بِحَسَبِ أَمْرِي مِنَ الشَّرِّ» يَعْنِي: يَكْفِي الْإِنْسَانَ مِنَ الشَّرِّ «أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ» اخْتِقَارُهُ لِأَخِيهِ شَرٌّ مُحْضٌ.

قَوْلُهُ ﷺ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ» حَرَمَهُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وَمَعْنَى «كُلُّ الْمُسْلِمِ»: «دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ» فَأَخِرُ الْجُمْلَةِ يُفَسَّرُ أَوَّلَهَا.

(١) أخرجه مسلم (٣٤)، (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه (ص ١٠٣).

قَوْلُهُ: «دَمُهُ» اللَّهُ حَرَّمَ قَتْلَ الْمُؤْمِنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النِّسَاء: ٩٣]، وَقَالَ ﷺ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثِّبُّ الزَّانِي، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمَفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»^(١) فِي هَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ يَحِلُّ دَمُهُ، وَيُقَامُ عَلَيْهِ الْقِصَاصُ، وَيُقَامُ عَلَيْهِ حَدُّ الزَّانَا، وَإِذَا ارْتَدَّ عَنْ دِينِهِ يُقْتَلُ، أَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ فَإِنَّ دَمَهُ حَرَامٌ.

قَوْلُهُ: «وَمَالُهُ»؛ كَذَلِكَ مَالُ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ [النِّسَاء: ٢٩]، فَقَالَ الْمُسْلِمُ كَدَمِهِ حَرَامٌ لَا يَجُوزُ أَخْذُهُ إِلَّا بِطِيبٍ مِنْ نَفْسِهِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطِيبٍ مِنْ نَفْسِهِ»^(٢) بِرِضَاهُ لَا يُغْتَصَبُ مِنْهُ الْمَالُ وَلَا يُسْرَقُ، فَلَا تَخْنُهُ فِي الْمُعَامَلَةِ أَوْ تَغُشَّهُ وَتَأْخُذَ مَالَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَقَالَهُ حَرَامٌ إِلَّا مَا كَانَ عَنْ مُعَامَلَةٍ صَحِيحَةٍ، كَأَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ. كَذَلِكَ لَا يُكْرَهُ عَلَى الْبَيْعِ أَوْ عَلَى الشَّرَاءِ إِلَّا بِحَقٍّ، فَإِذَا كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ وَأَبَى أَنْ يُسَدَّدَ فَالْسُّلْطَانُ يُسَدِّدُ مِنْ مَالِهِ، أَوْ يَبِيعُ مَالَهُ، وَيُسَدِّدُ؛ لِأَنَّ هَذَا بِحَقٍّ، أَمَّا إِذَا كَانَ بِغَيْرِ ذَلِكَ فَلَا يَجُوزُ إِكْرَاهُهُ عَلَى الْبَيْعِ أَوْ عَلَى الشَّرَاءِ إِلَّا بِطِيبٍ وَرِضَا مِنْ نَفْسِهِ ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ [النِّسَاء: ٢٩].

قَوْلُهُ: «وَعِرْضُهُ» الْعِرْضُ: مَا يَقْبَلُ الْمَدْحَ وَالذَّمَّ، فَلَا يَتَكَلَّمُ فِي عِرْضِ

(١) سبق تخريجه (ص ١٢٤).

(٢) سبق تخريجه (ص ١٢٣).

أَخِيهِ بِالْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ، وَلَا يَسُبُّهُ وَلَا يَشْتِمُهُ وَلَا يَتَنَقَّصُهُ؛ لِأَنَّهُ مُحْتَرَّمٌ، بَلْ يُدَافِعُ عَنْهُ وَيُرَدُّ عَنْهُ الْغَيْبَةُ، فَهَذَا هُوَ الْمَفْرُوضُ، أَمَّا أَنَّهُ يَقَعُ فِي عَرْضِهِ فِي الْمَجَالِسِ وَيُشَهَّرُ عَنْهُ، حَتَّى لَوْ أَخْطَأَ أَوْ وَقَعَ فِي خَطِيئَةٍ، فَهَذَا مَنْهِيٌّ عَنْهُ، فَلَا تُشَهَّرُ عَنْهُ فِي الْمَجَالِسِ وَلَكِنْ تَنْصَحُهُ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ هَذَا حَقُّهُ عَلَيْكَ، أَمَّا أَنْ تَتَكَلَّمَ عَنْهُ فِي الْمَجَالِسِ تَذَكُّرُ مَا وَقَعَ مِنْهُ فَهَذَا لَا يَجُوزُ، هَذَا غَيْبَةٌ، وَاللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - يَقُولُ: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ

مِمَّا فَكَّرَ هُتُمُوهُ﴾ [الْحُجُرَاتِ: ١٢]، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «الْغَيْبَةُ ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبَتْهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَذْكُرَ مَا فِيهِ عِنْدَ النَّاسِ، «وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَقَدْ بَهَتْهُ»^(١) يَعْنِي: كَذَبْتَ عَلَيْهِ، فَأَنْتَ إِنْ تَحَدَّثْتَ عَنْ أَخِيكَ فِي مَجْلِسٍ مِنَ الْمَجَالِسِ فَإِنَّكَ لَا تَخْلُو:

* إِمَّا أَنْ تَكُونَ كَذَّابًا تَكْذِبُ عَلَيْهِ.

* وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مُغْتَابًا حَيْثُ ذَكَرْتَ عَيْبَهُ.

فَهَذَا لَا يَجُوزُ، الْمُسْلِمُ مُحْتَرَّمٌ، وَالْوَاجِبُ النَّصِيحَةُ السَّرِيَّةُ بِدُونِ تَشْهِيرٍ وَبِدُونِ تَغْيِيرٍ وَبِدُونِ إِشَاعَةٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النُّور: ١٩]، فَلَيْسَ عِلَاجُ الْمُنْكَرِ بِالتَّشْهِيرِ وَالتَّغْيِيرِ وَالْحَدِيثُ فِي الْمَجَالِسِ، عِلَاجُهُ بِالنَّصِيحَةِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى مَا تَوْجِبُهُ الشَّرِيعَةُ، كَمَا

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قَالَ ذَلِكَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ^(١).

* * *

(١) انظر: العقيدة الواسطية مع شرحها للمؤلف - حفظه الله تعالى - (ص ٢١٥).

الحديث السادس والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» [رواه مسلم بهذا اللفظ] ^(١).

هَذَا الْحَدِيثُ كَأَنَّهُ مُقَابِلٌ لِلْحَدِيثِ الَّذِي قَبْلَهُ، الْحَدِيثُ الَّذِي قَبْلَهُ نَهَى عَنْ الْخِصَالِ الذَّمِيمَةِ، وَهَذَا أَمَرَ بِالْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ؛ فَلِذَلِكَ جَعَلَهُ الْمُصَنِّفُ بَعْدَهُ، وَهَذَا مِنْ فِقْهِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ، يَعْنِي: بَدَلَ أَنْ تَتَّصِفَ بِالصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي قَبْلَهُ، الْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَّصِفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ:

الْأُولَى: قَوْلُهُ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» تَنْفِيسُ الْكُرْبَةِ عَنْ أَخِيكَ، إِذَا وَقَعَ أَخُوكَ فِي كُرْبَةٍ مِنْ مَالٍ أَوْ غَيْرِهِ فَإِنَّكَ تُنَفِّسُ عَنْهُ، وَالتَّنْفِيسُ: التَّوَسُّعُ، يَعْنِي تُوَسِّعُ عَلَيْهِ الضَّائِقَةَ الْمَالِيَّةَ، بَأَنْ تُقْرِضَهُ أَوْ تَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وَالضَّائِقَةُ غَيْرُ الْمَالِيَّةِ كَأَنْ يَكُونَ فِي هَمٍّ وَغَمٍّ فَتُسَرِّي عَنْهُ وَتُفْرِحُ وَتُدْخِلُ السُّرُورَ عَلَيْهِ، فَإِذَا فَعَلْتَ

ذَلِكَ نَفْسَ اللَّهِ عَنْكَ كُرْبَةٌ مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَأَنْتَ سَتَقَعُ فِي كُرْبَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا كُنْتَ فِي الدُّنْيَا نَفَّسْتَ عَنْ أَخِيكَ نَفْسَ اللَّهِ عَنْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوَسَّعَ لَكَ.

قَوْلُهُ: «وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»؛ كَذَلِكَ الْمُعْسِرُ وَهُوَ الَّذِي عَلَيْهِ دَيْنٌ وَلَا يَسْتَطِيعُ سَدَادَهُ، فَإِنْ كَانَ الدَّيْنُ لَكَ فَإِنَّكَ إِمَّا أَنْ تُنْظِرَهُ إِلَى وَقْتٍ آخَرَ، وَإِمَّا أَنْ تُسْقِطَ عَنْهُ الدَّيْنَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، فَإِمَّا أَنْ تُنْظِرَهُ إِلَى أَجَلٍ آخَرَ بِدُونِ أَنْ تُزِيدَ عَلَيْهِ، وَإِمَّا أَنْ تُسْقِطَ عَنْهُ الدَّيْنَ، وَهَذَا أَحْسَنُ، وَهُوَ مِنَ التَّيْسِيرِ عَلَى الْمُعْسِرِ، هَذَا إِذَا كَانَ الدَّيْنُ لَكَ، أَمَّا إِذَا كَانَ الدَّيْنُ لِغَيْرِكَ فَمِنَ التَّيْسِيرِ عَلَيْهِ أَنْ تُسَاعِدَهُ بِمَا يُسَدِّدُ دَيْنَهُ، أَوْ يُخَفِّفَهُ عَنْهُ.

قَوْلُهُ: «وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» هَذَا ضِدُّ الْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ الَّتِي سَبَقَ النَّهْيُ عَنْهَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي قَبْلَهُ، فَإِذَا رَأَيْتَ عَلَى أَخِيكَ نَقْصًا فِي دِينِهِ فَبَادِرْهُ بِالنَّصِيحَةِ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَرُبَّمَا يَكُونُ جَاهِلًا، أَوْ غَلَبَتْهُ نَفْسُهُ أَوْ الشَّيْطَانُ، فَأَنْتَ تَنْصَحُهُ وَتُبَيِّنُ لَهُ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ سِرًّا، وَتَسْتُرُ عَلَيْهِ، وَلَا تَفْضَحُهُ فِي الْمَجَالِسِ وَعِنْدَ النَّاسِ.

قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» هَذَا عَامٌّ، فَإِذَا أَعْنَتَ أَخَاكَ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْإِعَانَةِ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَكُونُ فِي عَوْنِكَ، يَعْنِي: يُعِينُكَ؛ لِأَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَإِذَا كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ يُعِينَكَ اللَّهُ فَإِنَّكَ تُعِينُ إِخْوَانَكَ بِمَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ: مِنَ الْمَالِ، أَوِ الْجَاهِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا» يَعْنِي: الْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ

الدِّينِيَّ، أَمَّا سُلُوكُ الطَّرِيقِ لِلْعِلْمِ الدُّنْيَوِيِّ فَهَذَا مُبَاحٌ، وَلَكِنَّ سُلُوكَ الطَّرِيقِ لِلْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ هَذَا مَشْرُوعٌ، قَدْ يَكُونُ وَاجِبًا، أَوْ مُسْتَحَبًّا، وَسُلُوكُ الطَّرِيقِ يَشْمَلُ الطَّرِيقَ الْحِسِّيَّ بِأَنْ تُسَافِرَ وَتَرْحَلَ لِطَلَبِ الْعِلْمِ، وَيَشْمَلُ الطَّرِيقَ الْمَعْنَوِيَّ، بِأَنْ تَقْرَأَ وَتَحْفَظَ، وَتَتَفَهَّمَ النُّصُوصَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، هَذَا سُلُوكُ لَطَّرِيقِ الْعِلْمِ، شِرَاءُ الْكُتُبِ النَّافِعَةِ، الْقِرَاءَةُ فِيهَا وَالتَّأَمُّلُ فِيهَا، وَدِرَاسَتُهَا عَلَى الْعُلَمَاءِ، هَذَا مِنْ سُلُوكِ الطَّرِيقِ لِطَلَبِ الْعِلْمِ، وَهُوَ طَرِيقُ مَعْنَوِيٌّ.

قَالَ: «سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ هُوَ الَّذِي يُبَيِّنُ الطَّرِيقَ لِلْجَنَّةِ، فَالْعَمَلُ الصَّالِحُ وَتَرْكُ الْعَمَلِ السَّيِّئِ طَرِيقٌ إِلَى الْجَنَّةِ، وَلَنْ تَسْلُكَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ إِلَّا بِالْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ الَّذِي تَعْرِفُ بِهِ الْمَشْرُوعَ مِنْ غَيْرِهِ، فَقَدْ تَجْتَهَدُ فِي عِبَادَةٍ أَوْ فِي شَيْءٍ وَهُوَ طَرِيقُكَ إِلَى النَّارِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ طَرِيقًا مَشْرُوعًا، وَلَا يُؤَدِّيكَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّمَا يُؤَدِّيكَ إِلَى النَّارِ؛ كَالْبِدْعِ وَالْمُحَدَّثَاتِ وَالْخُرَافَاتِ، وَلَوْ اجْتَهَدْتَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَأَنْتَ تَسِيرُ إِلَى النَّارِ، أَمَّا الطَّرِيقُ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْجَنَّةِ فَهُوَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا، وَلَا إِلَى تَقْلِيدِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، أَوْ لِلاِسْتِحْسَانَاتِ النَّفْسِيَّةِ، وَإِنَّمَا شَرَعَ لَنَا طَرِيقًا مُسْتَقِيمًا هُوَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَلْزِمَ هَذَا الطَّرِيقَ؛ فَإِنَّهُ يُؤَدِّيكَ إِلَى الْجَنَّةِ قَطْعًا، أَمَّا مَا خَالَفَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ فَإِنَّهُ يُؤَدِّيكَ إِلَى النَّارِ، فَاتْرُكْهُ.

قَالَ ﷺ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ

الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» هَذَا فِيهِ أَنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي الْمَسَاجِدِ؛ لِأَنَّهَا بُيُوتُ اللَّهِ، وَمَأْوَى الْمَلَائِكَةِ، وَفِيهَا السَّكِينَةُ وَالرَّحْمَةُ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ طَلَبُ الْعِلْمِ فِي الْمَسَاجِدِ، لَا فِي الْمَخِيَّاتِ وَلَا فِي الْأَسْتِرَاحَاتِ، وَلَا مَانِعَ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مَجْلِسٌ عِلْمِيٌّ، أَوْ هُنَاكَ مَدْرَسَةٌ يُدْرَسُ فِيهَا الْعِلْمُ، لَكِنَّ الْمَسْجِدَ أَفْضَلُ، مَهْمَا أَمَكَنَّ أَنْ تَكُونَ الدِّرَاسَةُ فِي الْمَسْجِدِ فَذَلِكَ أَفْضَلُ، وَإِذَا كَانَ هُنَاكَ مَجْلِسٌ عِلْمِيٌّ مُنْضَبِطٌ فَلَا بَأْسَ، لَكِنَّهُ أَقَلُّ أَفْضَلِيَّةً مِنَ الْمَسْجِدِ، «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ» يَعْنِي: الْمَسَاجِدَ، «يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ» يَقْرَؤُونَهُ، وَيَتَعَلَّمُونَ قِرَاءَتَهُ عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ وَيَحْفَظُونَهُ؛ لِأَنَّهُ هُوَ أَصْلُ الْعِلْمِ، «وَيَتَذَارَسُونَ بَيْنَهُمْ» يَفْهَمُونَ مَعَانِيَهُ، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ الْحِفْظُ فَقَطْ وَأَنَّكَ تَحْفَظُ الْقُرْآنَ وَتُتْقِنُهُ بِالْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ، لَا، هَذَا وَسِيلَةٌ وَلَيْسَ هُوَ الْمَقْصُودُ، وَالْمَطْلُوبُ أَنَّكَ تَتَفَهَّمُ وَتَفْقَهُ مَعَانِيَهُ وَتَعْمَلُ بِهِ:

أَوَّلًا: تَقْرُؤُهُ. ثَانِيًا: تَفْهَمُهُ. ثَالِثًا: تَعْمَلُ بِهِ.

وَالْعَمَلُ بِالْقُرْآنِ هُوَ الْمَطْلُوبُ، وَلَكِنَّ حِفْظَهُ وَتَجْوِيدَهُ وَتَفْهَمَ مَعَانِيَهُ وَتَفْسِيرَهُ عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ، هَذِهِ وَسَائِلُ الْعَمَلِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. قَوْلُهُ: «إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ» الْهُدُوءُ وَالطَّمَأْنِينَةُ وَالرَّاحَةُ.

قَوْلُهُ: «وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ» الْمَلَائِكَةُ تُؤَيِّدُ الْمُؤْمِنِينَ، تَنْزِلُ عَلَى طَلَبَةِ الْعِلْمِ تُؤَيِّدُهُمْ، وَتَدْفَعُ عَنْهُمْ الشَّيَاطِينَ، وَتَنْزِلُ عَلَى الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُسَدِّدُهُمْ وَتُشَجِّعُهُمْ عَلَى الْقِتَالِ، وَتُنْفِرُ عَنْهُمْ الْعَدُوَّ، فَهِيَ تَنْزِلُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي مَوَاطِنِ الْجِهَادِ، وَمَوَاطِنِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، تُسَاعِدُ الْمُسْلِمِينَ وَتُعِينُهُمْ، «حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ» يَعْنِي: أَحَاطَتْ بِهِمْ فَلَا يَنْفُذُ إِلَيْهِمْ شَرٌّ وَلَا أَحَدٌ،

«وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» أَي: فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، فَيَذَكُرُهُمُ اللَّهُ ذِكْرَ تَشْرِيفٍ، وَيُخْبِرُ بِهِمُ الْمَلَأَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَيُبَاهِي بِهِمُ مَلَائِكَتَهُ، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ طَلَبِ الْعِلْمِ، وَوُجُوبِ إِعْطَائِهِ كَثِيرًا مِنَ الْوَقْتِ وَالْعِنَايَةِ، فَمَنْ كَانَ يُرِيدُ هَذِهِ الْمَزِيَّةَ فَلْيُعْطِ مِنْ وَقْتِهِ وَمِنْ جُهِدِهِ لِطَلَبِ الْعِلْمِ، عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ، وَفِي بُيُوتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُعَمِّرُ بُيُوتَ اللَّهِ بِطَلَبِ الْعِلْمِ.

قَوْلُهُ: «وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» الْعِبْرَةُ بِالْعَمَلِ لَا بِالنَّسَبِ، لَوْ كُنْتَ مِنْ أَشْرَفِ النَّاسِ - مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ أَشْرَفِ بَنِي آدَمَ - لَكِنَّكَ لَمْ تُوَفِّقْ لِلْعَمَلِ لَمْ يَنْفَعَكَ النَّسَبُ، فَهَذَا أَبُو هَبٍ فِي جَهَنَّمَ وَهُوَ عَمُّ الرَّسُولِ ﷺ، وَهَذَا بِلَالٌ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ وَهُوَ مِنْ سَادَاتِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، فَالْعِبْرَةُ بِالْعَمَلِ لَا بِالنَّسَبِ، فَمَنْ اتَّكَلَ عَلَى نَسَبِهِ فَإِنَّهُ يَقْعُدُ مَعَ الْخَالِفِينَ، وَمَنْ عَمَلَ صَالِحًا صَارَ مَعَ الْمُتَقَدِّمِينَ، فَالْعِبْرَةُ بِالْعَمَلِ لَا بِالنَّسَبِ.

قَوْلُهُ: «مَنْ بَطَأَ بِهِ» يَعْنِي: أَخْرَهُ عَمَلُهُ عَنِ الْخَيْرِ «لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» فَأَنْتَ لَنْ تَدْخُلَ الْجَنَّةَ بِالنَّسَبِ، وَلَوْ كُنْتَ مِنْ أَشْرَفِ النَّاسِ، وَإِنَّمَا تَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِالْعَمَلِ وَلَوْ كُنْتَ مِنْ أَقَلِّ النَّاسِ نَسَبًا، وَلَوْ كُنْتَ مِنَ الْعَجَمِ، فَإِنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ يُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ، فَلَا يَجُوزُ التَّفَاخُرُ بِالْأَنْسَابِ وَالْأَحْسَابِ وَيُظَنُّ أَنَّهَا تَنْفَعُ عِنْدَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -.



الحديث السابع والثلاثون

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيَمَا يَرُوي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ؛ فَمَنْ هُمْ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً. وَإِنْ هُمْ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هُمْ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً. [رواه البخاري ومسلم] (١).

قَوْلُهُ: «عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيَمَا يَرُوي عَنْ رَبِّهِ»، هَذَا مَا يُسَمَّى بِالْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ، وَهُوَ: الَّذِي يَرُويهِ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ»، أَي: كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَكَتَبَهَا أَيْضًا عَلَى الْمَوْلُودِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢)، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فِيَمَا يَرُويهِ عَنْهُ نَبِيُّهُ ﷺ، فَالْأَعْمَالُ عَلَى قِسْمَيْنِ:

* أَعْمَالِ قُلُوبٍ، وَهِيَ النِّيَّاتُ وَالْمَقَاصِدُ.

* وَأَعْمَالِ جَوَارِحٍ، وَهِيَ الْأَفْعَالُ الظَّاهِرَةُ.

قَوْلُهُ: «فَمَنْ هُمْ» أَي: عَزَمَ وَنَوَى، «بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا» لَمْ يَتِمَّ كُنْ مِنْ عَمَلِهَا، أَوْ انْشَغَلَ عَنْهَا وَلَمْ يَتْرُكْهَا زُهْدًا بِهَا، وَإِنَّمَا تَرَكَهَا لِصَارِفٍ صَرَفَهُ،

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١)

(٢) سبق تخريجه (ص ٩٣).

وَنِيَّتُهُ الصَّالِحَةُ بَاقِيَةٌ « كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً » فَهَذِهِ يَكْتُبُهَا اللَّهُ لَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً؛ لِأَنَّ هَذَا عَمَلٌ قَلْبِيٌّ وَمُسْتَمِرٌّ وَلَمْ يَتَرَاجَعْ عَنْهُ.

قَالَ: «وَأِنْ هُمْ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ» وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يُضَاعِفُ الْحَسَنَاتِ فَضْلًا مِنْهُ وَإِحْسَانًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿مَنْ ذَا

الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وَلَمْ يُحَدِّدْ هَذِهِ الْأَضْعَافَ فَلَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ، وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَى قَالَ سُبْحَانَهُ:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١]، يُضَاعِفُ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ، وَهَذَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - بِحَسَبِ نِيَّةِ الْعَامِلِ وَقُوَّةِ إِيْمَانِهِ، أَوْ بِحَسَبِ الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ، أَوْ الْحَالَةِ الَّتِي تُؤَدِّي فِيهَا الْحَسَنَةُ، فَيُضَاعِفُ اللَّهُ لَهُ أَضْعَافًا مُحَدَّدَةً، وَأَضْعَافًا غَيْرَ مُحَدَّدَةٍ، فَضْلًا مِنْهُ وَإِحْسَانًا، هَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلْحَسَنَاتِ فِي الْقَلْبِ أَوْ فِي الْعَمَلِ.

ثُمَّ قَالَ: «وَأِنْ هُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً» يَعْنِي: نَوَى أَنْ يُذْنِبَ ذَنْبًا لَكِنَّهُ تَرَكَهُ وَلَمْ يَعْمَلْهُ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ اللَّهُ يَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً وَاحِدَةً عَلَى نِيَّتِهِ؛ لِأَنَّ النِّيَّةَ عَمَلٌ قَلْبِيٌّ، وَتَرَكَهُ لَهَا خَوْفًا مِنَ اللَّهِ عَمَلٌ قَلْبِيٌّ أَيْضًا، فَيَكْتُبُهَا اللَّهُ لَهُ حَسَنَةً؛ لِأَنَّهُ تَرَكَهَا خَوْفًا مِنَ اللَّهِ، أَمَّا إِذَا تَرَكَهَا لِأَنَّهُ لَمْ يَتِمَّ كُنْ مِنْهَا وَنِيَّتُهُ لِفَعْلِهَا بَاقِيَةٌ فَإِنَّهَا تُكْتَبُ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ؛ لِأَنَّ نِيَّتَهُ السَّيِّئَةَ بَاقِيَةٌ.

ثُمَّ قَالَ: «وَأِنْ هُمْ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً» فَالسَّيِّئَاتِ لَا

تُضَاعَفُ؛ لِأَنَّ الْجَزَاءَ عَلَيْهَا مِنْ بَابِ الْعَدْلِ، وَاللَّهُ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا، وَلَا يَكْتُبُ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَعْمَلْهُ، فَيَكْتُبُ عَلَيْهِ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، وَأَمَّا مُضَاعَفَةُ الْحَسَنَةِ فَهُوَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - .

فَهَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِ، وَحَثُّ لَهُ عَلَى أَنْ يَنْوِيَ الْخَيْرَ وَيَعْمَلَهُ، وَأَنْ يَتْرَكَ الشَّرَّ، وَفِيهِ تَحْذِيرٌ مِنْ نِيَّةِ الشَّرِّ وَمِنْ نِيَّةِ السُّوءِ فَإِنَّهَا تُهْلِكُ صَاحِبَهَا، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيِّئِيهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا شَأْنُ الْقَاتِلِ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ»^(١) يَعْنِي: مَاتَ وَهُوَ لَمْ يَعْدِلْ عَنْ قَتْلِ صَاحِبِهِ، فَهُوَ يُرِيدُ قَتْلَهُ لَكِنَّهُ لَمْ يَتِمَّكَنْ مِنْهُ، فَنِيَّتُهُ السَّيِّئَةُ بَاقِيَةٌ؛ فَلِذَلِكَ اسْتَحَقَّ دُخُولَ النَّارِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - مَعَ أَنَّهُ مَقْتُولٌ، جَزَاءٌ عَلَى نِيَّتِهِ السَّيِّئَةِ.

فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُحْسِنَ نِيَّتَهُ وَيُخْلِصَهَا لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَأَنْ يَتْرَكَ فِعْلَ السَّيِّئَاتِ وَالْهَمَّ بِهَا وَيَعْدِلَ عَنْهَا، وَلَا يُطَاوِعَ نَفْسَهُ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ، وَلَا يُطَاوِعَ الشَّيْطَانَ، فَيَتْرَكَ فِعْلَ السَّيِّئَاتِ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - .



(١) أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨)، من حديث أبي بكره رضي الله عنه.

الحديث الثامن والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ؛ فَإِذَا أَحَبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ» [رواه البخاري^(١)].

وَلِيُّ اللَّهِ: هُوَ الْمُؤْمِنُ التَّقِيُّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، ثُمَّ بَيْنَهُمْ فَقَالَ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣]، فَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ: هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ، فَكُلُّ مُؤْمِنٍ تَقِيٍّ فَهُوَ وَلِيُّ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - (٢)، وَوَلَايَةُ اللَّهِ هِيَ مَحَبَّتُهُ لِعَبْدِهِ، وَنُصْرَتُهُ إِيَّاهُ، وَأَنْ يَكُونَ مَعَهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، يُنَاصِرُهُ وَيُعِينُهُ وَيُسَدِّدُهُ وَيُجِيبُهُ، فَالْوَلَايَةُ بِفَتْحِ الْوَاوِ: الْمَحَبَّةُ وَالنُّصْرَةُ وَالتَّائِيدُ (٣)، وَاللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - يَقُولُ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وَيَقُولُ

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية (٢٨/٧)، ومجموع الفتاوى (٢٢٤/٢)، وجامع العلوم والحكم (ص ٣٦١)، وفتح الباري (٣٤٢/١١)، وشرح الأربعين للعلامة ابن عثيمين رحمته الله (ص ٣٧٧).

(٣) انظر: لسان العرب (٤٠٩/١٥)، والمصباح المنير (٦٧٢/٢)، ومختار الصحاح (ص ٣٠٦).

- سُبْحَانَهُ -: ﴿ إِنِّهَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [المائدة: ٥٥]، فَالْوَلَايَةُ لَيْسَتْ ادِّعَاءً، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ قِيلَ: إِنَّهُ وَلِيٌّ يَكُونُ وَلِيًّا لِلَّهِ، إِنِّهَا قَدْ يَكُونُ وَلِيًّا لِلشَّيْطَانِ، فَالَّذِينَ يُقَالُ: إِنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ. وَهُمْ غَيْرُ أَتَقِيَاءٍ وَغَيْرُ مُؤْمِنِينَ؛ مِنَ السَّحَرَةِ وَالْكَهَنَةِ وَالْكَفَرَةِ، وَالَّذِينَ يُقَالُ: لَهُمْ كَرَامَاتٌ وَهُمْ خَوَارِقُ، وَهُمْ لَا يُصَلُّونَ وَلَا يَخَافُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَقُولُونَ: لَيْسَ عَلَيْهِمْ تَكَالِيفُ؛ لِأَنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ، لِأَنَّهُمْ وَصَلُوا إِلَى اللَّهِ، وَلَيْسُوا بِحَاجَةٍ إِلَى الْأَعْمَالِ، وَيَتَّخِذُونَهُمْ أَوْلِيَاءَ لِلَّهِ وَهُمْ أَوْلِيَاءُ لِلشَّيَاطِينِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، هَذِهِ مُغَالَطَةٌ وَمُحَادَّةٌ لِلَّهِ أَنْ يُجْعَلَ أَعْدَاءُ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ لَهُ.

فَهَذَا فَاصِلٌ فِي بَيَانِ وَلِيِّ اللَّهِ: أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَتَّقِيهِ، وَلَا يَرْضَى أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا يَدْعُو إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَإِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، أَمَّا الَّذِي يَأْمُرُ النَّاسَ بِعِبَادَتِهِ وَتَعْظِيمِهِ وَالتَّرَفُّعِ، فَهَذَا وَلِيٌّ لِلشَّيْطَانِ، كَمَا قَالَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، فَهُنَاكَ وَلِيٌّ لِلَّهِ، وَوَلِيٌّ لِلشَّيْطَانِ، فَمَا كُلُّ مَنْ قِيلَ: إِنَّهُ وَلِيٌّ، وَبُنِيَ عَلَى قَبْرِهِ ضَرِيحٌ وَقَبَّةٌ وَزُخْرِفَ قَبْرُهُ يَكُونُ وَلِيًّا لِلَّهِ، قَدْ يَكُونُ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ، وَحَتَّى وَلِيٌّ لِلَّهِ الصَّحِيحُ لَا يُعْبَدُ وَلَا يُدْعَى وَلَا يُسْتَعَاثُ بِهِ، وَلَوْ ثَبَتَ أَنَّهُ وَلِيٌّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَنَحْنُ لَا نَشْهَدُ لِأَحَدٍ أَنَّهُ وَلِيٌّ لِلَّهِ، وَلَا نَشْهَدُ عَلَى أَحَدٍ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، لَكِنْ نَحْنُ نَرْجُو لِلْمُحْسِنِ وَنَخَافُ عَلَى الْمُسِيءِ، إِلَّا مَنْ شَهِدَ لَهُ اللَّهُ، أَوْ شَهِدَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ أَنَّهُ وَلِيٌّ لِلَّهِ، أَوْ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ، فَهَذَا نَحْكُمُ عَلَيْهِ بِالذَّلِيلِ.

قَوْلُهُ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا» أَيُّ: مَنْ آذَى وَلِيَّ اللَّهِ وَعَادَاهُ وَآذَاهُ وَتَعَرَّضَ

لَهُ بِالسُّوءِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْتَقِمُ لَوْلِيَّهِ، قَالَ: «فَقَدْ آذَنْتُهُ» آذَنْتُهُ: يَعْنِي أَعْلَمْتُهُ،
 بِالْحَرْبِ» أَي: أَنَّهُ مُحَارِبٌ لِلَّهِ، وَهَلْ أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحَارِبَ اللَّهَ -
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -؟ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - هُوَ الْقَوِيُّ الَّذِي لَا يُغَالَبُ، وَلَا
 يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُحَارِبَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفتح:
 ١٧]، يُسَلِّطُ عَلَيْهِ مِنْ جُنُودِهِ الْخَفِيَّةَ وَالظَّاهِرَةَ، وَيُسَلِّطُ عَلَيْهِ مِنْ جُنُودِهِ: مِنَ
 الْأَمْرَاضِ وَالْأَسْقَامِ، وَمِنَ الْكُفْرَةِ وَالشَّيَاطِينِ، يُسَلِّطُ عَلَيْهِ حَتَّى الْبَعُوضِ
 وَالذُّبَابِ، وَيُسَلِّطُ عَلَيْهِ مِنْ جُنُودِهِ مَا يُؤْذِيهِ وَيُقْلِقُهُ، فَمَنْ عَادَى اللَّهَ وَمَنْ
 حَارَبَهُ فَإِنَّ اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - قَادِرٌ عَلَى إِهْلَاكِهِ بِأَيِّ شَيْءٍ، فَاللَّهُ يَنْتَقِمُ
 لِأَوْلِيَائِهِ، فَلَا تُؤْذِ عِبَادَ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ، لَا بِالْقَوْلِ وَلَا بِالْعَمَلِ، احْذَرُوا؛ لِأَنَّ اللَّهَ
 يَنْتَقِمُ لَهُمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤]، فَلَا تُؤْذِهِمْ بِقَوْلٍ
 بَغِيَّةٍ وَلَا بِنَمِيمَةٍ وَلَا بِمَسِيَّةٍ، وَلَا تُؤْذِهِمْ بِالْفِعْلِ كَأَنْ تَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمْ، بَلْ
 تَجِبُ عَلَيْكَ مَحَبَّتُهُمْ وَمُنَاصَرَتُهُمْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ
 يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا
 مُبِينًا﴾ [الأحراب: ٥٨].

ثُمَّ قَالَ - سُبْحَانَهُ -: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ
 عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ» التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ مَطْلُوبٌ
 وَمَأْمُورٌ بِهِ، بِأَنْ تَعْمَلَ الْحَسَنَاتِ وَالطَّاعَاتِ وَالْقُرْبَاتِ، وَالتَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ
 لَيْسَ بِالِدَّعْوَى، وَإِنَّمَا هُوَ بِالْأَعْمَالِ، فَتَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَلَا
 تَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ إِلَّا بِمَا شَرَعَهُ، فَلَا تَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِالْبِدَعِ وَالْخُرَافَاتِ، قَالَ ﷺ: «مَنْ

عَمَلٍ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» (١) أَي مَرْدُودٌ عَلَيْهِ، فَلَا تَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ إِلَّا بِمَا شَرَعَهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: «أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ» فَدَلَّ عَلَى أَنَّ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ إِنَّمَا يَكُونُ بِمَا شَرَعَهُ إِجَابًا أَوْ اسْتِحْبَابًا، إِجَابًا كَالْفُرُوضِ، مِنْ أَدَاءِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَالزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، هَذِهِ وَاجِبَاتٌ وَفَرَائِضُ، أَوْ اسْتِحْبَابًا مِنْ نَوَافِلِ الطَّاعَاتِ: صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَصَلَاةِ الضُّحَى، وَالرَّوَاقِبِ الَّتِي مَعَ الْفَرَائِضِ، هَذِهِ نَوَافِلُ لَيْسَتْ وَاجِبَةً إِنَّمَا هِيَ مُسْتَحَبَّةٌ وَمُكَمِّلَةٌ لِلْفَرَائِضِ وَزِيَادَةٌ خَيْرٌ، فَلَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى الْفَرَائِضِ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَتَزَوَّدَ مِنَ النَّوَافِلِ أَيْضًا، فَهَذَا هُوَ وَلِيُّ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - الَّذِي يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِالْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ، قَالَ: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ» دَلَّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ؛ كَمَا أَنَّهُ يَكْرَهُ الْأَعْمَالَ السَّيِّئَةَ، وَاللَّهُ يُحِبُّ وَيَبْغُضُ وَيَكْرَهُ وَيَسْخَطُ كَمَا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - .

قَوْلُهُ: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ» هَذَا فِيهِ الْحَثُّ عَلَى النَّوَافِلِ، وَأَنْ لَا يَزْهَدَ الْإِنْسَانُ فِيهَا؛ لِأَنَّ فِيهَا خَيْرًا كَثِيرًا، وَالنَّوَافِلُ: جَمْعُ نَافِلَةٍ، وَهِيَ الزِّيَادَةُ، يَعْنِي: زِيَادَةُ عَلَى الْفَرَائِضِ.

ثُمَّ قَالَ - سُبْحَانَهُ -: «حَتَّى أُحِبَّهُ» هَذَا فِيهِ إِثْبَاتُ الْمَحَبَّةِ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَأَنَّهُ يُحِبُّ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ، وَيُحِبُّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، وَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ تُسَبِّبُ مَحَبَّةَ اللَّهِ لِلْعَبْدِ، فَإِذَا كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ يُحِبَّكَ اللَّهُ فَأَكْثِرْ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَإِذَا كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ يُحِبَّكَ اللَّهُ فَاتَّبِعِ الرَّسُولَ ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ

إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴿٣١﴾ [آل عمران: ٣١].

قَالَ - سُبْحَانَهُ -: «فَإِذَا أَحَبَبْتَهُ كُنْتَ سَمْعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرُهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدُهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا» بِمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ يُسَدِّدُهُ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ، فَلَا يَنْظُرُ إِلَّا إِلَى مَا يُرْضِي اللَّهَ، وَلَا يَسْمَعُ بِأُذُنِهِ إِلَّا مَا يُرْضِي اللَّهَ، فَيَغْضُ بَصَرَهُ عَمَّا يُسْخِطُ اللَّهَ، وَلَا يَسْمَعُ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَإِنَّمَا يَسْتَعْمِلُ هَذِهِ الْحَوَاسَّ فِي طَاعَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -؛ وَكَذَلِكَ «وَيْدُهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا» فَلَا يَأْخُذُ وَيُعْطِي إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَا يَسْتَعْمِلُ يَدَهُ إِلَّا فِيمَا هُوَ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، «وَرِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا» لَا يَمْشِي إِلَّا إِلَى مَا يُرْضِي اللَّهَ، فَيَمْشِي لِلْمَسَاجِدِ، وَيَمْشِي لِصَلَةِ الْأَرْحَامِ، وَيَمْشِي إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَلَا يَمْشِي إِلَى الْمَسَارِحِ وَالْمَلَاعِبِ وَإِلَى أَمْكِنَةِ الْفَسَادِ؛ لِأَنَّ خُطَوَاتِهِ تُكْتَبُ عَلَيْهِ، إِذَا مَشَى إِلَى خَيْرٍ تُكْتَبُ خُطَوَاتُهُ لَهُ حَسَنَاتٍ فَيُوفِّقُهُ اللَّهُ فِي سَمْعِهِ، وَيُوفِّقُهُ فِي بَصَرِهِ، وَيُوفِّقُهُ فِي يَدِهِ، وَيُوفِّقُهُ فِي رِجْلِهِ، فَلَا يَمْشِي وَلَا يَأْخُذُ وَلَا يُعْطِي وَلَا يَنْظُرُ وَلَا يَسْمَعُ إِلَّا مَا فِيهِ نَفْعُهُ عِنْدَ اللَّهِ، وَالسَّبَبُ فِي هَذَا أَنَّهُ تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِالْفَرَائِضِ ثُمَّ اتَّبَعَهَا بِالنَّوَافِلِ، فَمَنْ أَرَادَ هَذِهِ الْمَزِيَّةَ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى الْفَرَائِضِ، وَأَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِالنَّوَافِلِ مَا اسْتَطَاعَ، فَهَذِهِ مَزِيَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَهِيَ سَهْلَةٌ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَصَعْبَةٌ عَلَى مَنْ حَرَمَهُ اللَّهُ.

فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ الصَّلَاحَ وَالْهُدَايَةَ وَالتَّوْفِيقَ، وَيَسْتَعِينَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يَكُونَ عَلَى الْعَكْسِ مُخَالِفًا لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، تَابِعًا لِهَوَاهُ، تَابِعًا لَشَهْوَةِ نَفْسِهِ، تَابِعًا لِلشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَلْيَحْذَرِ مِنْ هَذَا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: «وَلَيْتَنِي سَأَلْتَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَيْتَنِي اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ» تَمَامُ

الْحَدِيثِ يُفَسِّرُ أَوَّلَهُ، فَقَوْلُهُ: «كُنْتُ سَمِعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرُهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدُهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ» فَأَخِرُ الْحَدِيثِ يُفَسِّرُ أَوَّلَهُ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ يَحِلُّ فِي الْعَبْدِ وَيَدْخُلُ فِيهِ، كَمَا تَقُولُهُ الْحُلُولِيَّةُ وَالْبَهَائِيَّةُ قَبَحَهُمُ اللَّهُ، إِنَّهَا مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ يُسَدِّدُهُ وَيُعِينُهُ وَيُوفِّقُهُ وَيَحْمِيهِ وَيَنْصُرُهُ، هَذَا مَعْنَاهُ.



الحديث التاسع والثلاثون

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ». [حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَابْنُ بَيْهَقٍ وَغَيْرُهُمَا] ^(١).

هَذِهِ بُشْرَى لِلْمُؤْمِنِ، فَقَوْلُهُ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي» يَعْنِي: عَفَا - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - عَنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ «الْخَطَأَ» إِذَا أَخْطَأَ الْمُسْلِمُ وَعَمِلَ مَا لَا يَلِيقُ، وَكَانَ خَطَأً غَيْرَ مُتَعَمِّدٍ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ - عَفَا عَنْهُ. قَوْلُهُ: «وَالنِّسْيَانَ» إِذَا نَسِيَ وَتَرَكَ الطَّاعَةَ أَوْ تَرَكَ شَيْئًا نَسِيَانًا لَا تَعَمُّدًا، أَوْ فَعَلَ شَيْئًا نَاسِيًا لَا تَعَمُّدًا لَا يُؤَاخِذُهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فَضْلًا مِنْهُ وَإِحْسَانًا، لَكِنَّ الْفَرَضَ لَا يَسْقُطُ بِالنِّسْيَانِ، فَيَأْتِي بِهِ قَضَاءٌ. ثُمَّ قَالَ: «وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ» الْمُكْرَهُ عَلَى فِعْلِ السَّيِّئَةِ لَا يُؤَاخِذُ؛ لِأَنَّهُ مَسْلُوبُ الْإِرَادَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ﴾ [النَّحْلُ: ١٠٦]، فَإِذَا أُكْرِهَ الْإِنْسَانُ عَلَى فِعْلِ الشَّرِّ وَهُوَ لَمْ يَقْصِدْهُ فَإِنَّهُ لَا يُؤَاخِذُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ إِرَادَةٌ وَإِنَّمَا هُوَ مُجْبَرٌ مَسْلُوبُ الْإِرَادَةِ، وَهَذَا فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ، لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَعَذَّبَهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَفَضَّلَ عَلَيْهِ، وَلَكَمَا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥)، وابن حبان في صحيحه (٢٠٢ / ١٦)، والطبراني في الكبير

(١١٢٧٤)، والحاكم في المستدرک (٢١٦ / ٢)، والدارقطني في سننه (١٧٠ / ٤)، والبيهقي في

الكبرى (٣٥٦ / ٧).

أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبَكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴿[البقرة: ٢٨٤]﴾، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الصَّحَابَةِ أَنَّ اللَّهَ سَيَحَاسِبُهُمْ عَلَى خَطَرَاتِ النُّفُوسِ، وَخَطَرَاتِ الْقُلُوبِ، وَقَلَّ مَنْ يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَجَاءُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَشْتَكُونَ، وَقَالُوا: كُفِّنَا مِنَ الْعَمَلِ مَا لَا نُطِيقُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا»^(١)، فَقَالُوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، وَاسْتَسْلَمُوا، وَآمَنُوا بِاللَّهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا مَنَّ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ ﴿[البقرة: ٢٨٥]﴾، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ مَا آمَنُوا بِهَذَا وَاسْتَسْلَمُوا وَلَمْ يَغْتَرِضُوا، قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ ﴿[البقرة: ٢٨٦]﴾، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَنَسَخَ الْآيَةَ الَّتِي قَبْلَهَا: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبَكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ ﴿[البقرة: ٢٨٤]﴾، نَسَخَ اللَّهُ ذَلِكَ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿[البقرة: ٢٨٦]﴾، قَالَ اللَّهُ: «قَدْ فَعَلْتُ» فَاسْتَجَابَ اللَّهُ هَذِهِ الدَّعَوَاتِ مَنًّا مِنْهُ وَكَرَمًا، فَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ الْعِبَادَ، فَقَدْ اخْتَبَرَهُمْ بِالْآيَةِ الْأُولَى فَلَمَّا اسْتَسْلَمُوا وَآمَنُوا بِهَا حِينَئِذٍ خَفَّفَ عَنْهُمْ، وَاسْتَجَابَ دُعَاءَهُمْ، هَذَا فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

(١) أخرجه مسلم (١٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فَالْحَاصِلُ: أَنَّ هَذَا شَاهِدٌ لِلْحَدِيثِ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنَّسْيَانَ» ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، قَالَ اللَّهُ: «قَدْ فَعَلْتُ» وَاللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - يَقُولُ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأخزاب: ٥]، وَهَذَا فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَنَّهُ لَا يُؤَاخِذُ بِالْخَطَأِ، وَلَا يُؤَاخِذُ بِالنَّسْيَانِ، وَلَا يُؤَاخِذُ بِالْإِكْرَاهِ، وَكَانَ هَذَا مِمَّا كَلَّفَ اللَّهُ بِهِ الْأُمَّمَ السَّابِقَةَ عُقُوبَةً لَهُمْ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ رَحِمَهَا اللَّهُ وَخَفَّفَ عَنْهَا؛ لِأَنَّهَا أُمَّةٌ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُمْ أَهْلُ الْإِيمَانِ وَالتَّسْلِيمِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَدَمُ الْإِعْتِرَاضِ عَلَى اللَّهِ، فَالْيَهُودُ لَمَّا قَالُوا: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا شَدَّدَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - عَلَيْهِمْ، وَهَذِهِ الْأُمَّةُ لَمَّا قَالُوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، خَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَهَذَا فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.



الحديث الأربعون

عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكَبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» .
وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرُ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرُ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ» . [رواه البخاري] (١).

هَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ بِمَنْكَبِي ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَيْ: أَمْسَكَ ﷺ مَنْكَبِيهِ لِأَجْلِ أَنْ يَتَّبِعَهُ لِمَا يَقُولُهُ لَهُ، وَفِي هَذَا تَوَاضَعُ ﷺ وَحِرْصُهُ عَلَى النَّصِيحَةِ، فَقَالَ ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» هَذِهِ وَصِيَّةٌ جَامِعَةٌ، وَكَلَامٌ جَامِعٌ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ، «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ» يَعْنِي: لَا تَنْبَسِطْ فِي الدُّنْيَا وَتَشْتَغِلْ بِهَا عَنْ آخِرَتِكَ. وَالْغَرِيبُ: هُوَ الَّذِي يَكُونُ فِي بَلَدٍ غَيْرِ بَلَدِهِ، فَإِنَّ الْغَرِيبَ إِذَا كَانَ فِي بَلَدٍ لَيْسَتْ بَلَدُهُ لَا يَنْبَسِطُ فِيهَا، وَلَا يَطْمَعُ فِي السُّكْنَى وَالِاسْتِمْرَارِ فِيهَا، وَإِنَّمَا يَكُونُ عَلَى أَهْبَةِ الاسْتِعْدَادِ لِلرُّجُوعِ إِلَى بَلَدِهِ. وَالدُّنْيَا لَيْسَتْ دَارًا لِلْمُسْلِمِ، إِنَّمَا دَارُ الْمُسْلِمِ هِيَ الْجَنَّةُ، وَهُوَ وَجِدَ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَعْمَلَ لِلْجَنَّةِ، فَيَأْخُذُ حَاجَتَهُ مِنَ الدُّنْيَا لِيَسْتَعِينَ بِهَا عَلَى عَمَلِ الْجَنَّةِ، أَمَّا أَنْ يَطْلُبَ الدُّنْيَا لِدَايَتِهَا، فَهُوَ يَشْتَغِلُ بِشَيْءٍ لَيْسَ لَهُ وَلَا يَدُومُ؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُ، «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ» وَمَعْلُومٌ حَالُ الْغَرِيبِ الَّذِي فِي غَيْرِ بَلَدِهِ أَنَّهُ دَائِمًا يَتَذَكَّرُ

وَطَنَهُ وَدَارَهُ، وَيَحْنُ إِلَى ذَلِكَ، وَيُسْرِعُ فِي الرَّجُوعِ إِلَى بَلَدِهِ مَهْمَا أَمَكَّنَهُ.
 قَوْلُهُ: «كَأَنَّكَ غَرِيبٌ» يَعْنِي مِثْلَ الْغَرِيبِ، بِمَعْنَى أَنَّكَ لَا تَنْبَسِطُ فِيهَا
 وَتَشْتَغِلُ بِهَا، وَتُعْطِيهَا كُلَّ فِكْرِكَ وَقَلْبِكَ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ دَارًا لَكَ، بَلْ كُنْ فِيهَا
 مُؤَقَّتًا تَنْتَظِرُ الرَّجُوعَ إِلَى بَلَدِكَ، وَالْمُسْلِمُ كَذَلِكَ هُوَ فِي الدُّنْيَا غَرِيبٌ؛ لِأَنَّهَا
 لَيْسَتْ دَارًا لَهُ، الدَّارُ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ هِيَ الْجَنَّةُ، وَكَانَ آدَمُ وَزَوْجُهُ
 فِي الْجَنَّةِ، أَسْكَنَهُمَا اللَّهُ فِي الْجَنَّةِ، ثُمَّ حَصَلَ مِنْهُمَا الْمُخَالَفَةُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَتَابَا
 وَنَدِمَا، وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَلَكِنْ أَخْرَجَهُمَا مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَنْزَلَهُمَا إِلَى الْأَرْضِ، إِلَى
 دَارٍ لَيْسَتْ دَارًا لَهُمَا، فَكَذَلِكَ ابْنُ آدَمَ يَحْنُ إِلَى وَطَنِه الْأَوَّلِ الَّذِي أُخْرِجَ مِنْهُ
 لِيَرْجِعَ إِلَيْهِ.

ثُمَّ قَالَ: «أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَهُوَ الْمُسَافِرُ، وَالْمُسَافِرُ إِنَّمَا يَسْتَرِيحُ فِي أَثْنَاءِ
 سَفَرِهِ، ثُمَّ يُوَاصِلُ السَّفَرَ وَلَا يَسْتَوِطِنُ، فَيَكُونُ الْمُسْلِمُ فِي الدُّنْيَا مِثْلَ الْمُسَافِرِ،
 وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مُسَافِرٌ لَيْسَ مُقِيمًا؛ لِأَنَّ مُدَّتَهُ فِي الدُّنْيَا قَلِيلَةٌ، وَهُوَ يَسِيرُ إِلَى
 الْآخِرَةِ؛ تَسِيرُهُ بِهَ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي إِلَى الْآخِرَةِ، وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ حَالَةُ
 الْمُسْلِمِ فِي الدُّنْيَا غَرِيبًا أَوْ عَابِرَ سَبِيلٍ، وَأَنْ يَكُونَ هَمُّهُ الرَّجُوعَ إِلَى بَلَدِهِ، وَبَلَدُ
 الْمُسْلِمِ هِيَ الْجَنَّةُ، فَيَسْتَعِدُّ لَهَا، وَتَكُونُ هِيَ هَمُّهُ، وَمَا يُوَصِّلُهُ إِلَيْهَا.

لَمَّا سَمِعَ ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - الْوَصِيَّةَ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ قَالَ
 لِلنَّاسِ وَلِكُلِّ أَحَدٍ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ
 الْمَسَاءَ» إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تُؤَخِّرِ الْعَمَلَ إِلَى اللَّيْلِ، تَقُولُ: أَعْمَلُ هَذَا الْعَمَلَ
 بِاللَّيْلِ. بَلْ بَادِرْ بِهِ وَاغْمَلْهُ، فَلَعَلَّكَ لَا تُدْرِكُ اللَّيْلَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تُؤَخِّرِ
 الْعَمَلَ وَالتَّوْبَةَ إِلَى الصُّبْحِ، لَعَلَّكَ لَا تُدْرِكُ الصُّبْحَ، فَلَيْسَ لَكَ إِلَّا السَّاعَةُ
 الَّتِي أَنْتَ فِيهَا، فَبَادِرْ وَلَا تُؤَجِّلِ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَالتَّوْبَةَ وَالِاسْتِغْفَارَ إِلَى

وَقْتُ آخِرٍ.

ثُمَّ قَالَ: «وَأُخَذَ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ» هَذِهِ مِنْ وَصِيَّةِ ابْنِ عُمَرَ، مَا دَامَ الْإِنْسَانُ فِي صِحَّةٍ وَعَافِيَةٍ فَهُوَ قَوِيٌّ؛ يَقْدِرُ عَلَى الصِّيَامِ، وَيَقْدِرُ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ، وَيَقْدِرُ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَقْدِرُ عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَيَقْدِرُ عَلَى بَذْلِ الْخَيْرِ، أَمَّا إِذَا سَقِمَ وَمَرِضَ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصُومَ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُومَ اللَّيْلَ، وَلَا يَسْتَطِيعُ مَا كَانَ يَسْتَطِيعُهُ وَهُوَ فِي صِحَّتِهِ بِسَبَبِ الْمَرَضِ، وَالصَّحَّةُ لَا تَدُومُ، فَمَا دَامَ اللَّهُ أُعْطَاكَ الصَّحَّةَ فَبَادِرْ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ لِأَنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكَ وَقْتُ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعْمَلَ فِيهِ، إِمَّا لِمَرَضٍ أَوْ لِكِبَرٍ وَهَرَمٍ.

قَوْلُهُ: «وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ» أَخَذَ مِنْ حَيَاتِكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِمَوْتِكَ، اسْتَعِدَّ لِلْمَوْتِ وَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، فَاللَّهُ أُعْطَاكَ هَذِهِ الْحَيَاةَ وَهَذَا الْأَجَلَ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَسْتَغْلَهُ فِيهَا يَنْفَعُكَ فِي الْآخِرَةِ، فَلَا تَضْرِفُهُ فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَجَمْعِ الْخَطَايَا، وَإِنَّمَا تَضْرِفُهُ فِيهَا تَجِدُهُ عِنْدَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، فَهَذِهِ وَصِيَّةُ اسْتَشَجَّهَا ابْنُ عُمَرَ مِنْ وَصِيَّةِ الرَّسُولِ ﷺ لَهُ، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْوَصِيَّةُ دَائِمًا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَيَكُونُ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّهُ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ، وَلَا يُؤَجِّلُ الْعَمَلَ إِلَى وَقْتٍ آخَرَ قَدْ لَا يُدْرِكُهُ، وَلَا يَضْرِفُ صِحَّتَهُ وَقُوَّتَهُ فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ، وَلَا يَضْرِفُ حَيَاتَهُ كَذَلِكَ فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ؛ لِأَنَّهُ سَيَخْسِرُ عَمَّا قَرِيبٍ، إِلَّا إِذَا اسْتَغْلَلَ هَذِهِ الْإِمْكَانَاتِ فِيهَا يَنْفَعُهُ عِنْدَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.



الحديث الحادي والأربعون

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -
قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا
جِئْتُ بِهِ». حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، رُوِيَ فِي كِتَابِ الْحُجَّةِ بِإِسْنَادٍ
صَحِيحٍ (١).

قَوْلُهُ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ» هَذَا نَفَى عَنْهُ الْإِيمَانَ.
ثُمَّ قَالَ: «حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ» أَيُّ: يَكُونُ مَا يَهْوَى تَابِعًا
لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ.
وَالْحَدِيثُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَقَالٌ، وَلَكِنَّ النَّوَوِيَّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - صَحَّحَهُ،
وَصَحَّحَهُ غَيْرُهُ أَيْضًا، وَيَشْهَدُ لَهُ الْقُرْآنُ أَيْضًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا
يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا
مِمَّا قَضَيْتَ﴾ [النِّسَاء: ٦٥]، فَيَكُونُ هَوَاهُمْ تَبَعًا لِمَا حَكَمَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَلَا
يَكْرَهُونَ مَا حَكَمَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَمَنْ كَرِهَهُ كَانَ كَافِرًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ [مُحَمَّد: ٩]، فَهَذَا الْحَدِيثُ يَشْهَدُ لَهُ
الْقُرْآنُ.

(١) رواه البغوي في شرح السنة (٢١٢ / ١)، وابن أبي عاصم في السنة (١٢ / ١)، والبيهقي في
المدخل إلى السنن الكبرى (١٨٨ / ١)، وقال: (تفرد به نعيم بن حماد)، والخطيب في تاريخ
بغداد (٣٦٨ / ٤)، وانظر تعليل الحافظ ابن رجب للحديث في جامع العلوم والحكم
(ص ٣٨٧، ٣٨٨).

وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يُسَلِّمُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلَا يَغْتَرِضُ، وَلَا يَكْرَهُ مَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَوْ كَانَ فِيهِ مَشَقَّةٌ عَلَى نَفْسِهِ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَصْبِرَ وَيَعْرِفَ أَنَّ هَذَا هُوَ عَيْنُ الصَّلَاحِ وَالْخَيْرِ لَهُ، وَلَوْ كَانَ فِيهِ مَا يَشُقُّ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ يَثْقُلُ عَلَيْهَا؛ فَإِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا

وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ الْمُسْلِمَ يُسَلِّمُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمَصْلَحَةَ وَالْخَيْرَ فِيهَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَوْ كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا اسْتِثْقَالًا أَوْ تَبَاطُؤًا عَنْ ذَلِكَ

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].



الحديث الثاني والأربعون

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابٍ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تَشْرِكَ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً».

[رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح^(١)].

هَذَا الْحَدِيثُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْقُدُسِيَّةِ الَّتِي يَرْوِيهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَنْ رَبِّهِ، وَفِيهِ ثَلَاثُ جُمَلٍ:

الْجُمْلَةُ الْأُولَى: أَنَّ اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - يُخَاطِبُ جَمِيعَ بَنِي آدَمَ، فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي» يَعْنِي: مَنْ أَحْسَنَ الظَّنَّ بِاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِالْعَمَلِ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُ الذُّنُوبَ وَالسَّيِّئَاتِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ، فَالْإِنْسَانُ يَكُونُ عِنْدَهُ مُخَالَفَاتٍ وَمَعَاصٍ، وَلَكِنَّهُ إِذَا أَحْسَنَ الظَّنَّ بِاللَّهِ وَتَابَ إِلَى اللَّهِ، وَلَمْ يَقْنَطْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَاسْتَغْفَرَ: طَلَبَ الْمَغْفِرَةَ مِنَ اللَّهِ،

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، والطبراني في الأوسط (٣١٥ / ٤) من حديث أنس رضي الله عنه، قال

أبو عيسى: (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه)، وأخرجه من حديث أبي ذر رضي الله عنه:

أحمد في مسنده (١٤٨ / ٥)، والدارمي (٢٧٨٨)، والبزار (٤٠٣ / ٩)، والحاكم في المستدرک

(٤ / ٢٦٩)، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ جَمِيعَ الذُّنُوبِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر: ٥٣]، هَذَا فِيهِ حَثٌّ لِلإِنْسَانِ عَلَى أَنْ يَتُوبَ إِلَى اللَّهِ وَلَوْ عَظُمَتْ ذُنُوبُهُ، وَلَا يَقُلْ: هَذَا ذَنْبٌ لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ - بَلِ اللَّهُ تَعَالَى يَغْفِرُ جَمِيعَ الذُّنُوبِ، فَيَتُوبُ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَيُبَادِرُ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ غَنِيٌّ كَرِيمٌ، لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ مُلْكِهِ، أَوْ مِمَّا عِنْدَهُ شَيْءٌ، فَفِيهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ، وَتَعَلُّقُ الْقَلْبِ بِاللَّهِ، وَعَدَمُ الْقُنُوطِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَأَنَّ الإِنْسَانَ لَا يَتَعَاطَمُ ذَنْبًا عَلَى التَّوْبَةِ، فَاللَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا.

الْجُمْلَةُ الثَّانِيَّةُ: قَالَ - جَلَّ وَعَلَا -: «يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ» اِرْتَفَعَتْ مِنَ الْكَثْرَةِ حَتَّى تَبْلُغَ السَّحَابَ، «ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي» فَهَذَا فِيهِ أَنَّ التَّوْبَةَ تَجِبُ مَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَهْمَا كَثُرَتْ الذُّنُوبُ وَتَعَاطَمَتْ، وَلَوْ تَرَاكَمَتْ وَارْتَفَعَتْ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ، فَإِنَّهَا تَهْدِمُهَا، التَّوْبَةُ الصَّحِيحَةُ الْمُسْتَوْفِيَّةُ لَشُرُوطِهَا، وَهِيَ:

* أَنْ يُقْلَعَ عَنِ الذَّنْبِ.

* أَنْ يَغْزِمَ إِلَّا يَعُودَ إِلَيْهِ.

* وَأَنْ يَنْدَمَ عَلَى مَا حَصَلَ مِنْهُ.

* وَإِذَا كَانَ عِنْدَهُ مَظَالِمٌ لِلْعِبَادِ يَرُدُّهَا إِلَيْهِمْ، وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ الْمَسَامَحَةَ.

هَذِهِ هِيَ التَّوْبَةُ الصَّحِيحَةُ، وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي تَهْدِمُ الذُّنُوبَ وَإِنْ بَلَغَتْ عَنَانَ السَّمَاءِ، كَمَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ، فَفِيهِ التَّرْغِيبُ فِي التَّوْبَةِ، وَحُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْمُبَادَرَةُ وَالْمُسَارَعَةُ إِلَى التَّوْبَةِ.

الْجُمْلَةُ الثَّالِثَةُ: وَهِيَ أَعْظَمُ وَأَعْظَمُ، قَالَ - سُبْحَانَهُ -: « يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَا تَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً » وَالْقُرَابُ مَعْنَاهُ الْمِلَّةُ، « لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ » يَعْنِي: مِلَّةَ الْأَرْضِ الْوَاسِعَةِ، فَلَوْ مَلَأْتَهَا كُلَّهَا خَطَايَا، وَلَكِنَّكَ سَلِمْتَ مِنَ الشُّرْكِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّكَ لَا تَيَأْسُ مِنْ مَغْفِرَةِ اللَّهِ لَكَ، وَهَذَا كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ

اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النِّسَاءُ: ٤٨]، فَالذُّنُوبُ الَّتِي دُونَ الشُّرْكِ هِيَ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللَّهِ: إِنْ شَاءَ عَذَّبَ صَاحِبَهَا ثُمَّ أَخْرَجَ مِنَ النَّارِ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ وَلَمْ يَدْخُلِ النَّارَ.

فَدَلَّ هَذَا عَلَى خَطَرِ الشُّرْكِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - وَأَنَّ الشُّرْكَ لَا يَصِحُّ مَعَهُ عَمَلٌ، وَلَا يَطْمَعُ صَاحِبُهُ بِمَغْفِرَةِ اللَّهِ مَا لَمْ يَتُبْ مِنْهُ، فَمَنْ مَاتَ عَلَى الشُّرْكِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَلَوْ كَانَ عَاصِيًا وَفَاسِقًا وَمُرْتَكِبًا لِكَبَائِرِ دُونَ الشُّرْكِ، وَفِيهِ سِعَةٌ رَحْمَةِ اللَّهِ وَعَفْوِهِ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ وَأَهْلِ التَّوْحِيدِ، « لَا تَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً » مَغْفِرَةٌ تَمْلَأُ الْأَرْضَ مِثْلَمَا تَمْلَأُهَا الذُّنُوبُ، وَمَغْفِرَةُ اللَّهِ أَوْسَعُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ [النَّجْم: ٣٢]، لَا يَتَعَاظَمُهَا شَيْءٌ مِنَ الذُّنُوبِ.

فَهَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ فِيهِ هَذِهِ الْجُمْلَةُ الثَّلَاثُ الَّتِي فِيهَا الْبَشَارَةُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ وَأَهْلِ التَّوْحِيدِ، وَفِيهَا الْإِنْذَارُ لِأَهْلِ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ بِاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَحَثُّهُمْ عَلَى الْمُسَارَعَةِ لِلتَّوْبَةِ مِنَ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ قَبْلَ الْمَوْتِ، فَمَنْ مَاتَ وَهُوَ مُشْرِكٌ فَلَا طَمَعَ لَهُ فِي مَغْفِرَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَأَمَّا مَنْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ فَهُوَ وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ ذُنُوبٌ وَمُخَالَفَاتٌ كَثِيرَةٌ تَمْلَأُ الْأَرْضَ فَإِنَّ اللَّهَ

يَغْفِرُ لَهُ بِتَوْحِيدِهِ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَبِرَأْيَتِهِ مِنَ الشُّرْكِ، فَهَذَا فِيهِ فَضْلُ
التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَفِيهِ خَطَرُ الشُّرْكِ، وَفِيهِ الْحَثُّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ
بِالتَّوْبَةِ، وَفِيهِ سِعَةُ مَغْفِرَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَّهَا تَسَعُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، كَمَا قَالَ
تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزُّمَرُ: ٥٣].

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم.

انْتَهَى هَذَا الشَّرْحُ الْمُبَارَكُ فِي فَجْرِ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ: ٢١ / ١١ / ١٤٢٧ هـ



فهرس الآيات

الفاتحة

طرف الآية

رقم الآية رقم الصفحة

١٧٣

٥

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

سورة البقرة

طرف الآية

رقم الآية رقم الصفحة

١١١-١١٠

٩

﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

١٩٥

٣٨

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾

٢٢٨-١٨٧-٤٢

٤٥

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾

٥٤

٩٨، ٩٧

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾

٢٥٦

١٠٩

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾

٧٧

١١٢

﴿بَلَىٰ مَن أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾

٢٠١

١٤٣

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عِيمَنَكُمْ﴾

٣٨

١٤٦

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾

١٦٠-١٣٠

١٧٢

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ﴾

١٤٩

١٧٨

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾

١٤٩

١٧٩

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾

٩١-٤٤

١٨٤

﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾	١٨٥	٩١-٤٤
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾	١٨٦	١٧٣
﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾	١٨٧	٢٣٨
﴿وَقَتْلُهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾	١٩٣	٢٣٣
﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	١٩٥	٧٧
﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾	١٩٧	٤٥
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾	٢٠٨	٣٥
﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾	٢١٠	٨٢
﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾	٢١٤	١٧٦
﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾	٢١٦	٢٨٦
﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾	٢٢٩	٢٣٨
﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾	٢٤٥	٢٧١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾	٢٥٤	٢٠٥
﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾	٢٥٧	٢٧٣
﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾	٢٦١	٢٧١
﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾	٢٦٧	١٣٠
﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾	٢٧٥	٢٣٨، ١٠٤، ١٠٣

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ﴾	٢٨٠	٢٦٦
﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	٢٨٤	٢٨٠
﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾	٢٨٥	٢٨٠
﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	٢٨٦	٢٨٠-١١٣-١٢٨

سورة آل عمران

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾	٤	٢٧٥
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾	٥	١٦٦
﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾	١٩	١٢٠
﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾	٣١	٢٧٧
﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾	٨٥	١٢٠
﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾	٩٧	٢٤١-٢٣٠
﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾	١٠٤	٢٤٩
﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	١١٠	٢٤٩-٢٠٦
﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾	١١٣، ١١٤	٢٥٠
﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾	١٣٢	٣٩

سورة النساء

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٢٩	٢٦٢	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾
٣٦	٢٢٩-١٥٥	﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾
٤٠	٢٠١	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾
٤٨	١٩٣	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾
٥٩	٢٢٢-٣٩	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ﴾
٦٣	٢٢٠	﴿وَعِظْهُمْ﴾
٦٥	٢٨٥	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾
٨٠	٣٩	﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾
٨٣	١٤٣-١٤٢	﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ﴾
٩٣	٢٦٣	﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾
١٠٠	٢٥	﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾
١٠٣	٨٩-٤١	﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾
١٠٨	١٦٦	﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾
١١٠	٢٥	﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ﴾
١١٤	٢١١-١٥٤	﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
١٣١	١٦٦	﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾
١٤٥	١١٠-١٢٦	﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾
١٥٠، ١٥١	٥٦	﴿الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾
١٦٣	٥٦	﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ﴾

سورة المائدة

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
١	١٠٣	﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾
٢	٢١٢-٢١٥	﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالنَّقْوَى﴾
٣	١٠٣-٢٣٨	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾
٨	١٩٤	﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ﴾
٥٥	٢٧٣	﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾
٧٨، ٧٩	٢٥٠-٢٥٣	﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾
١٠١، ١٠٢	١٢٨-٢٤٠	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾
١٠٥	٢٢٣	﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾

سورة الأنعام

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٢٩	٥٧	﴿ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾
٣٣	٤٨-٣٨	﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ﴾
٦٠	٩٥	﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ ﴾
٨٢	١٩٣	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾
١٥٣	٢٦٧	﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾
١٦٠	٢٧١	﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾

سورة الأعراف

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٩، ٨	٦٦	﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴾
٢٦	١٩٦	﴿ يَبْنِيْءَ ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا ﴾
٢٧	١٩٨	﴿ إِنَّهُ يَرْبُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ ﴾
١٤٣	٧٨	﴿ قَالَ رَبِّ ارْنِيْ أَنْظِرْ إِلَيْكَ ﴾
١٥٧	١٣٣	﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ﴾
١٦٥	٢٥٢	﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾
١٨٧	٨١	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾

سورة الأنفال

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ ﴾	٢-٤	٧٥-٤٧
﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾	٢٠	٣٩
﴿ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾	٢٩	٢١٨
﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا ﴾	٣٨	١٦٨
﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا ﴾	٧٢	٢٤

سورة التوبة

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾	٥	١٢٣
﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾	١١	١٢٣
﴿ وَلَا يَنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴾	٥٤	١٨٨
﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾	٦٧	١٨٨

سورة يونس

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا ﴾	٥	١٨٩
﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾	٣١	٥٠
﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾	٥٨	٦٩

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٦٢	٢٧٣	﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾
٦٣	٢٧٣	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾

سورة هود

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
١٥، ١٦	٢٢	﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾
١١٢	١٨٠-١٨١	﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾
١١٤	١٦٧	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾

سورة يوسف

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٥٦	٢٠١	﴿وَلَا تُضِيعْ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾
١٠٦	٥٠	﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ﴾

سورة الرعد

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٢٦	٦٩	﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

سورة إبراهيم

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٨	١٩٨-١٩٩	﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا ﴾
٢٥، ٢٤	٢١٢	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ﴾
٢٧، ٢٦	٢١٢-٢١٣	﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾

سورة الحجر

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٤٢	١٩٢	﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾

سورة النحل

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٥٨	٥٤	﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ﴾
٦٢	٥٤	﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾
١٠٦	٢٧٩	﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ ﴾

سورة الإسراء

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
١٤	٢٠٢	﴿ أَقْرَأْ كِتَابَكَ ﴾
٣٢	١٠٤، ١٤٩	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ﴾
٣٣	١٠٤	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ﴾

٩٤	٨٥	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾
		﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ
١٧٥	٦٧	إِلَّا آيَاتُهُ﴾

سورة الكهف

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٢٩	١٧٨	﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾
٣٠	٢٠٠	﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾
٤٩	٢٠١	﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾

سورة مريم

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٥٩	٩٠	﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾
٦٨-٧٢	٦٧	﴿فَوَرِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾
٧٦	٧٥	﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾
٩٣	١٩٢	﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

سورة طه

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٨٢	١٩٧	﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾

سورة الحج

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾	٥-٧	٥٨
﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ﴾	٤٦	١٠٧
﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾	٦٢	٨٨-٣٧
﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾	٧٥	٥٣

سورة المؤمنون

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾	١، ٢	٤٢
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾	٥-٧	٢٠٨-١٤٩
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾	١٢	٩٥
﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾	١٣	٩٥
﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظًا﴾	١٤	٩٥
﴿أَيَعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظًا﴾	٣٥-٣٧	٥٧
﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾	٥١	١٣٠
﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾	٦٦	١٨٩
﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾	٨٤، ٨٥	٥٠
﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ﴾	٨٦، ٨٧	٥٠
﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾	١٠٢، ١٠٣	٦٥

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾	١١٥، ١١٦	٥٩

سورة النور

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾	١٩	٢٦٣
﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾	٥٤	٣٩

سورة الفرقان

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾	٢٢	٨٥-٣٢
﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾	٢٦	٦٤
﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾	٧٠	١٦٨

سورة الشعراء

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾	٨٧-٨٩	٥٦

سورة القصص

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ﴾	٥٠	٣٩
﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾	٧٦	٦٩
﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾	٧٧	٢٠٥

سورة العنكبوت

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٢٥	٥٠	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾
٤٥	١٨٧-١٢٣	﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾

سورة الروم

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
١٤-١٦	٥٩	﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ ﴾
٢١	٢٠٧	﴿ وَمَنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ ﴾

سورة لقمان

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
١٣	١٩٦	﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾
٣٤	٨٢	﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾

سورة السجدة

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٧	٧٧	﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ﴾
١٦	٢٢٧	﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾

سورة الأحزاب

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾	٥	٢٨١
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾	٢١	٢٢٤
﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾	٣٥	٧٤
﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾	٥٨	٢٧٥
﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾	٧٠	١٥٤
﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾	٧٢	١٩٤

سورة فاطر

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾	١٠	١٣٠-١٣١
		٢١٢
﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾	٣٢	١٨٤
﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾	٣٣	١٨٤

سورة يس

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَا تُحْزَنْ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٥٤	٢٠٠
﴿قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾	٧٨	٥٨، ٥٧

سورة الصافات

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٩٦	٦٨	﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾
١٤٣	١٧٥	﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾
١٤٤	١٧٥	﴿لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾
١٥٣: ١٥٥	٥٥	﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾

سورة ص

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٢٨، ٢٧	٥٩	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾

سورة الزمر

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٦	٩٥	﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾
٥٣	١٦٨ ، ١٩٧	﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾
	٢٨٨ ، ٢٩٠	
٦٢	٦٨	﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾
٦٨	٦٣	﴿ثُمَّ نَفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾

سورة غافر

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٥٧	٥٨	﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾

٣٩ ٦٣

سورة فصلت

طرف الآية

رقم الآية رقم الصفحة

٦ ١٨٠-١٨٢

﴿فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾

١٧ ١٩٥

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى﴾

٣٠ ١٨٠

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾

٣٤، ٣٥ ٢٤٥

﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾

سورة الشورى

طرف الآية

رقم الآية رقم الصفحة

٧ ٦٠

﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾

٣٧ ١٥٩

﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾

٤٠ ٢٤٥، ١٦٠

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾

سورة الزخرف

طرف الآية

رقم الآية رقم الصفحة

١٩ ٥٤

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنِشَاءً﴾

٨٤ ٣٧

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾

٨٧ ٥٠

﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾

سورة الجاثية

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٢٤	٥٧	﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾

سورة الأحقاف

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
١٣ ، ١٤	١٨٠	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾

سورة محمد

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٩	٢٨٥	﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾
١٨	٨٢	﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾
٣٣	٣٦	﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ﴾

سورة الفتح

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٧	٤٩	﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
٢٦	٤٩	﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾

سورة الحجرات

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
١	١٢٨	﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾
٩	٢١١	﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
١٠	١٤٦	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾
١٢	٢٦٣	﴿ وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾
١٣	٢٠٠	﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾
١٤	٨٠-٢٩	﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ﴾
١٥	٤٧	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾
١٦	٢٩-٢٧	﴿ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ ﴾
١٧	١٩٩	﴿ قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ ﴾

سورة ق

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
١٧	٢٠١	﴿ إِذْ يَنْلَقَى الْمُلَقَّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾
١٨	٢٠١، ١٥٣	﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾

سورة الذاريات

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
١٦-١٩	١٧٥	﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾
١٩	١٢٣، ٩٠، ٤٣	﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾
٥٦	٢٣٣	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

سورة الطور

طرف الآية

رقم الآية رقم الصفحة

٣٩ ٥٤

﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾

سورة النجم

طرف الآية

رقم الآية رقم الصفحة

٤، ٣ ٤٠

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾

١٣، ١٤ ٣٢

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾

٣٢ ٢٨٩

﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾

سورة القمر

طرف الآية

رقم الآية رقم الصفحة

٤٩ ٦٧

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾

سورة الحديد

طرف الآية

رقم الآية رقم الصفحة

٧ ٢٠٥

﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾

٢٢، ٢٣ ٦٨، ٦٩

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾

سورة المجادلة

طرف الآية

رقم الآية رقم الصفحة

٦ ٢٠١

﴿أَخْصَنَهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾

٧ ٦٨

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾

سورة الحشر

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٧	١٣١-٤٠	﴿وَمَا آءَانَكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾

سورة المنافقون

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
١	٣٨	﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ﴾
٢	٣٨	﴿أَتَّخِذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً﴾
٧	١٩٩	﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

سورة التغابن

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٢	٧٦	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ﴾
٧	٨١، ٥٧	﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾
١٦	١٢٨	﴿فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾

سورة القلم

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٤	٢١٦-١٦٨	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

سورة الحاقة

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٢٥-١٩	٦٦	﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾

سورة المعارج

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
١١-١٥	٥٧	﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِهِ﴾
٢٤-٢٥	٤٣	﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾
٤٣	٦٣	﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾

سورة نوح

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
١٤	٩٥	﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾

سورة المزمل

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٦	٢٣١	﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾

سورة المدثر

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٨-١٠	٦٤	﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾
٣١	٧٥	﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾
٤٩-٥١	٢٢٠	﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ﴾

سورة الإنسان

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٢	٩٣	﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾

سورة النازعات

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٤٦-٤٢	٨١	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾

سورة عبس

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٣٧-٣٤	٥٧	﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾

سورة الانفطار

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
١٢-١٠	٥٣	﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَثِيرِينَ﴾

سورة المطففين

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
١٥	٧٩	﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِذٍ لَمَّحُجُونَ﴾

سورة الانشقاق

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٩-٨	٦٤	﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ﴾

سورة الطارق

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٧	٩٣	﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾

سورة الليل

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
١٠-٤	٧٣	﴿ سَعَيْكُمْ لَشَيْءٍ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ ﴾
٧-٥	٩٦	﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَرُهُ ﴾
١٠-٨	٩٦	﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴾

سورة الشرح

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٦، ٥	١٧٦	﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾

سورة العلق

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٧، ٦	١٧٤	﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ أَلَمْ يَرَأْهُ اسْتَغْنَى ﴾

سورة القارعة

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٩-٦	٦٦	﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ ﴾

سورة العصر

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٣	٢٥١	﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

سورة الماعون

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٥-٤	٩٠	﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ﴾

* * *

فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٢٨٠	أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ
١٦٥	اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ
٢٤١	أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ
٢١٥	أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ؟»
٢٣٢	أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ
٧١	أَحْرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ
١٦١-٣٠	الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ
٢٨٢	أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكَبِيَّ
٢٧٢	إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمَانِ
١٧٠-٧٠	إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ
٢٤١-٢٠	ازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ
١٨٢	اسْتَقِيمُوا وَلَكِنْ تَخْصُوا
١٧٦	أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً
١٣٠-٣١	أَشْعَثَ أَغْبَرَ
١٠٨	أَكْثَرُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْلِفُ
١٦١-١٠٣	أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
١٤٨-١٢٠	أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ
١٣٨	إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ
٢٧٠-٩٣-٥٣	إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ
١٠٣-٢٠	إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنٌ
٢٧٩	إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي
٢٣٧	إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ
٢٧٠	إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ
١٦١	إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ
١٥٤	إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ
٢٦١	إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ
٢٢	إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ
٦٧	إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ
١٢٣	إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ
١٨٣	أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
١٥٨	أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي
٢٥٧	أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْأَلُهُ
١٢٥	إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٦١	أَنْ صَدَقَ عَبْدِي
١١٢	إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ
١٧٨	إِنَّ مِمَّا أَذْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى
٢٥٩	انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا
٦٤	إِنَّكُمْ مُحْشُورُونَ حُفَاةَ عُرَاءَةٍ غُرْلًا
١٠٢-٩٩-١٩	إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ
٢١٩	إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ
٣٢	إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ
٢٢٣	إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ
٢٥٥	إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ
٧٥-٤٧	الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ
١٣٠	أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ
٤٥	أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ
٢١٥	الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ
٨٧-٣٥	بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ
١٢٢	بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ
٢١٣	بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
١٦٢	بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ
١٦٢	بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ
٣٠	بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
٢٢٣	تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ
٢١٧	جِئْتُ تَسْأَلُنِي عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ
٢٣٠	جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا يُوجِبُ الْحَجَّ؟
١٥٧	جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ
٣٣	جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ
٢١٥	الْحَجُّ عَرَفَةٌ
٧٨	حِجَابُهُ النُّورُ
٥٢	خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ
١٣٨	دَعُ مَا يَرِيْبُكَ
٢١٦	الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ
٢٥٨	دَعُوا النَّاسَ يَرْزُقُوا اللَّهَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ
٢٢٢-١٠٩	الدِّينُ النَّصِيحَةُ
٢٦٣-١١٥	ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٢٦٠	رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ
١٩٩	سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
١٥٩	الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ
٤١	صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي
١٦٧	الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ
١٨٥	الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ
١٢٤	عَجِبَ رَبُّكَ
٢٥٦-٢٠٥	فَهَمَّا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ
٢١٠	فِي الْإِنْسَانِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسُتُونَ مِفْصَلًا
١٦٢	فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ
٢٨٧	قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ
١٨٠	قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا
٢٢٧	قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ
٢٠٣	كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ
٣٣	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْمِنْبَرِ
١٩٦	كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ
٢١٠	كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٧٨	كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ
٢٥٥	لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا
٦٧	لَا تَكَلَّمُوا فِي الْقَدَرِ
٢٥	لَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ
٢٥٦	لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ
٢٤٤	لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ
٢٢٢	لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ
٢٥	لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ
١١٢	لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ
٢٥٧-٢٤٦-١٤٥	لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ
٢٨٥	لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ
٢٦٢-١٤٧-١٢٤	لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ
٢٦٢-١٢٣	لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ
٤٣	لَمَّا تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
١٧٦	لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ
١٤٥	اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبَارِكْ لَهُ
١٧١	اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْحِكْمَةَ

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
١٧١	اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ
١٧٠	اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ
٢٩	اللَّهُمَّ مِنْكَ وَلَكَ
١١٦	لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً
٢٤٧	لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ
١٦	لِيُبْلَغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ
٢٥٣	لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ
٢٥١	مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ
٢٧	لَبَّيْكَ عُمْرَةً وَحَجًّا
١٢٧	مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ
١٥٦	مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ
٢٠٥	مَثَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ
٨٧-٣٥	الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ
٢٢٥-٩٨	مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا
١٥٠-١٢٤	مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ
١٧٢	مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا
١٤١-٢٠	مَنْ حُسِّنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ تَرَكَهُ مَا لَا يَغْنِيهِ

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
١٥-١١	مَنْ حَفِظَ عَلَى أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا
٢٤٩-٢٠٦-١١٨-٧٥	مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا
٧	مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا
٤٢	مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ
٢٧٥-٢٢٥-١١٣-٩٨-٧٧-٣٩	مَنْ عَمِلَ عَمَلًا
١١٧	مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا
١٥٢	مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
٢٦٥	مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً
٦٤	مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ
٥٣	مَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ
١٧٣	مَنْ يَسْأَلْنِي فَأَعْطِيهِ
١٦	نَضَرَ اللَّهُ امْرَأًا سَمِعَ مَقَالَتي
١٨٧	هَلْ تَذَرُونَ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
١٩٤	وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ
٨٥	وَأَكْثَرُ مَا كُنْتُ أَرَاهُ
٢١٢	وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ
٤٥	وَأَنْ تَحُجَّ وَتَعْتَمِرَ

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٦٠	وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ
٢٢٢-١١٤-٩٨-٧٧-٣٩	وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ
٢١٦	وَخَالِقِ النَّاسِ بِخُلُقٍ حَسَنِ
٢٢٠	وَعَظَنَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
١١٨	وَمَنْ أَشَارَ عَلَى أَخِيهِ
١٥٣	وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ
٢١٤	وَيُجْزَى مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ
٢٠٤	يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ
١٩١	يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي
٤٨	يَا عَمَّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
١٧٠	يَا غَلَامُ إِنِّي أَعَلَّمْتُ كَلِمَاتٍ
١٠٨	يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ
٦٥	يَا مُوسَى لَوْ كَانَ السَّمَاءُ السَّبْعُ
٢٠٢	يَتَعَاقِبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ

فهرس المراجع

- ١ - اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ.
- ٢ - الاعتصام، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، المكتبة التجارية، مصر.
- ٣ - اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد بن عمر بن الحسين الرازي أبو عبدالله، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٤٠٢ هـ.
- ٤ - الأحاديث المختارة، أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد المقدسي، تحقيق عبدالملك ابن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.
- ٥ - أحكام القرآن، محمد بن عبدالله بن العربي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الفكر، لبنان.
- ٦ - الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ.
- ٧ - أربعون حديثاً لأربعين شيخاً من أربعين بلدة، علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم، تحقيق: مصطفى عاشور، مكتبة القرآن، القاهرة.
- ٨ - الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، لجلال الدين عبدالرحمن ابن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، طبعة ١٣٩٩ هـ.

- ٩- الإبهاج، علي بن عبدالكافي السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ.
- ١٠- إثبات عذاب القبر، أحمد بن الحسين البيهقي أبوبكر، تحقيق: د. شرف محمود القضاة، دار الفرقان، عمان، الأردن، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ.
- ١١- الإحكام في أصول الأحكام، لعلي بن محمد الآمدي، المكتب الإسلامي، طبعة ١٤٠٢ هـ، تعليق الشيخ عبدالرزاق عفيفي.
- ١٢- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق علي البجاوي، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.
- ١٣- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، علي بن سليمان المرداوي أبو الحسن، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٤- الإيمان الكبير، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، المكتب الإسلامي.
- ١٥- الإيمان، محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، تحقيق: علي بن محمد الفقيهي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ.
- ١٦- البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.
- ١٧- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبوبكر بن مسعود الكاساني الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ.
- ١٨- البداية والنهاية، لعلماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة

- المعارف، بيروت، الطبعة السادسة ١٤٠٥ هـ.
- ١٩- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت.
- ٢٠- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أحمد عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ.
- ٢١- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ.
- ٢٢- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٣- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٩٩٥ م.
- ٢٤- التَّبَصُّرَةُ فِي أَصُولِ الْفَقْهِ، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي الشيرازي، شرحه وحقَّقه: محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق.
- ٢٥- تحفة الأحوذِي شرح جامع الترمذي، لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، الطبعة الحجرية، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٢٦- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.
- ٢٧- تدريب الراوي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق:

- عبدالوهاب عبداللطيف، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
- ٢٨- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.
- ٢٩- تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر المروزي، تحقيق: عبدالرحمن عبدالجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.
- ٣٠- تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.
- ٣١- تفسير ابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠٥ هـ.
- ٣٢- تفسير ابن كثير، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠١ هـ.
- ٣٣- تفسير القرطبي، طبعة دار الشعب، القاهرة، وطبعة دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٣٤- تفسير عبدالرزاق الصنعاني، تحقق مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.
- ٣٥- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تصحيح عبدالله هاشم اليمني، المدينة المنورة، طبعة ١٣٨٤ هـ.
- ٣٦- التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن الإسنوي، حققه وعلق عليه محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ.
- ٣٧- التمهيد، يوسف بن عبدالله بن عبدالبر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبدالكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف، المغرب،

طبعة ١٣٨٧ هـ.

- ٣٨- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: محمد أيمن الشبراوي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٩ م.
- ٣٩- ثلاثة الأصول وأدلتها، الإمام محمد بن عبد الوهاب، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧ هـ.
- ٤٠- جامع بيان العلم وفضله، للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.
- ٤١- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، للإمام زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: طارق عوض الله، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ.
- ٤٢- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن محمد بن نصر الله الحنفي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ.
- ٤٣- حلية الأولياء، أبونعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ.
- ٤٤- الحماسة المغربية (مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب)، أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩١ م.
- ٤٥- خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى.

- ٤٦- الدر المنثور، عبدالرحمن بن جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٩٩٣ م.
- ٤٧- الدر السنية في الأجوبة النجدية، جمع: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، الطبعة الخامسة ١٤١٢ هـ.
- ٤٨- الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد سيد جار الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ.
- ٤٩- ديوان المتنبي، أبوالبقاء العكبري، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبدالحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت.
- ٥٠- ذيل تذكرة الحفاظ، أبوالمحسن محمد بن علي الدمشقي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٥١- الروض المربع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، طبعة ١٣٩٠ هـ.
- ٥٢- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٤١٢ هـ.
- ٥٣- زاد المسير، أبوالفرج عبدالرحمن بن الجوزي الحنبلي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ.
- ٥٤- زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرنؤوط

وعبدالقادر الأرنبوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية،
الطبعة الرابعة عشرة ١٤٠٧ هـ.

٥٥- الزهد، هناد بن سري الكوفي، تحقيق: عبدالرحمن عبدالجبار
الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

٥٦- سبل السلام شرح بلوغ المرام، لمحمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني
الصنعاني اليمني، تحقيق: فواز أحمد زمزلي، إبراهيم محمد الجمل، دار
الكتاب العربي.

٥٧- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبدالملك بن حسين
بن عبدالملك الشافعي العاصمي المكي، تحقيق: عادل أحمد
عبدالموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة
١٤١٩ هـ.

٥٨- السنة، لابن أبي عاصم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب
الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ.

٥٩- السنة، للخلال - دار الراية للنشر والتوزيع - الرياض.

٦٠- السنة، عبدالله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد سعيد سالم القحطاني،
دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

٦١- سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت.

٦٢- سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث، بيروت.

٦٣- سنن الدارقطني، تحقيق: السيد عبدالله هاشم المدني، دار المعرفة،
بيروت.

٦٤- سنن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمزلي وخالد السبع العلمي، دار

الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ.

٦٥- السنن الصغرى للبيهقي، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي،

مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

٦٦- السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، مكتبة دار

الباز، مكة المكرمة، طبعة ١٤١٤ هـ.

٦٧- السنن الكبرى للنسائي، تحقيق عبدالغفار سليمان البنداري، وسيد

كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى

١٤١١ هـ.

٦٨- سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر،

بيروت.

٦٩- سنن النسائي (المجتبى)، أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي،

تحقيق: عبدالفتاح أبوغدة، مكتبة المطبوعات، حلب، الطبعة الثانية

١٤٠٦ هـ.

٧٠- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط

ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة

١٤١٣ هـ.

٧١- شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط

ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

٧٢- شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، تقي الدين

ابن دقيق العيد، دار ابن حزم، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ.

٧٣- شرح الأربعين النووية، للعلامة محمد بن صالح العثيمين، إشراف

مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا للنشر.

٧٤- شرح السُّنَّة، للإمام البغوي أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٩٠ هـ.

٧٥- شرح السنة، للإمام الحسن بن علي بن خلف البربهاري أبو محمد، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.

٧٦- شرح السيوطي لسنن النسائي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ.

٧٧- شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩١ هـ.

٧٨- شرح العقيدة الواسطية، د. صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة السادسة ١٤١٣ هـ.

٧٩- شرح القصيدة النونية، أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦ هـ.

٨٠- شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ.

٨١- شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، تحقيق: أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، طبعة ١٤٠٢ هـ.

٨٢- شرح علل الترمذي، أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: همام عبدالرحيم سعيد، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى

١٤٠٧ هـ.

- ٨٣- الشريعة، أبوبكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: د. عبدالله بن عمر بن سليمان الدميحي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ.
- ٨٤- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.
- ٨٥- صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ.
- ٨٦- صحيح ابن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، طبعة ١٣٩٠ هـ.
- ٨٧- صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.
- ٨٨- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.
- ٨٩- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ.
- ٩٠- طبقات الحفاظ، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.
- ٩١- العبر في خبر من غبر، شمس الدين الذهبي، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت.

- ٩٢- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق: زكريا علي يوسف، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٩٣- العرش وما روي فيه، محمد بن عثمان بن أبي شيبة، تحقيق: محمد بن حمد الحمود، مكتبة المعلا، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.
- ٩٤- العزلة، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ.
- ٩٥- العظمة، لأبي محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.
- ٩٦- عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، محمد بن عبدالوهاب، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٧ هـ.
- ٩٧- العقيدة رواية أبي بكر الخلال، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أبو عبدالله، تحقيق: عبدالعزيز عز الدين السيروان، دار قتيبة، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.
- ٩٨- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، لجمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، تحقيق: خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.
- ٩٩- عمدة القاري شرح البخاري، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث، بيروت.
- ١٠٠- عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة أبي الطيب شمس الحق

العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٥ هـ.

١٠١ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

١٠٢ - فتح القدير شرح الجامع الصغير، محمد عبدالرؤوف المناوي، دار الفكر، بيروت.

١٠٣ - فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للحافظ زين الدين عبدالرحيم العراقي.

١٠٤ - فتح المغيث شرح ألفية الحديث، محمد بن عبدالرحمن السخاوي، دار أحد.

١٠٥ - فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، تحقيق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٤٠٣ هـ.

١٠٦ - الفرق بين الفرق، عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٧ هـ.

١٠٧ - الفروع، لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن مفلح المقدسي، مراجعة: عبدالستار أحمد فراح، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤ هـ.

١٠٨ - الفروق، لشهاب الدين أبو العباس أحمد القرافي، بهامشه «إدراج الشروق» لابن الشاطئ، و«تهذيب الفروق» لمحمد علي، وضع فهارسه رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

- ١٠٩ - الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن محمد ابن حزم الظاهري، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، وعبدالرحمن عميرة، شركة مكتبة عكاظ للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ.
- ١١٠ - فيض القدير، عبدالرؤوف المناوي، المكتبة التجارية، مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ.
- ١١١ - القاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شاطئ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
- ١١٢ - قواطع الأدلة في الأصول، أبوالمظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٤١٨ هـ.
- ١١٣ - قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، محمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٣٩٩ هـ.
- ١١٤ - القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام الفرعية، لابن اللحام أبي الحسن علاء الدين علي بن عباس البعلي الحنبلي، تحقيق وتصحيح: محمد حامد الفقّي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.
- ١١٥ - الكافي في فقه الإمام أحمد، لموفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ.
- ١١٦ - الكامل في التاريخ لابن الأثير، تحقيق: عبدالله القاضي، دار الكتب

العلمية، بيروت.

١١٧ - كتاب القدر، أبوبكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض الفريابي، تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ.

١١٨ - كشف الخفاء ومزيل الالتياس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني، تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ.

١١٩ - لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي ثم المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

١٢٠ - لمعة الاعتقاد، عبدالله بن قدامة المقدسي، تحقيق: بدر بن عبدالله البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

١٢١ - مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن ابن محمد بن قاسم النجدي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.

١٢٢ - المجموع شرح المهذب، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، بهامشه «فتح العزيز شرح الوجيز» لأبي القاسم عبدالكريم بن محمد الرافعي، و«تلخيص الحبير» لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر.

١٢٣ - مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة ١٤١٥ هـ.

١٢٤ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية

الدمشقي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت،
الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ.

١٢٥ - المدخل إلى السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد
ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب، الكويت، طبعة
١٤٠٤ هـ.

١٢٦ - المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، عبد القادر بن بدران
الدمشقي، تحقيق: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة
الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ.

١٢٧ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري،
تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ.

١٢٨ - المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى
عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى
١٤١١ هـ.

١٢٩ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر.

١٣٠ - مسند البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن،
بيروت، المدينة، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.

١٣١ - مسند الشاميين، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد
السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.

١٣٢ - مسند أبي داود الطيالسي، لسليمان بن داود بن الجارود الطيالسي،
دار المعرفة، بيروت.

- ١٣٣ - مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ.
- ١٣٤ - مسند إسحاق بن راهويه، تحقيق: عبدالغفور بن عبدالحق البلوشي، مكتبة الإيوان، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.
- ١٣٥ - مسند عبد بن حميد، تحقيق: صبحي البدرى ومحمود محمد خليل، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.
- ١٣٦ - المسوّدة في أصول الفقه، لآل تيمية، مجد الدين أبو البركات عبدالسلام بن عبدالله بن الخضر، شهاب الدين أبو المحاسن عبدالحليم بن عبدالسلام، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم، جمعها وبيّضها: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد الحرّاني الدمشقي الحنبلي، حقّق أصوله وفصّله وضبط شكله وعلّق حواشيه: محمد محي الدين، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ١٣٧ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الرافعي الفيّومي، المكتبة العلمية، بيروت.
- ١٣٨ - مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.
- ١٣٩ - مصنف عبدالرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ.
- ١٤٠ - مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، لمصطفى السيوطي الرحباني، مع حاشية الفقيه العلامة حسن الشطي، طبع على نفقة

- علي بن عبدالله آل ثاني، حاكم قطر، منشورات المكتب الإسلامي.
- ١٤١ - معجم الأدباء، أبو عبدالله ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ.
- ١٤٢ - المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، طبعة ١٤١٥ هـ.
- ١٤٣ - معجم البلدان، أبو عبدالله ياقوت الحموي، دار الفكر، بيروت.
- ١٤٤ - المعجم الصغير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: محمد شكور، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.
- ١٤٥ - المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ.
- ١٤٦ - المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بمصر، بإشراف عبدالسلام هارون، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٤٧ - المغني (شرح مختصر الخرقى)، لموفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي الدمشقي الحنبلي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.
- ١٤٨ - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي الأشعري، تحقيق: هلموت ريتز، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثالثة.
- ١٤٩ - مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨٤ م.
- ١٥٠ - الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، تحقيق:

- محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، طبعة ١٤٠٤ هـ.
- ١٥١ - منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.
- ١٥٢ - المنهل الروي، محمد بن إبراهيم بن جماعة، تحقيق: محيي الدين عبدالرحمن رمضان، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ.
- ١٥٣ - موطأ الإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث، مصر.
- ١٥٤ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين الذهبي، تحقيق علي عوض، وعادل عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥ م.
- ١٥٥ - نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث، بيروت.
- ١٥٦ - نصب الراية لأحاديث الهداية، عبدالله بن يوسف الزيلعي، تحقيق محمد بن يوسف البنوري، دار الحديث، مصر، طبعة ١٣٥٧ هـ.
- ١٥٧ - النهاية في غريب الأثر، لابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، طبعة ١٣٩٩ هـ.
- ١٥٨ - نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني، دار الجيل، بيروت.
- ١٥٩ - الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، طبعة ١٤٢٠ هـ.

١٦٠ - الورقات، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، تحقيق: د. عبد اللطيف محمد العبد.

١٦١ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء زمان، أبو العباس شمس الدين أحمد ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.

١٦٢ - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق: د. مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الناشر	٧
مقدمة الشارح حفظه الله	١١
مقدمة الإمام النووي <small>رحمته الله</small>	١٥
الحديث الأول: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ...»	١٩-٢٩
أهمية النية في العمل الصالح	١٩
النبي <small>صلوات الله عليه</small> أوتي جوامع الكلم والأحاديث الجوامع	٢٠
معنى «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ...»	٢١
تعريف النية	٢١
معنى «وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَى»، وقولي العلماء فيها	٢٢
أول من يقضى فيه يوم القيامة ثلاثة	٢٢
وجوب إخلاص النية في الأعمال الصالحة لله <small>وعز وجل</small>	٢٤
مثال عملي من النبي <small>صلوات الله عليه</small> لهذا الحديث	٢٤
تعريف الهجرة	٢٤
بقاء الهجرة إلى قيام الساعة	٢٥
المراد بالهجرة في الحديث	٢٦
أنواع الهجرة	٢٦
النية محلها القلب والتلفظ بها بدعة	٢٧
بطلان نسبة التلفظ بالنية للإمام الشافعي	٢٨
التلفظ عند ذبح الأضحية ليس تلفظاً بالنية	٢٩

الموضوع	الصفحة
الحديث الثاني: «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ...»	٣٠-٨٦
مكانة هذا الحديث وأهميته	٣٠
جلوس الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى النبي ﷺ يتعلمون منه	٣١
جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة رجل	٣١
رأى النبي ﷺ جبريل عَلَيْهِ السَّلَام في صورته الملكية مرتين	٣٢
آداب مستفادة لطالب العلم من هيئة وجلوس جبريل عَلَيْهِ السَّلَام	٣٣
لا يكفي الانتساب للإسلام دون معرفة حقيقته	٣٤
الأركان الخمسة للإسلام	٣٤
التعريف العام للإسلام	٣٥
معنى الركن الأول وتلازم الشهادتين	٣٦
معنى: «أشهد أن لا إله إلا الله»	٣٦
معنى الإله المعبود: «لا معبود بحق إلا الله»	٣٧
معنى «أشهد أن محمداً رسول الله»	٣٧
الاعتراف برسالته ﷺ يكون ظاهراً وباطناً	٣٨
لا تصح الشهادة بأن محمداً رسول الله بدون متابعة	٣٨
من معاني الشهادة تصديقه ﷺ	٤٠
الركن الثاني: إقام الصلاة، ومعنى إقامتها	٤١
الركن الثالث: الزكاة، وهي حق واجب فرضه الله ﷻ	٤٣
الركن الرابع: صوم شهر رمضان من كل سنة	٤٤
الركن الخامس: حج بيت الله الحرام	٤٤

الموضوع	الصفحة
معنى الحج لغة وشرعاً	٤٤
تعريف الاستطاعة	٤٥
تعريف الإيمان لغة وشرعاً	٤٦
الإيمان عند أهل السنة والجماعة	٤٦
الإيمان قول وعمل واعتقاد	٤٧
اجتماع الإسلام في الظاهر والإيمان في الباطن	٤٧
تعريف الركن الأول من أركان الإيمان وهو الإيمان بالله <small>وَعَجَلْ</small>	٤٩
الإيمان بالله يشمل أنواع التوحيد الثلاثة	٤٩
تعريف توحيد الربوبية	٥٠
تعريف توحيد الألوهية	٥٠
تعريف توحيد الأسماء والصفات	٥١
مذهب السلف في توحيد الأسماء والصفات	٥٢
الركن الثاني: الإيمان بالملائكة	٥٢
تعريف الملائكة وأصنافهم والإيمان بأعمالهم التي ذكرها الله <small>وَعَجَلْ</small>	٥٢
انحراف بعض الطوائف في الملائكة	٥٤
الركن الثالث: الإيمان بالكتب المنزلة	٥٥
الركن الرابع: الإيمان بالرسول من أولهم إلى آخرهم	٥٥
الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر	٥٦
أسماء اليوم الآخر	٥٦
من الإيمان باليوم الآخر الاستعداد له	٥٦

الموضوع	الصفحة
الرد على منكري البعث قديماً وحديثاً	٥٨
المراد باليوم الآخر «ما بعد الموت كله»	٦٠
القبر أول منازل الآخرة وسؤال الملكين	٦٠
تواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه	٦٢
أنواع الدُّور وترتيب ما يحصل بعد الموت	٦٣
من الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالبعث	٦٣
من الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالحشر وصفة المحشر	٦٣
الحساب وأنواعه في حق المؤمنين	٦٤
هل يحاسب الكافر	٦٤
الوزن	٦٤
نصب الموازين والرد على المعتزلة	٦٥
تطابير الصحف	٦٦
المرور على الصراط	٦٦
القصاص بين المؤمنين تهدياً لهم لدخول الجنة	٦٧
الركن السادس: الإيمان بالقدر	٦٧
تعريف القدر	٦٧
مراتب القدر	٦٨
أثر الإيمان بالقضاء والقدر	٦٩
أفعال العباد والرد على الجبرية	٧٢
أهل السنة والجماعة وسط بين الجبرية والقدرية	٧٣

الصفحة

الموضوع

- الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا ٧٤
- حكم مرتكب الكبيرة ٧٥
- وسطية أهل السنة بين المرجئة والخوارج والمعتزلة ٧٥
- تعريف الإحسان ٧٧
- الإحسان بين العبد وربه ٧٧
- الله وَعَلَيْكَ لا يُرى في الدنيا ٧٨
- ثبوت رؤية الرب وَعَلَيْكَ في الآخرة للمؤمنين ٧٨
- أثر مرتبة الإحسان على المؤمن ٧٩
- الدين يتفاضل ٧٩
- الإيمان باليوم الآخر يوجب العمل والاستعداد له ٨٠
- علم الساعة عند الله وَعَلَيْكَ وحده ٨١
- ليس من الحكمة السؤال عن الساعة، بل الحكمة السؤال عما
تعمل لها ٨١
- علامات الساعة وذكر النبي ﷺ علامتين من علاماتها ٨٢
- معنى أن تلد الأمة ربها ٨٣
- تشكل الملائكة بأشكال حسب المصلحة ٨٥
- سبب مجيء جبريل ﷺ كما بينه النبي ﷺ ٨٥
- الحديث الثالث: «بُني الإسلام على خمسٍ...» مكمل لحديث

عمر رضي الله عنه ٨٧-٩٢

معنى «بُني الإسلام على خمسٍ»، والجمع بينه وبين حديث عمر ٨٧

الموضوع	الصفحة
معنى «شهادة أن لا إله إلا الله»	٨٨
معنى «شهادة أن محمداً رسول الله»	٨٨
بيان قوله ﷺ: «إِقَامِ الصَّلَاةِ» وكيفية إقامتها	٨٩
المقصود بإضاعة الصلاة	٨٩
تفسير قوله: «وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ»	٩٠
بيان صوم رمضان	٩١
تفسير قوله: «وَحَجِّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ»	٩١
الحديث الرابع: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ...»	٩٣-٩٧
أطوار الجنين في بطن أمه	٩٣
الجنين في ظلمات ثلاث	٩٥
يؤمر الملك بأربع كلمات بعد النفخ	٩٥
الجمع بين كون الأعمال بقدر الله وأنها بفعل العبد	٩٦
قسم النبي ﷺ والأعمال بالخوانيم	٩٦
الحديث الخامس: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا...»	٩٨-١٠٢
معنى الإحداث في الدين	٩٨
العبادات والأعمال لا تصح إلا بشرطين	٩٨
معنى قوله ﷺ: «فَهُوَ رَدٌّ» وبطلان البدع جميعها	٩٩
الرد على مَنْ قَسَمَ البدعة إلى حسنة وغيرها	٩٩
تفسير الرواية الثانية للحديث «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا...»	١٠١
الحديث السادس: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنٌ...»	١٠٣-١٠٨

الموضوع	الصفحة
تعريف الحلال والحرام	١٠٣
المشتبهات واختلاف أهل العلم فيها	١٠٤
الموقف من المشتبهات	١٠٥
الورع والاحتياط أسلم وأبعد عن الزلل	١٠٦
ضرب النبي ﷺ مثلاً محسوساً للذي يقع في الشبهات	١٠٦
سبب تورع الإنسان عن الشبهات	١٠٧
صلاح وفساد الإنسان بصلاح وفساد قلبه	١٠٨
خوف النبي ﷺ من تقلب القلوب	١٠٨
الحديث السابع: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ...»	١٠٩-١١٩
معنى النصيحة لغةً	١٠٩
دين الإسلام خالص صافٍ	١٠٩
النصيحة لله وعجل	١١٠
موافقة الظاهر للباطن في حق الناصح	١١٠
النصيحة لكتاب الله وعجل	١١١
النصيحة لرسوله ﷺ اتباعه وطاعته والعمل بالسنة ظاهراً وباطناً	١١١
مجانبة البدع من النصيحة للرسول ﷺ	١١٣
من النصيحة للرسول ﷺ العناية بالحديث النبوي	١١٣
النصيحة لأئمة المسلمين	١١٤
نصيحة الولاية تكون بالطريقة الشرعية	١١٤

الصفحة

الموضوع

- الفرق بين النصيحة للولاء والتأليب عليهم، وهو أشد أنواع الغيبة ١١٥
- من النصيحة للولاء: الدعاء لهم بالصلاح ١١٦
- الرد على المتعالمين الذين يقولون أن الدعاء للولاء من النفاق ١١٧
- النصيحة لعامة المسلمين ١١٧
- الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من النصيحة لعامة المسلمين ١١٧
- الصدق في النصيحة لمن استشارك ١١٨
- حديث «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» من جوامع الكلم ١١٨
- الحديث الثامن: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ...» ١٢٠-١٢٦
- الأنبياء والمرسلون مبلغون عن الله ﷻ ١٢٠
- الإسلام دين الرسل جميعاً ١٢٠
- أركان الإسلام ١٢١
- الغرض من الجهاد في الإسلام ١٢٢
- تحريم قتال المسلمين وعصمة دماءهم وأموالهم ١٢٣
- الإسلام جاء بحفظ الضروريات الخمس ١٢٥
- قبول ظاهر من أسلم ما لم يأت بناقض من نواقض الإسلام ١٢٦
- الحديث التاسع: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ...» ١٢٧-١٢٩
- سبب الحديث ١٢٧
- ترك السؤال عن أشياء لم يؤمر بها ١٢٧

الموضوع	الصفحة
المنهي عنه يجتنب كله.....	١٢٨
التحذير من كثرة الأسئلة التي لا يحتاج إليها في أمور الدين.....	١٢٨
الحديث العاشر: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ...».....	١٣٠-١٣٧
الله عَزَّ وَجَلَّ طيب لا يقبل إلا الطيب في الأقوال والأعمال.....	١٣٠
المرسلون والمؤمنون مأمورون ومنهيون.....	١٣١
تحذير للإنسان من الرياء.....	١٣٣
الرد على من يحرم الطيبات.....	١٣٣
ضرب النبي ﷺ مثلاً للذي يأكل الحرام.....	١٣٤
فوائد عظيمة من هذا الحديث.....	١٣٥
الحديث الحادي عشر: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيْبُكَ...».....	١٣٨-١٤٠
الحسن بن علي رضي الله عنهما سيد.....	١٣٨
معنى دع ما يريبك.....	١٣٩
الحديث الثاني عشر: «مَنْ حُسِّنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ...».....	١٤١-١٤٤
تعريف الحديث الحسن.....	١٤١
معنى: «تَرَكُّهُ مَا لَا يَغْنِيهِ».....	١٤٢
العلماء هم الذين يحسنون الرد لسنة رسول الله ﷺ.....	١٤٢
خوف الإنسان على دينه يوجب ألا يدخل فيما لا مصلحة فيه.....	١٤٣
الحديث الثالث عشر: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ...».....	١٤٥-١٤٦
فضل أنس بن مالك رضي الله عنه.....	١٤٥

الموضوع	الصفحة
معنى قول: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ»	١٤٥
كراهة المسلم لأخيه ما يكرهه لنفسه	١٤٦
الحديث الرابع عشر: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ...»	١٤٧-١٥١
الإسلام جاء بالضروريات الخمس	١٤٧
أهمية القصاص في أمن المجتمع	١٤٨
فاحشة الزنا وخطورتها على المجتمع	١٤٩
قتل المرتد صيانة للدين	١٥٠
لزوم جماعة المسلمين وإمامهم	١٥٠
الحديث الخامس عشر: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ	
الْآخِرِ...»	١٥٢-١٥٧
خصال وشعب الإيمان	١٥٢
سبب ذكر الإيمان باليوم الآخر مع الإيمان بالله	١٥٢
قوله: «فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ...»	١٥٣
خطورة اللسان	١٥٣
تعريف الجار	١٥٥
عظم حق الجار	١٥٦
حق الضيف وإكرامه	١٥٦
الحديث السادس عشر: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي،	
قَالَ: «لَا تَغْضَبْ...»	١٥٨-١٦٠
الغضب والرضا خصلتان للإنسان	١٥٨

الموضوع	الصفحة
غضب العاقل	١٥٨
الحكمة من قول النبي ﷺ للرجل: «لَا تَغْضَبْ»	١٥٩
الحديث السابع عشر: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ...»	١٦٤-١٦١
معنى «كتب الإحسان»	١٦١
تعريف الإحسان	١٦١
الإحسان بين العبد والناس	١٦٢
الإحسان بين العبد والبهائم	١٦٢
الإحسان في الذبح	١٦٣
الحديث الثامن عشر: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ...»	١٦٩-١٦٥
الفرق بين الحديث الصحيح والحسن	١٦٥
الحديث فيه ثلاث وصايا	١٦٥
الوصية الأولى: تعامل الإنسان مع الله عَزَّ وَجَلَّ	١٦٦
الوصية الثانية: تعامل الإنسان بينه وبين نفسه	١٦٧
الوصية الثالثة: تعامل الإنسان مع الناس	١٦٨
الحديث التاسع عشر: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا غُلَامُ...»	١٧٧-١٧٠
فضل ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا	١٧٠
احفظ الله يحفظك	١٧١
احفظ الله تجده تجاهك	١٧١
فائدتان في حفظ الله عَزَّ وَجَلَّ لك	١٧٢

الموضوع	الصفحة
سؤال غير الله على نوعين	١٧٢
تعريف الاستعانة	١٧٣
الإيمان بالقضاء والقدر في الحديث	١٧٣
أقلام كتابة القضاء والقدر	١٧٤
معنى تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة	١٧٤
الفرج مع الكرب	١٧٦
الحديث العشرون: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأَوَّلَى...»	١٧٨-١٧٩
تعريف الحياء	١٧٨
خطورة ضياع الحياء على الإنسان	١٧٨
الحديث الحادي والعشرون: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا...»	١٨٠-١٨٢
كلمتان جامعتان للخير كله	١٨٠
الإيمان: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح	١٨١
معنى الاستقامة	١٨١
الحديث الثاني والعشرون: «أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ...»	١٨٣-١٨٤
سؤال الرجل للنبي ﷺ وجوابه له	١٨٦
أقسام المؤمنين الثلاثة	١٨٦
الحديث الثالث والعشرون: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ...»	١٨٥-١٩٠

الموضوع	الصفحة
تعريف الطهور	١٨٥
أنواع التطهر	١٨٥
تعريف الحمد	١٨٦
الحمد يكون باللسان والعمل	١٨٦
معنى سبحان الله	١٨٦
قوله: «وَالصَّلَاةُ نُورٌ»	١٨٧
قوله: «وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ»	١٨٧
تعريف الصبر	١٨٨
أنواع الصبر	١٨٨
القرآن حجة لك أو عليك	١٨٩
كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا	١٩٠
الحديث الرابع والعشرون: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا...»	١٩١-٢٠٣
تعريف الحديث القدسي والفرق بينه وبين الحديث النبوي	١٩١
تلطف الرب ﷻ بعباده	١٩٢
تعريف العبودية	١٩٢
أنواع العبودية	١٩٢
تعريف الظلم وأقسامه	١٩٣
بيان معنى قوله ﷻ: «فَلَا تَظَالَمُوا»	١٩٤
أنواع الهداية	١٩٥

الموضوع	الصفحة
اللباس نوعان	١٩٦
حاجة العبادة لمغفرة الرب <small>وَعَلَيْكَ</small>	١٩٧
الغفور والغفار من أسماء الله تعالى	١٩٧
غنى الرب <small>وَعَلَيْكَ</small> عن عباده	١٩٨
خزائن الله <small>وَعَلَيْكَ</small> لا تنفذ	١٩٩
الجزاء من جنس العمل	٢٠٠
إحصاء الأعمال	٢٠٠
تعظيم السلف لهذا الحديث والخوف منه	٢٠٢
الحديث الخامس والعشرون: « أَنَّ أَنْاسًا مِنْ أَصْحَابِ	
رَسُولِ اللَّهِ <small>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</small> قَالُوا لِلنَّبِيِّ <small>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</small> ... »	٢٠٩-٢٠٤
بيان طرق الخير	٢٠٤
حرص المسلم على فعل الخير	٢٠٥
فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٢٠٦
الشهوة في بني آدم امتحاناً لهم ومصلحة	٢٠٧
القياس دليل صحيح	٢٠٨
سعة فضل الله <small>وَعَلَيْكَ</small>	٢٠٩
العادات بالنية الصالحة تتحول لعبادات	٢٠٩
الحديث السادس والعشرون: « كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ	
صَدَقَةٌ ... »	٢١٤-٢١٠
كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ	٢١٠

الموضوع	الصفحة
حرص الإنسان على الإصلاح بين المتخاصمين وفضله	٢١٠
الكلمة الطيبة	٢١٢
المشي إلى الصلاة	٢١٣
إماطة الأذى عن الطريق	٢١٣
فضل صلاة الضحى وأهميتها	٢١٤
الحديث السابع والعشرون: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ...»	٢١٥-٢١٩
تعريف البر	٢١٥
معنى حسن الخلق	٢١٦
تعريف الإثم	٢١٦
حديث وابصة من علامات النبوة	٢١٧
خطورة الفتوى والقول على الله بغير علم	٢١٨
الحديث الثامن والعشرون: «وَعَظَّمْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً وَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ...»	٢٢٠-٢٢٦
أهمية الوعظ والتذكير بالله ﷻ	٢٢٠
كمال وعظ النبي ﷺ	٢٢١
وصية النبي ﷺ بتقوى الله	٢٢١
وصية النبي ﷺ بالسمع والطاعة لولاة الأمور	٢٢١
وصية النبي ﷺ باتباع السنة عند الاختلاف	٢٢٢
أمره ﷺ بلزم سنته وسنة الخلفاء الراشدين	٢٢٣
التحذير من المحدثات والبدع	٢٢٥

الموضوع	الصفحة
البدع كلها ضلال، والرد على من قال بأن هناك بدع حسنة	٢٢٦
الحديث التاسع والعشرون: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ...»	٢٢٧-٢٣٦
طريق الجنة	٢٢٧
قوله ﷺ: «لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ...»	٢٢٨
يسر وسماحة هذا الدين مع عظمته	٢٢٨
المشرك لا يقبل منه عمل	٢٢٩
أركان الإسلام وأهميتها	٢٢٩
أبواب الخير زيادة على أركان الإسلام	٢٣٠
الصوم جُنة	٢٣١
فضل قيام الليل	٢٣١
رأس الأمر وعموده وذروة سنامه	٢٣٢
خطورة اللسان	٢٣٤
الحديث الثلاثون: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا...»	٢٣٧-٢٤٠
تعريف الفرض	٢٣٧
أهمية الفرائض	٢٣٧
تعريف الحدود	٢٣٨
موقف المسلم من الحلال والحرام	٢٣٨
السكوت عن الأشياء المسكوت عنها	٢٣٩

الصفحة

الموضوع

- الحديث الحادي والثلاثون: «أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ...» ٢٤٦-٢٤١
- حديث عظيم من قواعد الإسلام ٢٤١
- تعريف الزهد ٢٤١
- المحبة من صفات الله ﷻ ٢٤٢
- أمر الدين يسأل عنها أهل العلم ٢٤٢
- قاعدة للعمل الذي يحبك فيه الله والناس ٢٤٣
- الحديث الثاني والثلاثون: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» ٢٤٦-٢٤٤
- تعريف الحديث المسند والمرسل ٢٤٤
- الفرق بين الضرر والضرار ٢٤٤
- قاعدة عظيمة من قواعد الأخلاق في التعامل مع الناس ٢٤٦
- الحديث الثالث والثلاثون: «لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ...» ٢٤٨-٢٤٧
- حديث عظيم وقاعدة من قواعد القضاء ٢٤٧
- تعريف البيئة ٢٤٨
- الحديث الرابع والثلاثون: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ...» ٢٥٤-٢٤٩
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أصول الإسلام ٢٤٩
- تعريف المنكر والمعروف ٢٤٩
- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٥٠
- كيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٥٢
- العمل من الإيمان ٢٥٣

الموضوع	الصفحة
الحديث الخامس والثلاثون: « لا تَحَاسِدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا... » ٢٥٥-٢٦٤	
تعريف الحسد وخطورته	٢٥٥
الفرق بين الحسد والغبطة	٢٥٦
النجش والتناجش	٢٥٧
خطورة البغض والتدابير	٢٥٧
المسلم لا يبيع ولا يشتري على بيع وشراء أخيه	٢٥٨
حقوق المسلم على المسلم	٢٥٩
حرمة دم ومال وعرض المسلم	٢٦٢
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة	٢٦٣
الحديث السادس والثلاثون: « مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا... » ٢٦٥-٢٦٩	
هذا الحديث مقابل لما قبله	٢٦٥
تنفيس الكرب عن المسلمين	٢٦٥
التيسير على المعسرين	٢٦٦
طلب العلم الشرعي طريق للجنة	٢٦٧
طلب العلم يكون في المساجد	٢٦٨
قوله ﷺ: « وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ »	٢٦٩
الحديث السابع والثلاثون: « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ... » ٢٧٠-٢٧٢	
الأعمال على قسمين	٢٧٠

الصفحة

الموضوع

- مضاعفة الله وَعَلَيْكَ للحسنات ٢٧١
- السيئات لا تضاعف ٢٧١
- حديث عظيم وبشرى للمسلم ٢٧٢
- الحديث الثامن والثلاثون: « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ... الحديث » ٢٧٨-٢٧٣
- تعريف الولي ٢٧٣
- المعادي لأولياء الله محاربٌ لله وَعَلَيْكَ ٢٧٥
- التقرب إلى الله وَعَلَيْكَ يكون بما شرعه ٢٧٦
- معنى قوله: « فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ... » ٢٧٦
- آخر الحديث يفسر أوله ٢٧٧
- الحديث التاسع والثلاثون: « إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي ... » ٢٨١-٢٧٩
- تجاوز الرب وَعَلَيْكَ عن الخطأ والنسيان ٢٧٩
- المكروه على فعل السيئة لا يؤاخذ ٢٧٩
- هل الإنسان يحاسب على خاطرات النفوس والقلوب ٢٨٠
- الحديث الأربعون: « أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكَبِي ... » ٢٨٤-٢٨٢
- وصية جامعة لابن عمر رضي الله عنهما من النبي ﷺ ٢٨٢
- المسلم وغرخته في الدنيا ٢٨٣
- قول ابن عمر رضي الله عنهما: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ٢٨٣
- الحديث الحادي والأربعون: « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ ... » ٢٨٦-٢٨٥

الموضوع	الصفحة
معنى قوله: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ»	٢٨٥
المسلم يسلم لله ورسوله ولا يعترض	٢٨٦
الحديث الثاني والأربعون: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:	
«قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي	
وَرَجَوْتَنِي...»	٢٨٧-٢٩٠
الحديث فيه ثلاث جُمَل	٢٨٧
الجملة الأولى: أن مَنْ تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ ﷻ بِالْعَمَلِ غُفِرَ لَهُ الذُّنُوبُ ...	٢٨٧
الجملة الثانية: أن التوبة تَجِبُ مَا قَبْلَهَا	٢٨٨
الجملة الثالثة: فضل التوحيد وتكفيره للذنوب	٢٨٩
فهرس الآيات	٢٩١
فهرس الأحاديث والآثار	٣١٥
قائمة المراجع	٣٢٥
الفهرس العام	٣٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ